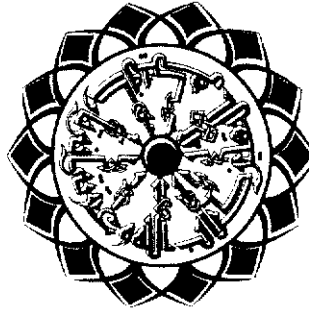


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# سِرِّ الثَّقَلَيْنِ

مَجْلَّةُ رِيسَالَةِ الْأُمِّيَّةِ جَامِعَةِ

الْعَدَدُ الْوَاحِدُ وَالثَّلَاثُونَ . السَّنَةُ الثَّامِنَةُ . رَجَبُ - رَمَضَانُ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي :

• الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم . ص . ب . ( ٨٩٤ = ٣٧١٨٥ )

• هواتف : ٢٤٠٢٩٤ ، ٢٤٠٢٧١ فاكس : ٧٢٥١٧٩

• موقعنا على الانترنت :

<http://www.iran - itf. com/ risalatuth thaqalayn. html>

# رسالة الثقلين

## محتويات العدد

### مفاتيح الإسلاميات

- تسعى بإحياء التعاليم الإسلامية لخدمة دين مستنير الشاقلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم والسنة الشريفة للرسول الأمين ﷺ وإهمل بيته الطيبين الطاهرين (عليه السلام)
- مستقبل احتياجات العلماء والمفكرين والكشّاب الإسلاميين التي تصبّ في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الأمة الإسلامية وتثبيت شعوبها فسي أرجاء العالم.

- الآراء الواردة فيها لا تعبر بمناصرة عن رأي المجمع أو المجلة .
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية .
- يُرجى ممن يرفد المجلة بمساهماته الاهتمام

بمساهمته  
الاتحاد القسري في

### □ كلمة التمرير

- مسيرتنا الرسالية بين الثبات والتغير ..... بقلم رئيس التحرير ٤

### □ من إضاح الصياد الإسلامي

- واقع الثقافة والمثقفين في إيران ..... ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظلّه) ٨

### □ دراسات

- تركية النفس من منظور الثقلين (٨) في الجانب العملي من تركية النفس (القسم الثاني)
- السيد كاظم الحائري ٢٩
- القيادة في الاسلام ..... الشهيد الشيخ مرتضى المطهري
- ترجمة: هاشم محمد ٦١
- معالم النظام الاجتماعي الاسلامي ..... السيد منذر الحكيم ٩٥
- ابو طالب الصحابي المفترى عليه (٣) ..... عز الدين سليم ١٤٧

### □ من صفات مدرسة أهل البيت(ع)

- الاسلام في مواجهة الحداثة الشاملة ... السيد نورالدين الجزائري ٤٠

### □ نقد وتقويم

- حول الدراسات المنهجية للعلوم الاسلامية (١) « في البحث عن دلالة النصوص » ..... السيد هاشم الهاشمي ١٢٧

### □ سؤاا ووجاا

- حول الامام المهدي المنتظر (عج) ..... الشهيد السيد عبد الكريم هاشمي نژاد
- ترجمة: التحرير ٨١

### □ استطلاع

- الاسلام والمسلمون في الصين (٢) «اقلية (هوى) المسلمة في الصين» ..... اعداد: قسم الارشيف ١٨٩

## □ تقرير

\* موجز عن المؤتمر العام للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية المنعقد في القاهرة (٨ - ١١ ربيع الاول ١٤٢٠ هـ - ٢٢ - ٢٥ حزيران ١٩٩٩ م)  
..... اعداد : الشيخ محمد علي التسخيري  
٨١ «رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية»

## □ فنون واداب

\* قصيدة : أبا الحسين ..... السيد محمد جمال الهاشمي ١٦٤  
\* قصيدة : هو السيف ..... ابو تمام الطائي ٢١١

## □ من غرر مقيم أهل البيت (ع)

\* لم يرزق المال من لم ينقعه ..... عبد القادر فرج الله ٢٠٤

## □ أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

\* روايات أم المؤمنين عائشة ..... اعداد : صادق السوداني ٢١٨

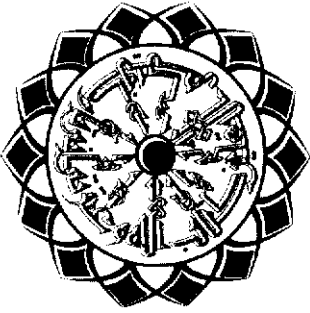
## □ من أنا الضيق

## \* الجمهورية الاسلامية في ايران :

حرية الرأي والفكر ..... ٢٢٥  
العلاقات الخليجية - الايرانية ..... ٢٣٠  
\* فلسطين : نوايا باراك الحقيقية من عملية التسوية ..... ٢٣٤  
\* مصر : التطبيع الثقافي مع الكيان الصهيوني ..... ٢٣٧  
\* تركيا : استفحال النفوذ الصهيوني ..... ٢٤٠  
\* باكستان : الاطماع الباكستانية في افغانستان ..... ٢٤٤  
\* كشمير : مظاهر السياسة الهندية ..... ٢٤٦  
\* السودان : هل تكرر اميركا تجربتها في يوغسلافيا مع السودان .... ٢٤٩  
\* الجزائر : المصالحة ... الارضية والحقوق ..... ٢٥١  
\* جنوب افريقيا : للجالية الاسلامية دورٌ ناصع في إزهاق الباطل ... ٢٥٤

## □ مع قرآن الثقلين

\* رسائل القراء ..... ٢٥٩



الجميع العالمي لآل البيت

الشيخ محمد علي التسخيري

الشيخ محمد علي التسخيري

رئيس المؤتمر :

الشيخ محمد علي التسخيري

قواعد تنظيم المؤتمر الدولي

العدد الواحد والثلاثون

السنة الثامنة .

رجب - رمضان

١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م

## كلمة التمرير

✽ بقلم رئيس التمرير

# مَسِيرَتُنَا الرِّسَالِيَّةُ بَيْنَ الثَّبَاتِ وَالتَّغْيِيرِ

في خضم مسيرتنا الرسالية نعيش صراعاً مريباً ، محوره  
الاساس هو الصراع بين الثبات والتغير ، وهو صراع ممتد  
على سعة ما تحمل الكلمات من معان كثيرة ، وقد يكبر مسرح الصراع  
بينهما فيشمل الانسان وحضارته وآثاره ، كما أن التحدي بينهما قد  
يصل إلى حد كبير وشرس لا يحتويه حتى وعاء الكلمات ذاتها .  
فالثبات يعني احياناً الاصاله والانتماء والاستقرار ، وهذا هو  
الجانب الايجابي الحي من هذه الكلمة ، ويعني احياناً اخرى المحافظة  
على الاجواء الميته ، ورفض قيم التقدم والتحرر من اغلال العبودية  
والاستغلال ، وهذا هو الجانب السلبي بكل ابعاده .  
والتغير يعني احياناً التحول نحو الاحسن ، ورفض التجر

الجنائزي للمفاهيم والرؤى والمناهج والوسائل ، كما يعني احياناً اخرى القلق وعدم الاستقرار ، والهدم والفوضىوية .

وبين هذا وذاك (الثبات والتغير) يتطرف من يتطرف إلى أقصى اليسار ، والبعض الآخر إلى أقصى اليمين .

وتبقى كل الحقائق سالكة المسافة الشاسعة بينهما ، إذ لا تناقض في منطق الحقيقة بين الثبات والتغير ، فالثبات يعني الاصاله ، والانتماء للقيم الحقّة ، والرجوع للمفاهيم المتحركة الحية الناصعة ، ويعني استيعاب حركة التاريخ واحداثه ومواقفه ، ورصد كل المتغيرات لمعرفة موقع الفكرة وحدودها ، ونقاط الالتقاء مع الفكر الآخرى ، ونقاط الافتراق معها ، ويعني كذلك تحول الفكرة عبر ممر الانسان إلى كائن حي يتحرك على الصراط المستقيم .

والتغير يعني حالة الثورة الدفاعة لتعبئة الآراء والمواقف باتجاه الصراط المستقيم ، ويعني ديمومة الرفض الايجابي لكل القيود والاغلال ، التي تحاول أن تجعل الفكر مؤطراً بأطر سميكة من التطرف ، ويعني كذلك الانتقال من درجة معينة في سلم الحياة إلى درجة أعلى ، ففي الوقت الذي تتفاعل فيه الفكرة مع الحياة والانسان على مستوى معين ، يكون طموح الانتقال إلى المستوى الاعلى فالأعلى حالة مشروعة ، بل ومطلوبة لادامة الفاعلية للفكرة والانسان على السواء .

إذن لا تناقض بين الكلمتين ، فالثبات على الصراط المستقيم لا يتنافى مع التحرك عليه إلى الامام ، ففكر الاسلام وأنظمته ثابتة تستوعب المتغيرات ، اضيلة تواكب التطور .

وعلى أساس هذا الفهم لابد أن يكون عملنا الرسالي يتمتع بهذين العنصرين بشكل متوازن وواقعي ، تجتمع فيه أصالة الماضي المبدئي ، واستيعاب الحاضر الرسالي وطموح المستقبل الأمل ، لأننا

نسعى لكي نكون من ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (١) .

ونحن في مرحلتنا الحاضرة ، حيث تتشابك السبل ، وتتوسع الدوائر أو تضيق ، وتتوزع الادوار ، ويتحرك المغيرون ، ويتمسك المحافظون بقيمهم التي ارتبط وجودهم بها ، في هذه المرحلة لابد أن يستمر المسلم الرسالي عبر كل هذا الصعاب ، يتحدى لكي يبقى ، ويرفض لكي يتقدم ، ويحرك كل الوسائل المتاحة باتجاه فكرته وقيمه ، ويستفيد من مواقع قوته وضعفه ، فهو ينمي مواطن القوة في شخصيته ومجتمعه ، ويصحح مواطن الخطأ بعيداً عن الغوص في أحوال الذات والنرجسية ، وبعيداً أيضاً عن ضحالة اللامبالاة .

فالقائد العسكري مثلاً مهما كان مجزباً ومحنكاً ، لا يستطيع أن ينتصر على خصمه ما لم يُحط بساحة المعركة خبراً ، وما لم يعرف طبيعة خصمه وطريقة مناوراتهِ ، وجغرافية الارض ومواقع الدفء والهجوم ، ويحيط بكل مفردات عدوه كما يحيط بمفردات قواته وتحصيناته . واليوم عندما يتحرك الرسالي المسلم في عالم يعيش معه ويتفاعل معه ، ويؤثر فيه ويتأثر به ، لابد له من أن يفهم مفردات الساحة الفكرية والاجتماعية ومتغيراتها ، وأن يتسع أفقه الثقافي باتساع أفقها ؛ لكي يستوعب الافكار والاحداث ، ويحدد المواقف ويفهم القضايا ، كما أنه لابد أن يجيد استعمال ادوات التحرك ؛ ليحدد مواقع خطاه ، ويحصي تطوره وتقهقره .

وفي كل يوم تتفاعل عشرات الاطروحات الفكرية ، والاحداث الاجتماعية الكبيرة والصغيرة على شتى المستويات ، لتلقي بشيء من ثقلها ولو بنسب مختلفة على كاهل تفكير المسلم الرسالي ، الذي لابد له أن يُظهر رد فعل معين سلباً أو ايجاباً ، فمن يحدد يا ترى وجهة نظره في هذا المعترك الكبير ؟ إنه فهم الرسالة بكل ابعادها وخصوصياتها ، أي (الاصالة الفكرية) ، وليس كل هذا بل وطريقة

التفكير والتحاور ، والعمل الثقافي والاجتماعي الملتمزم (الاصالة في الاسلوب) . والحوار الفكري والثقافي الهادف خطوة ملتزمة في طريق العمل الرسالي للإسلام ، ولابد له - كباقي الممارسات الرسالية - أن يمر بتطور في الاساليب ، ويجب ألا يبقى نتاجاً متواضعاً لحوار بعض المهتمين بالعمل الثقافي فحسب ، بل يجب أن يعبر عن مجموعة من الاهتمامات والمواضيع الفكرية والعملية الشاملة على جميع المستويات ، ولا يقف عند هذا الحد ، بل يتطور عبر تطور الصراع مع الكفر ومؤسساته ، فيسلك نهج البحث العلمي المعمق ، وأسلوب الاستقراء الاحصائي ، والمتابعة الدقيقة لجزئيات الاحداث والمواقف المختلفة في العالم ، ويهتم بتطلعات الانسان المسلم ، وبناء فكره الاسلامي بناءً اخلاقياً وفق القيم الرسالية ومتطلبات العصر ، ليساهم بجد واجتهاد في رفع الأستار عن خفايا المخططات الاستكبارية ، الرامية إلى انتهاك كرامة الانسان المسلم وخنق انفاسه ، وفي هذا الطريق الرسالي لابد للأيدي الاسلامية المخلصة من أن تتصافح وتتصافر لبناء صرح اسلامي شامخ . وليكن رائدها أن النقد البناء هو أول أسس التطور على طريق التغير ، وهو جدار يمنع المسيرة من الانحراف ، ويجعلها على طريق الثبات والاصالة الرسالية .

والحمد لله رب العالمين



من أضاف  
الضيادة الإسلامية

# واقع الثقافة والتفكير في إيران

ولي أمر المسلمين  
آية الله العظمى  
السيد الفاضلي  
«دام ظلّه»

من كلمة لقائد الأمة الإسلامية وولي أمر المسلمين آية الله العظمى  
السيد علي الخامنئي «مد ظله» بمجموع من الطلبة الجامعيين في جامعة  
طهران.

الثقافة كما تعلمون جاءت كوثبة بوجه الرجعية ، وتنطوي  
على معاني التقدمية والنظرة المستقبلية .

هذه الهوية التقدمية ذات النظرة المستقبلية ، لا تتسق في معانيها  
مع مفاهيم الرجعية والعودة إلى الوراء ، إلا أنني شاهدت وأشاهد  
حالياً ظاهرة لا أجد اسماً مطابقاً لها سوى اسم الرجعية الفكرية .

سبق لي أن ذكرت عدّة مرات أن الثقافة بما تحمله من خصائص  
متحققة على أرض الواقع - يمتزج فيها الفكر العلمي بالنظرة  
المستقبلية، والنباهة والذكاء الذي يواكبه تحسس الآلام الاجتماعية  
وخاصة المتعلّق منها بالثقافة - ولدت في إيران مريضة ، ويعود سبب



ذلك إلى أن رواد الثقافة في بلدنا كانوا مرضى ، ولو أردت الإشارة إلى أسماء بعضهم لذكرت منهم الميرزا ملكم خان الارمني ، والميرزا فتح علي آخوند زاده ، والحاج سيّاح محلاتي . وهؤلاء هم الذين استلهموا أولى معالم ثقافة القرن التاسع عشر في اوربا ونقلوها إلى ايران ، وكانوا اشخاصاً غير ثقافة ؛ فالميرزا ملكم خان - على سبيل المثال - الذي كان يتبجّج برفع لواء الثقافة والتثقيف ضد السلطة الاستبدادية لناصر الدين شاه ، كان سمساراً لمعاملة استعمارية فادحة الضرر لحساب وكالة رويتر .

وكما تعلمون فإن الامتيازات الاجنبية في العشرين سنة الاخيرة من حياة ناصر الدين شاه ، دمّرت البلد تدميراً تاماً ؛ فالانجليز حصلوا على امتياز الجمارك ، والتبغ ، وسكك الحديد ، وما إلى ذلك . وكان الروس من الجانب الآخر يحتجون على الامتيازات التجارية التي حصل عليها خصومهم ، ويطالبون بالحصول على امتيازات في مقابلها ، فقَدّموا لهم الامتيازات واطلقوا على ذلك تسمية «التوازن الايجابي» ، أي الموازنة بين الروس والانجليز في السياسة الخارجية والعلاقات الاقتصادية ، ولكن على اساس التنافس والتسابق . فما إن يعطى لاحدى القوى امتياز ، حتى تسارع القوة الأخرى للمطالبة بامتياز مماثل ، فيمنح لها ، فتعترض الاولى على اساس أنها اصبحت أدنى حظاً ؛ فيُقدّم امتياز آخر لها ، فكانوا يذهبون ايران لصالح العائلة الملكية ؛ أي ناصر الدين شاه وافراد بلاطه ، وكل من كان بميسوره انتهاب لقمة من تلك المائدة .

إذن فهذا الشخص الذي يعتبر من ابرز دعاة الثقافة في ايران ، وأعني به الميرزا ملكم خان ، كان سمساراً لوكالة رويتر . حتى إن صفقة امتياز التنباك الشهيرة التي حرّمها وتصدّى لها مرجع التقليد آنذاك ، الميرزا الشيرازي ، كان سمسارها الميرزا ملكم خان نفسه .

وكان من اكبر صفقات السمسرة لهذا الشخص هو الامتياز المعروف بـ «رزي» ، الذي نال موافقة البلاط . مثل هذا الشخص يريد أن يكون رسولاً للثقافة بين ايران وداعية للتجدد والحدثة بين الناس . وكان الميرزا فتح علي آخوند زاده - من أفق آخر - شبيهاً بالميرزا ملكم خان . كان آخوند زاده من اهالي خامنه ، وقد سمعت عنه الكثير مما يتناقله عنه اهالي تلك المنطقة وبعض اقاربنا هناك . توجه هذا الشخص إلى بلاد القوقاز قبل ثورة اكتوبر ، وأخذ يقتات على موائد قياصرة روسيا ، وقرر على حد زعمه الاستعانة بهم ، ومكافحة السلطة الاستبدادية في ايران تحت كنفهم ، إلا إن مثل هذا الكفاح لم يكن مقبولاً ولا قائماً على أسس وثيقة . وكان اول ما جعلوه غرضاً لهم - بدلاً من محاربة الاستبداد والاهتمام بالجوانب السياسية - أنهم اخذوا يحاربون الدين ومعتقدات الشعب والتقاليد الوطنية الاصلية ، وهو ما سأحدث عنه لاحقاً .

والمثال الثالث على هذا الاتجاه هو الحاج سيّاح الذي دوّن تاريخ حياته في سفره الى اوربا . ولا يشك كل من يطالع هذا الكتاب أنه تعمد عن سابق قصد ، عند الحديث عن أية قضية لاحد رجال الدين الاحرار الكبار دور فيها ، طمس اسم رجل الدين وكتمان الاشارة إلى دوره . هكذا ولد التوجه الثقافي في ايران .

لم تكن أجيال الاتجاه الثقافي اللاحقة في ايران موضع ثقة أيضاً ؛ لأن أكثر افرادها كانوا من الامراء والاعيان . اقرأوا تاريخ حياة عبدالله المستوفي الذي كتبه بنفسه في ثلاث مجلدات . كان هذا الرجل من جملة اولئك المثقفين ، وكان في الوقت ذاته من الامراء المتنفذين في الحكومة القاجارية ، لكنه كان بطبيعة الحال شخصية متزنة لا مؤاذات عليها . وستعرفون إذا قرأتم هذا الكتاب من هم الاشخاص الذين كانوا في طليعة دعاة الثقافة ، وحملة لوائها الاوائل الذين عرفوا

واشتهروا بها .

وهكذا انتهى العهد القاجاري بدون أن يظهر فيه ، بين تلك الثلة من المثقفين الايرانيين ، مثقف وطني غيور وحريص إلا من ندر . ولما حل عهد رضا خان وضع مثقفوا تلك الفترة من الاساتذة والكتاب والمفكرين ، الذين كانوا يعتبرون النخبة حينذاك ، أنفسهم في خدمة رضا خان ، وأخذوا يدافعون عنه بدون أي مبرر ؛ فهو لم يكن شخصاً متعلماً ولا مثقفاً ولا وطنياً . والجميع كانوا على معرفة أن رضا خان منقذ لسياسة الانجليز الذين جاءوا به ، ورفعوه حتى اوصلوه إلى سدة الحكم ، وساندوه ومهدوا له السبيل وازالوا كل العوائق أمامه . ومع كل هذا فقد اضحى المثقفون آنذاك منظرين يبتدعون التبريرات والمسوغات الفكرية لأي عمل كان يحلو لرضا خان القيام به .

أود التحدث معكم عن هذا الموضوع ، لا بصفتي مسؤولاً ، وإنما بصفتي طالباً للعلوم الدينية ، وباعتباري قضيت كل فترة شبابي تقريباً في الاجواء الفكرية التي كانت سائدة يومئذ ، وكانت لي معرفة وثيقة بالكثير من هذه الوجوه الثقافية المعروفة ، أو أنني كنت على معرفة بآثارهم ، واعرفهم على وجه الدقة ، سواء كانوا شعراء أم كتاباً أم فنّانين . وأريد منكم أنتم شباب هذا العهد معرفة الاجواء الثقافية لبلدكم ؛ لأنكم تدخلون في عداد الطبقة المثقفة ، وحري بكم التعرف على ما كان ، وما هو كائن حالياً وما ينبغي أن يكون .

بعد زهاب رضا خان عام ١٣٢٠ [هـ . ش] ، حيث تشكلت حينذاك حكومة مثيرة للسخرية ، انضم بعض مثقفي تلك الحقبة إلى حزب توده . ومن الطريف أن أخلص اولئك المثقفين واكثرهم صدقاً هم الذين انضموا إلى ذلك الحزب ، مع علمهم واقرارهم بالتبعية للاتحاد السوفياتي الذي كان له دور في ايجاد ومساندة ذلك التنظيم ، فكانوا

بمثابة الطابور الخامس الذي يعمل لصالح الاتحاد السوفياتي في ايران .

طالعوا مذكرات كيانوري وغيره من زعماء حزب توده ، الذين تهاووا امام النظام الاسلامي . وقد نشرت هذه المذكرات التي تتحدث عن قضايا ما قبل خمسين أو ستين سنة . وعلى الرغم من احتمال عدم رغبتهم في التصريح بجميع الحقائق ، ولكن يستشف من بين ثنايا كلماتهم حقيقة ما كان عليه حزب توده يومذاك . ومع كل هذا فقد التقى في ذلك التنظيم اخلص واصدق المثقفين ، وكان من جملتهم المرحوم جلال آل احمد و خليل ملكي ، وغيرهم ممن كانوا في بداية الامر في تنظيم حزب توده .

انقل لكم عن المرحوم جلال آل احمد - ولا اتذكر أكنت سمعت ذلك منه ، أم نقله لي عنه احد الاصدقاء - إذ قد دار امثال هذا الحديث في لقاء جمعنا وإياه عام ١٣٤٧ [هـ. ش] عند قدومه إلى مشهد ، أنه قال : إننا كنّا نتقدّم في حزب توده من غرفة إلى اخرى بانتظام [وكان مراده أنهم يقطعون المراحل والدرجات الحزبية] إلى أن بلغنا مرحلة سمعنا فيها صوتاً يأتي من خلف الجدار ، فساءلنا أين نحن الآن ، فقل لنا : في موسكو ، فقلنا لهم : إننا لسنا معكم ، وتركناهم وعدنا .

أي بمجرد أن شعروا عبر سلسلة المراتب الحزبية إن هذا التنظيم مرتبط بالاجانب ، خرجوا من صفوفه . وبعد ذلك بادر هو و خليل ملكي و جماعة آخرون إلى تأسيس «القوة الثالثة» ، التي التفّ حولها المخلصون ، واستمرت الاوضاع على هذا المنوال إلى عهد الدكتور مصدق تقريباً ، وإلى ما بعد احداث ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢ [هـ. ش] .

بعد واقعة ٢٨ مرداد ساد اجواء الثقافة صمت مطلق ، من حيث الاعراب عن موقف الانسان المثقف ازاء السلطة الفاسدة ، وتحول الكثيرة ممّن حلّ عليهم غضب السلطة في العشرينات إلى مؤيدين

مطيعين في الثلاثينات .

ويتحدث المرحوم آل احمد في كتابه «خدمة وخيانة المثقفين» عن هذه المرحلة بالذات ، أي مرحلة الثلاثينات ، إذ دونه ما بين عام ١٣٤٣ وعام ١٣٤٧ [هـ. ش] ، وهي السنة التي قدم فيها إلى مشهد والتقيته هناك ، ودار بنا الحديث إلى ذكر هذا الكتاب فقال : إنه منزهك منذ مدة بعمل ما . وفهمت في ما بعد أنه كان مشغولاً منذ عام ١٣٤٣ [هـ. ش] بتأليف ذلك الكتاب . كان حينها يريد منّا الحصول على مواضيع كان يتصور أننا نملك معلومات عنها ، ففهمنا حينها أنه كان يؤلف هذا الكتاب الذي صدر بعد وفاته . ولم يكن كتابه ذاك مما يأذن النظام البائد بنشره وإنما كان يدخل في عداد الممنوعات القطعية ، ولم يكن بالامكان نشره بأي حال من الاحوال .

لقد اتخذ جلال آل احمد مواقف حسنة جداً ، لكنه على الرغم من شدة اعتقاده بالدين ، وتمسكه بالتقاليد الايرانية والوطنية ، وحبّه للأدب واللغة الفارسية ، وعدائه للغرب والتغريب ، بقي يفكر ويتأمل ويتحدث بنفس تلك الاجواء والصيغ الثقافية . وهذا هو معنى قولنا إن الثقافة ولدت مريضة في ايران ، وبقي ذلك المرض ملازماً لها ومواكباً لمسيرتها حيث ما حلت .

ولكن ماهو ذلك المرض ؟ وأين كان يظهر ؟ فهذا ما أنقله لكم عن لسان آل احمد شخصياً . ذكر آل احمد : من جملة سمات المثقف هي السمات العامة . ثم قال : وليس المراد من العامة هو التصور الذي يحمله العوام عن المثقف ، وإنما قد يحمل المثقف نفسه مثل هذا التصور احياناً . وأشار إلى أن تلك السمات ثلاثة :

الاولى : هي وجوب مناهضته للدين والمذهب ؛ بمعنى أن المثقف يجب أن يكون مناوئاً للدين .

الثانية : الميل إلى التقاليد الغربية والسفر إلى اوربا وما شابه ذلك .

الثالثة : هي التحصيل الدراسي .

هذه هي التصورات التي يحملها العوام عن الثقافة ، وهي خصائص المثقف . أي إذا كان الشخص متديناً فهو وإن كان علامة دهره أو افضل فنان أو اكبر فيلسوف ، لا يعد شخصاً مثقفاً .

ثم يضيف : إن هذه الخصائص الثلاثة التي تمثل تصور العوام عن المثقف هي في حقيقتها انعكاس لخاصيتين أخريين يمكن بيانهما بأسلوب علمي أو بلغة ثقافية ، وهما :

أولاً : تجاهل التقاليد الوطنية والثقافة الذاتية . وهنا تخرج القضية عن اطارها العامي وتصبح امراً حتمياً .

ثانياً : الاعتقاد بالنظرة العلمية المحضة للكون ، والربط العلمي بين الظواهر وعدم خضوعها لحقائق القضاء والقدر . ثم يضرب امثلة لتلك الخصائص .

في حين أن الثقافة بالمعنى الذي صاغه وطرحه الغرب - واقتبسوه هم من الغرب واستوردوه منه - لا يتضمن مثل هذا المعنى ، ولا يحمل مثل هذا التوجه على أي نحو كان . فلماذا يجب أن يتجاهل المثقف تقاليده الوطنية ؟ . فالثقافة هي عبارة عن العمل والتحرك والفعل المرتبط بنشاط الفكر ، والمثقف هو الذي يعمل بفكره اكثر من عمله بساعده ، وباعصابه اكثر من عضلاته . ولهذا السبب فهو في الفصول اللاحقة من كتابه حين يتحدث عن الطبقات المثقفة ، يذكر الشاعر والكااتب والمفكر ، ويبتدئ بهم طبقة المثقفين إلى أن يصل إلى استاذ الجامعة ، والطالب الجامعي ، والمدرس والمعلم والصحفي ، وآخرهم المحرر الصحفي والمراسل الصحفي ، وما إلى ذلك .

ماهو السبب الذي يدعو إلى أن يكون من يعمل بفكره ، غريباً أو مناهضاً بالضرورة لتقاليده القومية ولوطنه ولتاريخه ؟ أو أن يكون معادياً للدين ؟

يمكن استخلاص جواب هذا السؤال من بين ثنايا كلام المرحوم نفسه ، أو غيره من الكلمات التي تحدثت عن هذا الموضوع ، وهو أن السبب الذي دعا إلى ظهور مفهوم الثقافة للمرة الاولى في فرنسا ، هي الظروف التي كانت فيها فرنسا واوروبا تنتقل من فترة القرون الوسطى ، نابذة وراءها الديانة المسيحية التي طبعتها الكنيسة آنذاك بالعنف والخرافات ، وقتل العلماء ومحاكمة المخترعين والمكتشفين وابداتهم أو نفيهم ، واتلاف الكتب العلمية ، فكان من الطبيعي أن يظهر حينذاك عقلاء يعرضون عن مثل ذلك الدين الحافل بالخرافات ، وبكل ما لا يرتضيه أي انسان ، ويتوجهون صوب اعمال جديدة ويضعون موسوعة فرنسية جديدة ، ويشرعون باعمال علمية كبرى .

من البديهي أن طبيعة عمل أولئك الاشخاص كانت توجب عليهم الاعراض عن ذلك الدين .

ثم جاء المثقف الايراني المقلد في العصر القاجاري ، حينما ادخل مفهوم الـ «انتلكتول» إلى البلد ، واطلق عليه اسم «منور الفكر» أولاً ، واسم «المثقف» تالياً - بما تحمله من خصوصية مناهضة للدين - وجعله في مواجهة الاسلام الذي يحمل افضل الافكار والمعارف ، وأمتن الادلة واسمى الاخلاق ، وكان يؤدي في ذلك الوقت في ايران نفس الغاية التي كان المثقفون الغربيون يطمحون إلى تحقيقها في بلدانهم .

في حقبة من حقبة العهد الاستعماري ، اصبح المثقفون الغربيون يداً واحدة مع الشعوب المستعمرة . فإذا كانت اسبانيا - على سبيل المثال - قد استعمرت كوبا وهيمنت على ثروتها - كالسكر مثلاً - نجد أن جان بول سارتر الفرنسي يدافع عن شعب كوبا وعن فيدل كاسترو وعن جيفارا ضد الاستعمار الفرنسي ، ويؤلف كتاباً اسمه «حرب السكر في كوبا» . وبعبارة أخرى ، كان المثقف الغربي في

برهنة من الزمن يناضل ضد دولته ، وضد النظام الحاكم في بلده لصالح الشعوب الضعيفة . ولكن من هم الذين كانوا يضطلعون بمثل هذه المهمة في ايران ؟

كان يقوم بهذه المهمة في ايران كل من الميرزا الشيرازي والميرزا الاشتياني في طهران ، والسيد عبد الحسين اللاري في اقليم فارس ، وهؤلاء هم الذين كانوا يحاربون التغلغل الاستعماري . ومن هم الذين كانوا يمهّدون للسيطرة الاستعمارية وعقد المعاهدات الجائرة ؟ كان يقوم بهذا العمل الميرزا ملكم خان واضرابه ، إضافة إلى الكثير من رجال الحكم القاجاري الذين كانوا يعتبرون في عداد المثقفين .

وهذا يعني أن الادوار قد بدّلت ، ولكن في الوقت ذاته حلّت محل مكافحة الديانة الخرافية المسيحية ، في الثقافة الايرانية ، محاربة الاسلام . وعلى هذا الاساس اصبحت احدى خصائص المثقف في ايران مناهضة الاسلام ومعاداته . وكان مما تمخّض عن ذلك بطبيعة الحال أن مثقفي العهد البهلوي ، لا زال اتباعهم من كُتاب وشعراء ومحققين وكُتاب سيرة ، يقتفون على نحو صريح احياناً نفس تلك الخطى ، ويمجّدون شخصاً كالميرزا فتح علي آخوند زاده وكأنهم يمجّدون نبياً ؛ لأنه ارتضى بسبب عداوته ومحاربتة للاسلام في احضان القياصرة ، واقتات على موائدهم وتلقّى العون منهم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لما دخل البلاشفة والشيوعيون بلدة خامنه ، اطلقوا هناك معزوفة باسم الميرزا فتح علي آخوند زاده .

بما أنني لم اقض فترة طفولتي في تلك المنطقة ، فقد نقل لي بعض الاصدقاء ممن عاشوا فترة طفولتهم هناك ، أن قوات الاتحاد السوفياتي لما دخلت على عهد «بيشه وري» عام ١٣٢٤ و ١٣٢٥ [هـ.ش] إلى تبريز ، وسيطرت على بعض اجزاء اذربيجان ، واقامت هناك ما يُسمى بالحكم المحلي - ثم دُمّروا في ما بعد تدميراً تاماً -



صنع البلاشفة بعد احتلالهم لتبريز ودخولهم خامنه ، معزوفة باسم الميرزا فتح علي آخوند زاده . أي إن هذا الشخص كان له انصار في الحكومة القيصريّة ، وكان له في الوقت ذاته انصار في الحكومة البلشفية التي اطاحت بالقيصرية . تلاحظون إذن أن هذا الرجل كان ذا شخصية متذبذبة ، وإلاّ فما هو القاسم المشترك بين الحكومة القيصريّة والحكومة الشيوعية ؟

لا شك في أن القاسم المشترك بينهما هو العداء للدين والاسلام ، وكان هذا الشخص من دعاة مناهضة الدين .

من الطبيعي أنكم تعتقدون أن الثقافة بمعناها الحقيقي لا تنطوي على أي عداة للدين ولا للتعبّد ، وبإمكان الانسان أن يكون مثقفاً - بالمعنى الذي ذكره جميعهم للمثقف ، أي من ينظر إلى المستقبل ويؤدي عملاً فكرياً ، ولديه توجه نحو التطور - وأن يكون في الوقت ذاته متديّناً ومتعبّداً ، وأن يكون كالمرحوم الدكتور البهشتي ، وكالشهيد المطهري ، وكمثل الكثير من شخصياتنا المثقفة المتديّنة التي رأيناها . وليست هناك من ضرورة تدعوه لمعاداة الدين .

ومن المثير هنا حين احتساب عدم التعبّد شرطاً مؤكداً من الشروط الاساسية للثقافة ، أنه ينتج عن ذلك أن العلامة الطباطبائي الذي يعتبر من اكبر فلاسفة عصرنا ، ويقصده من فرنسا فلاسفة وشخصيات كبيرة مثل هنري كوربان ، ويمكثون عدّة سنوات هنا للاستفادة منه ، لا يعتبر مثقفاً . أما المتشاعر [شاعر ليس لشعره قيمة تذكر] الذي لا يؤمن بالدين ولا بالتقاليد الايرانية العريقة ، وأمضى عدّة أيام في اوربا واميركا ، فهو مثقف . وكلما مكث هناك اكثر ، كان اعمق ثقافة . ياله من تعريف مغلوط ، وياله من جو قبيح أشيع في ايران باسم الثقافة .

وفي الاحداث الكبرى التي مرّت على هذا البلد ، أدّى المثقفون

دورهم على نفس هذه السمات والخصائص ؛ فلم يند عنهم أي موقف حقيقي معارض على هامش قضية ٢٨ مرداد . من الطبيعي أن واقعة ٢٨ مرداد قديمة جداً بالنسبة لعهدنا وبعيدة عن المتناول ، إلا إن موقف النظام في تلك الحادثة وقسوته مع المثقفين ، الذين بدرت منهم احياناً ميول للدكتور مصدق وللنهضة الوطنية ، دفع بهم إلى التنحي جانباً وعدم اتخاذ أي موقف مناهض للنظام من قبل مجموع المثقفين ، في حين أن واجب المثقف يدعوه إلى أن ينزل إلى الميدان ، ويكتب وينظم الاشعار ، ويبيث الوعي بين الناس بما يخدم الشعب ومستقبله ، إلا إن موقفاً كهذا لم يحصل .

أما إذا وصلنا إلى حادثة الخامس عشر من خرداد ، وهي اكبر حادثة وقعت في بلدنا في القرن الحاضر ، بين الشعب والنظام الحاكم آنذاك ، فنجد أن الكلمة التي القاها الامام الخميني بمدينة قم في يوم عاشوراء قد احدثت ضجة كبرى ، في اليوم التالي وما بعد في طهران ، وبدون أية زعامة معينة هناك . ثم وثائق مطبوعة تعكس المحادثات التي أجرتها الحكومة في تلك الايام لمجابهة تلك الحادثة . لقد احدثت كلمة الامام زلزالاً هائلاً ، وجاء وقع حركته على اشد ما يكون ، وأدت إلى استنهاض ابناء الشعب ، ثم تلا ذلك نزول قوات النظام إلى الشوارع واطلاق الرصاص على الجماهير ، مما أدّى إلى اراقة الدماء ، ومقتل عدة آلاف من الناس الذين لم يتمكن قط من الحصول على احصاء دقيق عنهم .

ذكر جلال آل احمد في كتابه ذاك «خدمة وخيانة المثقفين» ، أن مثقفينا الايرانيين - قد وصفهم بمثل هذا التعبير على ما أعتقد - غسلوا أيديهم بدماء الخامس عشر من خرداد . أي إنهم لم ينبسوا ببنت شفة . هؤلاء هم المثقفون المعروفون ، هؤلاء هم الذين كانوا ينظمون الاشعار ، ويكتبون القصص ، ويدبّجون المقالات ،

ويطرحون التحليلات السياسية ، وهم الذين كانوا يدعون لانفسهم زعامة الشعب ، وهم الذين كانوا يعتقدون بوجود قبول الجميع أي رأي يطرحونه هم في صحيفة أو مقالة ما ، إلا إن هؤلاء جميعاً التزموا الصمت حيال تلك القضية ، مما يدل على ابتعادهم عن الشعب وقضاياه ، وبقي هذا الابتعاد قائماً على حاله .

كانت تصدر عنهم حينذاك بعض المؤشرات الضعيفة بين الحين والآخر ، ولكن ما كادت السلطة تبدي سخطها حتى كانوا يتراجعون أمامها . ومن الامثلة على ذلك أن شخصاً كان معروفاً توفي قبل بضع سنوات ، ولا اريد هنا ذكر اسمه ، ولكنني اذكر اسم كتابه ومن عرفه فليعرفه . كان هذا الشخص قد كتب قبل الثورة مسرحية تحت عنوان « (آ) ممدوة و (آ) غير ممدودة » وهو عنوان رمزي يعبر شطره الثاني - أي الألف بدون مدّة - عن الانجليز ، وشطره الأول - أي الألف بمدّة - عن الاميركيين . وقد قرأنا حينذاك تلك المسرحية التي يظهر في المشهد الاول منها عهد التسلط الانجليزي ، ويظهر في المشهد الثاني منها عهد النفوذ الاميركي . وفي كلا العهدين تمارس طبقات الشعب عملها ونشاطها كل من موقعه . أما المثقف الذي يظهر في تلك المسرحية تحت اسم «الواقف على التل» ، فيبقى بمعزل تام عن مجريات الاحداث ، وقد يتفوّه بين الحين والآخر بكلمة ، إلا إنه لا يجازف مطلقاً ولا يمزج بنفسه في وسط الاحداث .

بعدها وصلني كتاب تلك المسرحية وأنا في مشهد ، تحدثت ذات مرة للطلبة وللشباب عقيب احدى الصلوات ، وقلت في سياق كلامي إن الشخص الذي كتب هذه المسرحية هو نفسه «الواقف على التل» ، وإنه في هذه المسرحية قد صوّر نفسه تماماً ، وكيف يعيش بعيداً عن الشعب .

وعلى هذا الاساس كان أسوأ ما يمكن أن تقوم به جماعة مثقفة في

ايران ، هي الاعمال التي قام بها مثقفونا في الاعوام الخمس عشرة للنهضة ، حيث ابتعدوا عن الساحة ابتعاداً تاماً ، وكانت النتيجة معلومة سلفاً ؛ فقد ابتعد عنهم الشعب ايضاً ، إلا إن عدداً ضئيلاً منهم بقي في الساحة ، وكان منهم المرحوم جلال آل احمد نفسه . حتى اصداقؤه وتلاميذه لم يدخلوا الساحة ، وإنما بقوا يتحركون عن بعد . كانت السجون مليئة بأبناء الشعب من العلماء ، وطلبة الجامعات وطلبة العلوم الدينية ، والعمال والكسبة ، وكان أكثرهم من أنصار نهضة الإمام الخميني ؛ لأن أعمالهم ونشاطاتهم كانت تثير الرعب في أوصال أزلام السلطة . فهذه الشخصيات البارزة التي تعرفونها جميعاً ، دخلت السجون وذاقت أمر ألوان التعذيب لساعات متتالية . أما أولئك السادة فلا .

لا شك في أن البعض منهم كانوا يدخلون السجن لأسباب بسيطة ، لكنهم كانوا يبادرون من ساعتهم لكتابة رسائل يعربون فيها عن ندمهم وتوبتهم . ويوجد حالياً بين الوجوه المعروفة التي تريد أن تصبح عناصر للرجعية الثقافية في وقتنا الحاضر - وهو ما سأحدث عنه لاحقاً - أشخاص نعرفهم يكتبون للسلطة رسائل ندم وتوبة ، ويكون ويتضرعون . ونحن نعرفهم حق المعرفة . وهم يعلمون أيضاً أننا نعرفهم ، إلا إن الشباب لا يعرفونهم . لقد أثبتت تلك الفئة منذ ذلك اليوم حتى عهد الثورة ، أنها فئة لا يمكن الركون إليها في قيادة الشعب فكرياً .

لقد حدث نوع من التحرك قبل انتصار الثورة بسنة أو سنتين ، وكان سببه أن مد الثورة سرى إلى كل الأوساط ، بما يحمله من ثقل معرفي وعقائدي . وكان الكثير من الأشخاص لا يعتقدون الاسلام ، بيد أنهم - وبفضل تلك النهضة - أخذوا يؤمنون به ، وكان الكثير من الفتيات لا يعترفن بالحجاب ، إلا إنهن أخذن في أيام النهضة بارتداء

الحجاب بدون أن يأمرهن أحد بذلك . وهذا يعني أن نهضة الإمام عبر امتدادها واتساعها وبلوغها أوجها ، ومن خلال اتّخاذها طابعاً كربلائياً ، وتقديمها للمزيد من التضحيات والشهداء ، كانت تكسب المزيد من الأنصار ، وينضم إليها المزيد من الدعاة . وكلما كان مدّ الثورة يتسع أكثر ، كان ينتشر معه نداء الثورة بما يحمله من دعوة للتدينّ والتمسك بالاصول والمعارف والإسلامية ، وانضمت إليه مجموعة - أشخاص معيّنون لا أريد ذكر أسمائهم - دخلوا إلى الساحة إلى أن انتصرت الثورة .

بعد انتصار الثورة لم يسقط التيار الثقافي في إيران من الاعتبار ، حيث كان هناك تيار ثقافي ، إلّا أنه اتخذ في الحقيقة طابعاً جديداً ، حيث ظهر في عهد الثورة كُتّاب ومحققون وشعراء وناقدون ومحققون ، ومخرجون وسينمائيون ورسامون وكُتّاب مسرحية ، من كلا الطائفتين اللتين خلقت الثورة عناصر أحدهما ، وقلبت ماهية عناصر الأخرى التي كانت موجودة قبل الثورة . وعادت الثقافة تحمل طابعها الوطني الأصل للمرة الأولى في إيران ، بعد ما يقارب المئة عام من بداية التحرك الثقافي فيها ، وبات الأشخاص المعنيون بالشأن الثقافي ومن يعيشون في إطار هذه الدائرة ، من كُتّاب وشعراء وغيرهم من أصحاب الاختصاصات الأخرى كالفنانين والرسّامين ومن حذا حذوهم ، يفكرون للمرة الأولى كإيرانيين ، ويتحدثون كمسلمين ، ويقدمون نتاجاً أدبياً وثقافياً وفنياً يصب في هذا الإطار . وكان هذا عهداً جديداً .

نعم ، كان هناك بطبيعة الحال مقاومة من البعض ، إلّا إن التحرك الثوري الهائل الذي كان كل شيء بمثابة المقدّمة التمهيدية له - واعلموا أن كل فكر وعمل يُعد مقدّمة لمثل هذا التحرك ، كالتحرك الذي انتهى إلى قيام الثورة في بلدنا - عاد على البلد بأوسع العطاء . لهذا هيمن

المد الثقافي الإسلامي والوطني بفروعه المختلفة على كافة المجالات ،  
فبدأ الموسيقار والملحن والفنان والأديب والشاعر يفكرون ويعملون  
على النمط الإسلامي ، أو يحاولون على أدنى الاحتمالات أن يكونوا  
كذلك . وهذه طبعاً ظاهرة حديثة العهد .

كانت الحرب حقلاً خصباً لبروز مثل هذه الطاقات . وأنتم تعلمون  
أن الأحداث الكبرى والعصية التي تمر بكل بلد ومن ضمنها الحرب ،  
تؤدي عادة إلى ازدهار الآداب والفنون فيه . ومن المعروف ان أجمل  
الروايات وأفضل الأفلام ، وربما أطول الأشعار ، هي تلك التي اعدت  
وأنتجت للحروب وفي أيام الحروب . وهكذا كان الحال في حربنا  
أيضاً .

لقد اعتدي علينا في هذه الحرب ، وتعرضنا لظلم مرير من دون أن  
نعتدي على أحد ، أو نوقر له ذريعة العدوان علينا ، ولم نطلق ولا حتى  
رصاصة واحدة على الأراضي العراقية . إلا إن طبيعة الثورة هي التي  
دفعتهم للهجوم علينا .

زار أحد الزعماء الوطنيين الأفارقة (أحمد سيكوتوري) رئيس  
جمهورية غينيا سابقاً ، زار إيران عدة مرّات في عهد رئاستي  
للجمهورية ، وكانت إحدى تلك الزيارات في أيام الحرب ، وقال لي  
حينها : لا تعجبوا من هذه الحرب التي فرضت عليكم ، فكل ثورة تهب  
بوجه القوى الاستكبارية والاستعمارية العالمية المتنفذة ، يكون أول  
عمل تلقاة منهم هو أنهم يؤلّبون عليها جيرانها ، ولا تعجبوا أن  
شملكم هذا القانون العام ، وإذا كانوا قد هجموا عليكم من طرف  
حدودي واحد ، فأنا قد هجمت عليّ خمس دول من خمسة اطراف  
حدودية ؛ لأن بلدنا صغير وتجاوره بلدان متعددة .

وإنما تعرّض بلده للهجوم لأنه كان زعيماً ثورياً جاء إلى السلطة  
بواسطة الثورة .

لقد شارك الشعب كله في الحرب ، وكان دور القيادة فيها دوراً بارعاً ، وكانت القيادة سبباً في المشاركة الشعبية الواسعة . وأدت ظاهرة الالتحاق بقوات التعبئة ، وتشكيل الحرس الثوري ، والتحرك الهائل للجيش ، وما واكب كل ذلك من دعم ومساندة جماهيرية ، إلى إيجاد الجو اللازم للرقى بالثقافة في الاتجاه الصحيح .

هذه هي الحالة الغالبة ، ولا نقول إن الجميع كانوا هكذا ، بل فيها استثناء ؛ ففي أثناء الحرب كتب احدهم قصة عن الحرب ، إلا إن قصته تلك كانت فيها ادانة لايران . وهكذا تكون النتيجة عندما يرفض المرء التخلي عن مواقفه المغلوطة بأي ثمن كان . فما هي المؤاخذه التي تؤاخذ عليها ايران ، حين تعرضت الاهواز وعبادان وخرمشهر لهجوم عسكري معاد ، وهبت الجمهورية الاسلامية قيادة وحكومة وقوات مسلحة وشعباً للذود عنها ؟

في حين نرى تلك القصة تزخر من اولها إلى آخرها بالانتقاد والاستهزاء بالشعب وبمسؤولي تلك المنطقة . وقد صدرت امثال هذه الامور من بعض القدماء ايضاً ، إلا إن السياق العام لم يكن هذا . لقد كان النهج العام إلى ما بعد مرحلة الحرب وما تلاها ، يسير في الاتجاه الصحيح .

كان هذا تقدماً ورقياً يتطابق مع ما تمليه طبيعة الثقافة في عالم الحركة الثقافية ؛ لأن من طبيعة الرقي السير قدماً . وهذه هي الحالة السليمة التي تتقدها من ذلك المسار المغلوط ، ومن تلك الاوضاع السقيمة ، بيد أن مثل هذا التحول ما كان له ليحدث في ظروف ما قبل الثورة ، وإنما ظروف الثورة هي التي مهدت له السبيل .

بقيت لي كلمة واحدة ألخص فيها الموضوع الذي طرحت هذا البحث من أجله ، وتلك الكلمة هي أن عملاً جاداً قد بدأ من بعد انتهاء فترة الحرب ، لاعادة الثقافة الايرانية إلى حالتها المرضية التي كانت

عليها قبل الثورة ، أي النكوص والرجوع إلى الوراء ، والخصام مع الدين ومناهضة المؤسسات الوطنية والاصيلة ، والتوجه نحو الغرب والتبعية له بلا قيد أو شرط ، والترحيب بكل ما يأتي من الغرب - من اوربا واميركا - واكبار كل ما هو اجنبي ، واحتقار كل ما هو ذاتي ، بما ينطوي عليه هذا المعنى تلقائياً من ازدراء بالشعب الايراني واستهانة بمؤسساته ، وهذا ما المس وجوده حالياً .

ولكن من هم الذين يبذلون مثل هذه الجهود ؟ من الممكن طبعاً تخمينهم ، ولكنني لا استطيع أن اقدم هنا خبراً قطعياً متيقناً . لا شك في أن بعضهم ممن لم يؤمنوا بالله طرفة عين ، ولم يؤمنوا بالاسلام ولا بإيران ، ولم يرفعوا رؤوسهم في السنوات التي سادت ايران تيارات الثقافية الالهية والاسلامية والدينية والحقيقية والايرانية - أو سموها ما شئتم - وإنما انعزلوا في زاوية أو سافروا إلى الخارج ، وعثروا هناك على معبودهم وقبلتهم ومعشوقهم . ولم تكن لهذا الشعب ولهذا التاريخ ولهذه التقاليد ولهذه الثقافة أية اهمية لديهم ، ومن الطبيعي أن مستقبل هذا الشعب لا اهمية له عندهم . وهؤلاء حتى وإن تكلموا أو زعموا أمراً ما ، إلا إن الماضي لا يحمل دلالة على صدقهم . وهم لا يفكرون بمصالح الشعب وإنما يفكرون بمصالحهم الذاتية .

من المحتمل أن البعض قد يقع تحت تأثير ما يثيرونه من عناوين ومسميات رتانة ، كما ويحتمل - ولا أجزم بذلك - أن يكون البعض مسخرين لهذا الغرض بالأجرة ؛ فمن جملة الامور التي قد تدخل في خدمة المال بكل بساطة ، هي الادب والفن والكتابة والشعر . ولا عجب في ذلك ؛ فقد كان هناك شعراء كبار امتدحوا باشعارهم ملوكاً كانوا يستحقون اللعن والهجاء . هناك اشخاص كثيرون دافعوا عن صروح العار والمخازي ، رغبة في المال والشهوة والمطامع الدنيوية ، في



حين كان ينبغي لهم البراءة منها . وكما سبق أن اشرت فإنَّ كلامي هذا قائم على الحدس والتخمين ، وليس كلاماً قطعياً ومؤكداً . وهذا ما يفرض على مثقفينا المسلمين (المتمسكين بالدين) عدم السماح لهم بالعودة بعجلة الثقافة إلى الوراء .

ولا يعني عدم السماح لهم بمثل هذا العمل ، أن يقوم الاسلاميون من ساعتهم ويشتبكوا معهم . فالساحة الثقافية لا مجال فيها للتلاكم ، وإنما هي ساحة للفكر وسلاحها سلاح ثقافي ، ويجب على الشباب من اصحاب النشاطات الثقافية أن يكون لهم وجود قوي فيها .

أيها الشباب ، عليكم ببناء انفسكم ؛ فالشعب إذا اراد قطع شوط التقدم والكمال ، يحب عليه الاستناد إلى قاعدة رصينة من الايمان والفكر ، وإلا فإن الشعب أو الجيل أو الشاب الذي يريد الانقياد لفئة بعيدة عن الدين والايمان ، ولا تؤمن بالقيم الاخلاقية والدينية ، ومسايرتها على نهجها ، سيجد نفسه قائماً على اساس هش . وسيكون جيل الشاب كما كان عليه في العهد البهلوي من يأس وخواء ، وميل إلى الفساد والتحلل واستعداد للانحراف . ويتحتم على من يريد انتشالهم من ذلك الطريق وتسديدهم نحو الصراط السوي ، بذل جهود شاقة والقيام بحركة كالثورة الاسلامية ، لا يتيسر حصولها في هذا البلد على مدى قرن ، بل وعلى مدى قرون عديدة .

يجب إذن الحفاظ على الكيان الحالي بجميع الطاقات ، ويجب ألا يسمحوا لزمرة من الاشخاص ، الذين لم يستطيعوا طوال سنوات متمادية تقديم أية خدمة لهذا الشعب ، بما لديهم من وسائل وادوات ثقافية ، ولم يقفوا إلى جانبه في أية مشكلة أو قضية مهمة من قضاياها ، بل ولم يستطيعوا حتى اللحاق به ، فما بالك أن يكونوا سباقين أو أن يكون زمام الريادة والزعامة بأيديهم ، لا يسمحوا لهم بأن يعودوا إلى البلد ثانية وينشروا ثقافتهم وافكارهم . وما نشاهده اليوم في بعض

الصحف والمجلات والاصدارات الثقافية ، ينم عن وجود رغبة في العودة إلى الماضي ، وإلى الحالة الثقافية السقيمة . وهذه هي القضية الاساسية والمهمة المطروحة على بساط البحث اليوم .

من الطبيعي أن ادعاء الثقافة حينما يريدون التحدث في هذا المجال ، يجلسون عادة وينمقون الكلمات ، زاعمين أن الثقافة لا تنسجم مع الدين ، وأن الدين إذا حلّ في بلد ، يطغى على كل جوانب الحياة فيه . ومن المؤسف أن المرحوم جلال آل احمد نفسه وقع في مثل هذا الخطأ التاريخي ، إذ قال في هامش احد كتبه : بما أن العلماء والكتاب والادباء اصبحوا إلى جانب الجهاز الحاكم في العهد الصفوي [يعني مثلاً أن ميرداماد جلس إلى جانب الشاه عباس] لهذا فقد انحطت الفلسفة والشعر والادب والفن آنذاك . إلا إن هذا التصور مغلوط ، فليس هناك عهد أغزر عطاء في الادب من العهد الصفوي .

لم يكن المرحوم آل احمد شاعراً ، ويبدو لي أنه صرّح بهذا الرأي عن عدم معرفة . ويعود سبب ذلك إلى أن الشعراء المعارضين للاسلوب الهندي ، القوا في الازهان رأياً مغلوطاً شائعاً ؛ فالاسلوب الهندي قد ازدهر في العهد الصفوي ، وظل قائماً إلى عهد الزندية واولئل العهد القاجاري ، ثم برزت بعد ذلك جماعة يُقال لها (المتجددون) ، واتحاد ادباء اصفهان عارضت الطريقة الهندية بشدة . ومع أن أشعارهم لم تبلغ من الجودة ما بلغته الاشعار المنظومة على الطريقة الهندية ، إلا إنهم على كل الاحوال كانوا معارضين لها . وعلى هذا الاساس أشيع منذ ذلك الحين أن العهد الصفوي كان عهد انحطاط الادب .

والحقيقة أن الامر ليس كذلك ؛ فالكثير من الشعراء الكبار من امثال صائب وكليم وعرفي وطالب الآملي ، وهم شعراء كبار قلماً نجد نظيراً لهم في تاريخ الشعر ، كانوا من شعراء العهد الصفوي . وقد اورد

النصر آبادي في «تذكرة النصر آبادي» اسماء ما يقارب الف شاعر في عصره في اصفهان ، مع تاريخ حياة كل واحد منهم . إذن كان في مدينة كمدينة اصفهان الف شاعر ، ولا شك في أنهم شعراء جيّدون طبعاً ، واشعارهم موجودة ، وتذكرة النصر آبادي موجودة ايضاً . فأين ومتى كان لنا مثل هذا العدد من الشعراء ؟

وفي الفلسفة ، برز الملا صدرا في العهد الصفوي وهو اكبر فيلسوف ظهر في تاريخ الفلسفة الاسلامية . والميرداماد ايضاً برز في العهد الصفوي ، وفيه ايضاً برز الفيض الكاشاني العارف الشهير ، وكذلك اللاهيجي الفيلسوف والمتكلم المعروف ، فما معنى قولهم أن العصر الصفوي كان عصر انحطاط الشعر ؟ بل بالعكس كان العهد الصفوي عهد ازدهار الادب والفن .

المراد من الادب طبعاً هو الشعر لا النثر . وحتى النثر ازدهر ايضاً ولكنه لم يبلغ تلك الذروة . وكذا الحال في الاعمال المعمارية والفنية ؛ فقد كان افضلها ما أنجز في العهد الصفوي . لا يمكنكم العثور على امتداد التاريخ على مثيل لمسجد الشيخ لطف الله من جهة ، وميدان نقش جهان في اصفهان من جهة اخرى ، وغيرهما من الابنية الاخرى من جهة ثالثة ، إلا ما ندر .

في العهد الصفوي لم يكونوا يدخلون الشعراء إلى البلاط ، حتى يقال إنهم كانوا يقدّمون لهم الاموال . وإنني هنا لست بصد الدفاع عن العهد الصفوي ، لأننا على طرفي نقيض مع الملوك . والملكية اساساً أمر مستهجن ، ولا يمكن لملك أن يكون صالحاً ؛ فالملكية تعني التملك والمالكية ، ومن يطلق على ذاته سمة الملك - أي الشاه - يتعامل مع شعبه ومع رعيته من منطلق ملكيته لهم . والاسلام يرفض الملوكية اساساً . وسبق لي أن اشرت إلى أن الخلافة والولاية هي النقطة المقابلة للملكية . وزعماء العهد الصفوي كانوا ملوكاً ايضاً وليس

بوسعنا الدفاع عنهم .

إلا إن الكلام الذي سبقت الإشارة إليه مغلوط من الناحية التاريخية ، ولا يمكن القول إن الادب والشعر قد انحط في العهد الصفوي . وألاحظ حالياً بعض الآراء تطرح في الاذاعة وفي التلفاز وهنا وهناك ، انطلاقاً من تلك الاثارات . والحقيقة هي أن العهد الصفوي لم يكن عهد انحطاط أدبي ؛ فلم يأت من بعد (حافظ) شاعر يضاهي (صائب) في الشعر الغزلي ، ولم يأت من بعد الرودي شاعر أكثر كصائب الذي له مئتا ألف بيت ، وهو طبعاً شاعر مجيد يمكن الوقوف عند شعره والدفاع عنه ، وإلا فالشعراء العاديون كثيرون .

ويتضح من هذا أنه لم تكن ثمة مدينة تضاهي اصفهان ، بعدد ما كان فيها من الشعراء والفنانين والفضلاء والفلاسفة والفقهاء .

وعلى كل الاحوال ، هذه هي الرجعية الفكرية التي تعني فيما تعنيه، العودة إلى عهد المرض الثقافي ، والرجوع إلى حالة ترف المثقفين ، وتجاهل الاجهزة الثقافية والتيارات الثقافية لجميع القيم والتقاليد الاصلية ، ولتاريخ وثقافة هذا الشعب . وكل من يحمل هذه الراية اليوم فهو رجعي حتى وإن سمي مثقفاً وشاعراً وكاتباً ومحققاً وناقداً . والرجعية الفكرية معناها العودة إلى ثقافة ما قبل الثورة بخصائصها وتوجهاتها المعادية للدين وللتقاليد الاصلية .

انتم ايها الجامعيون جزء لا يتجزأ من الطبقات المثقفة ، وعليكم التفكير بهذا الموضوع واجالة النظر فيه . ولو شئت التوسع بالحديث في هذا المجال ، لاستغرق الموضوع وقتاً أطول ؛ لأن الامثلة في هذا الصدد كثيرة ، والكلام في هذا المضمون ذو شجون ، وهناك انتقادات كثيرة لمن كانت لهم آراء في هذا الشأن ، ولو أردت تناولها باجمعتها لاستلزم ذلك متسعاً من الوقت . إلا أنني أدع البحث إلى فرصة أخرى ومجال آخر .

## دراسات

السيد كاظم المازني

نشرنا في الاعداد السابقة من المجلة حلقات متوالية في الجانب العملي من تزكية النفس ، استعرض فيها الكاتب المحترم كلاً من التوبة والإنابة والمحاسبة .

وفي هذا العدد ننشر حلقة أخرى في الجانب العملي من تزكية النفس ، حيث يتناول فيها الكاتب كلاً من التفكير والتذكر ، والاعتصام والفرار ، والرياضة ومجاهدة النفس ، والحزن .

«التحرير»

### التفكير والتذكر

قال الله تعالى : ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من

أنصار \* ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر  
لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار \* ربنا وآتانا ما وعدتنا على  
رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد \* فاستجاب لهم ربهم أني لا  
أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا  
وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم  
ولأدخلنهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن  
الثواب ﴿١﴾ .

(١) آل عمران: ١٩٠-١٩٥.

ومن مقدّمات السلوك إلى الله التفكير والتذكر . وقد قيل : إنّ التذكر  
فوق التفكير ؛ لأنّ التفكير يكون عند احتجاب القلب بصفات النفس ،  
فيلتمس الانسان البصيرة المطلوبة ، والتذكر يكون عند رفع الحجاب ،  
وخلوص خلاصة الانسانية من قشور صفات النفس ، والرجوع إلى  
الفطرة الأولى ، فيتذكر ما انطبع فيها من الأزل من التوحيد والمعارف  
بعد النسيان ، بسبب التلبس بغواشي النشأة ، وقد يكون التذكر  
للمعاني التي حصلت بالتفكير بعد نسيانها (٢) .

(٢) راجع شرح منازل  
السائرين لكمال الدين عبد  
الرزاق الكاشاني : ٢٤ .

وعلى أية حال ، فالتفكير والتذكر أمران متفاعلان ، وأحدهما يدعو  
إلى الآخر ، فإن التفكير يورث التذكر لما نسيه بسبب أغشية النفس ،  
كما أن التذكر يورث الانتباه ، ومن ثم يدعو إلى مزيد من التفكير .

(٣) فاطر : ٣٧ .

والأمر بالتذكر وارد في القرآن الكريم بكثرة كثرة ، كقوله تعالى :

(٤) السجدة : ٤ .

﴿ أولم نعوذكم ما يتذكر فيه من تذكر ... ﴾ (٣) . ﴿ ... ما لكم من دونه ولي ولا

(٥) البقرة : ١٥٢ .

شفيع أفلا تتذكرون ﴾ (٤) . ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ (٥)

إلى غير ذلك من الآيات .

وكأنّ أحد أغصان التذكر المهمة المأمور بها في القرآن ، هو تذكر  
ما عهد إلينا في عالم الذر المنطبع في الفطرة ، سواءً فرضنا عالم الذر  
نفس عالم الفطرة ، أو عالماً أسبق به تكوّنت الفطرة الطاهرة ، فإنّ  
أغشية النفس أذهلتنا عن ذلك ولا نذكرها ، ولكننا نستطيع أن نتذكرها

بمعنى الرجوع إلى الفطرة والتفتيش عما فيها والحصول عليها ، فقوله تعالى مثلاً : ﴿... أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر...﴾ ، يعني أن المقدار الذي تفضلنا به عليكم من العمر ، كافٍ لوجدانكم لما هو الكامن في فطرتكم من التوحيد والمعارف .

وقد رُتّب التذكر في القرآن تارة على الإنابة ، وأخرى على اللب ، قال الله تعالى : ﴿... وما يتذكر إلا من ينيب﴾<sup>(٦)</sup> ، وقال تعالى : ﴿... إنما يتذكر أولوا الألباب﴾<sup>(٧)</sup> .

(٦) غافر : ١٣ .

(٧) الرعد : ١٩ ، والزمر : ٩ .

أما التفكير فله أقسام كثيرة ، منها ما يلي : فقد يكون تفكيراً في آيات الله ، كما أشارت إليه الآيات التي بدأنا بها الحديث ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض...﴾ ، وهذا تفكير يبعث بمعرفة الله وبالتوحيد ، وفي نفس الوقت يبعث بالتذكير بالوظائف وضرورة الطاعة والإيمان والهرب من العذاب ؛ ولهذا أعقبه الله - سبحانه - بقوله : ﴿... ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار﴾ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخصيته وما للظالمين من أنصار ﴿ ربنا إنما سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاعفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار...﴾ .

وأخرى يكون التفكير في نعم الله وآلائه ، وثالثة في كتاب الله أو في المناجاة والدعاء والصلاة ، كما قال رسول الله ﷺ فيما ورد في وصاياه لأبي ذرّ : «... يا أبا ذرّ ، ركعتان مقتصدتان في تفكر ، خير من قيام ليلة والقلب ساه»<sup>(٨)</sup> ، ورابعة في النفس وحالاتها ومهالكها وأساليب علاجها ونجاتها ، وخامسة في العبر المؤثرة في النفس ، كما ورد عن الحسن الصيقل قال : «سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة . قلت : كيف يتفكر ؟ قال : يمر بالخربة أو بالدار

(٨) البحار : ٧٧ : ٨٢ .

(٩) تفسير البرهان : ١

ومن هذا النمط الكلام المروي عن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام :  
«... واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى  
قبلكم ، ممن كان أطول منكم أعماراً ، وأعمر دياراً ، وأبعد آثاراً . أصبحت  
أصواتهم هامة ، ورياحهم راكدة ، وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم  
عافية . فاستبدلوا بالقصور المشيدة ، والنمازق الممهدة ، الصخور والأحجار  
المسندة ، والقبور اللالطنة المُلحدة ، التي قد بُني بالخراب فناؤها ، وشيد  
بالتراب بناؤها ، فمحلها مقرب ، وساكنها مغرب بين أهل محطة موحشين ،  
وأهل فراغ متشاغلين ، لا يستأنسون بالأوطان ، ولا يتواصلون تواصل  
الجيران ، على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار ، وكيف يكون بينهم تزاوٍ  
وقد طجنهم بكلِّه البلى ، وأكلتهم الجنائِل والثرى ...» (١٠) .

(١٠) نهج البلاغة، ج ٢٢٦ .

وقد روي أنه «سُئِلَ عيسى عليه السلام : من أفضل الناس ؟ قال : من كان  
منطقه ذكراً ، وصمته فكراً ، ونظرة عبدة» (١١) .

(١١) تفسير البرهان ١: ٣٣١ .

وعن الصادق عليه السلام قال : «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : نَبَّهْ بالتفكر قلبك ،  
وجافِ عن الليل ساجداً ، واتَّقِ الله ربَّك» (١٢) .

(١٢) م . ن .

وإنني أختم الحديث في هذا الفصل بذكر روايتين واردتين ، بشأن  
الآيات المباركات التي افتتحنا بها هذا الفصل :

الأولى - رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما (١٣) قال : «قلت لعائشة : أخبريني بأعجب  
ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فبكت وأطالت ، ثم قالت : كلُّ أمره  
عجب ، أتاني في ليلتي ، فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ،  
ثم قال لي : يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربِّي ؟ فقلت :  
يارسول الله إنِّي لأحبُّ قريبك ، وأحبُّ مرادك . قد أذنت لك . فقام إلى  
قربة من الماء في البيت ، فتوضأ ولم يكثر من صبِّ الماء ، ثم قام  
يصلي ، فقرأ من القرآن ، وجعل يبكي ، ثم رفع يديه فجعل يبكي ،  
حتى رأيت دموعه قد بلَّت الأرض ، فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة ،  
فراه يبكي ، فقال له : يارسول الله ، أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم من

(١٣) التفسير الكبير للرازي

٩ : ١٣٣ - ١٣٤ .



ذنبك وما تأخر ؟ فقال : يا بلال ، أفلا أكون عبداً شكوراً . ثم قال : ما لي لا أبكي وقد أنزل الله في هذه الليلة : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ... ﴾ . ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها . وروي : ويل لمن لأكها بين فكّيه ولم يتأمل فيها .

(١٤) كذا في المصدر،  
وصوابها «نائمان»  
«التحريض»

الثانية - ما روي عن حبة العرني : قال : «بيننا أنا ونوف نائمين» (١٤) في رحبة القصر ، إذ نحن بأمرير المؤمنين ﷺ في بقية من الليل واضعاً يده على الحائط شببيه الواله ، وهو يقول : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ... ﴾ . قال : ثم جعل يقرأ هذه الآيات ، ويمرّ شبه الطائر عقله ، فقال لي : أراقد أنت يا حبة أم راقق ؟ قال : قلت : راقق . هذا أنت تعمل هذا العمل فكيف نحن ؟ فأرخى عينيه فبكى ، ثم قال لي : يا حبة إن لله موقفاً ، ولنا بين يديه موقفاً ، لا يخفى عليه شيء من أعمالنا . يا حبة ، إن الله أقرب إليّ وإليك من حبل الوريد . يا حبة ، إنه لن يحجبني ولا إتيك عن الله شيء . قال : ثم قال : أراقد أنت يا نوف ؟ قال : قال : لا يا أمير المؤمنين ما أنا براقد ، ولقد أطلت بكائي هذه الليلة . فقال : يا نوف ، إن طال بكأوك في هذا الليل مخافة من الله تعالى ، قرّت عينك غداً بين يدي الله عزّ وجل ... (١٥) .

(١٥) البحار ٤١ : ٢٢ .

### الاعتصام والفرار

قال الله تعالى : ﴿ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم \* يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون \* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (١٦) .

(١٦) آل عمران : ١٠١ - ١٠٣ .

وقال عزّ وجل : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ... ﴾ (١٧) .

(١٧) النساء : ١٤٦ .

وقال عزّ من قائل : ﴿... واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ (١٨).

(١٨) الحج : ٧٨ .

وقال جلّ جلاله : ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾ (١٩).

(١٩) النساء : ١٧٥ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ففرّوا إلى الله إنّي لكم منه نذير مبين﴾ (٢٠).

(٢٠) الذاريات : ٥٠ .

قد فسّر بعضُ الاعتصام بالله والاعتصام بحبل الله الواردين في القرآن الكريم ، بأنّ الثاني هو الاحتماء بطاعة الله ، وهو اعتصام عامّة الناس ، والأول هو الانقطاع إلى الله عن كل موهوم ، وذلك إما بمعنى الإعراض عمّا عداه ، والتمسك به وحده ، وهو اعتصام الخاصّة ، أو بمعنى الاتصال الذي يعني الوصول إلى شهود الحقّ تفرّداً ، وهو اعتصام خاصّة الخاصّة» (٢١).

(٢١) منازل السائرين ، باب الاعتصام ، وهو الباب السابع من البدايات. ويحتلّ في عبارته أن يكون المقصود ما هو من خرافات العرفان الكاذب ، فراجع .

أقول : الاعتصام معناه الدخول في عصمته وحصنه والاحتماء به ، على اختلاف درجات ذلك باختلاف درجات عرفان العبد .

وتعابير القرآن اتّفقت على الاعتصام بالله . أمّا الاعتصام بحبل الله فلم يرد إلّا في مورد واحد . والظاهر أن سبب الفرق هو أن المقصود في باقي الموارد في القرآن ، كان هو بيان أنّ الحصن الوحيد الواقى من جميع الأخطار هو الله تعالى ، فلا بدّ من الاعتصام بعصمته بالشهادة المخلصة بالوحدانية . وفي خصوص المورد الذي عبّر فيه بالاعتصام بحبل الله ، كان الكلام عن توحيد الصّف وعدم التفرّق ، فناسب التعبير بالحبل الذي هو عِدَد يوحد المفردات المختلفة ، وإشراب الاعتصام معنى التمسك ، فالمعنى - والله العالم - تمسّكوا بحبل الله ، وتوحّدوا بذلك ولا تفرّقوا . وقد فسّر حبل الله في أكثر رواياتنا بعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أو بالأئمة المعصومين (عليهم السلام) (٢٢) .

(٢٢) راجع تفسير البرهان ٣٠٥ : ٣٠٧ .

ومن الروايات الطريفة الواردة بشأن الاعتصام بالله ، ما ورد عن عبد الله بن سنان بسند صحيح ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «أيّما عبد أقبل قبل ما يحبّ الله عزّ وجل ، أقبل الله قبل ما يحبّ ، ومن اعتصم بالله عصمه

الله ، ومن أقبل الله قبله وعصمه ، لم يبال لو سقطت السماء على الأرض ، أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليّة ، كان في حزب الله بالتقوى من كلّ بليّة ، أليس الله يقول : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (٢٣) .

(٢٣) الوسائل ١٥: ٢١١، ب  
١٠ من جهاد النفس، ج ١،  
والآية ٥١ من الدخان .

وأما الفرار إلى الله فهو قريب المعنى من الاعتصام بالله ، إلا أنّ الاعتصام يشتمل على التركيز على الجانب الايجابي ، وهو الالتجاء إلى الله ، والفرار يشتمل على التركيز على الجانب السلبي ، وهو الهروب ممّا يخاف منه .

وعلى آية حال ، فالاعتصام بالله والفرار إليه ممّا لا بدّ منه في تزكية النفس ؛ إذ لا حول ولا قوة إلاّ به ﴿ ... ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً... ﴾ (٢٤) .

(٢٤) النور : ٢١ .

## الرياضة ومجاهدة النفس

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (٢٥) .

(٢٥) التازعات : ٤٠ - ٤١ .

وقال عزّ من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٦) .

(٢٦) العنكبوت : ٦٩ .

لا شكّ في أن النفس أمارّة بالسوء ، وميالة للكسل والدعة ، ومحبة للتحرّر من قيود الدين ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ (٢٧) . إذن لا يمكن حبسها على سبيل الخير والإصلاح إلاّ بترويضها ومجاهدتها . وأيضاً من خواصّ النفس أنّها تخادع نفسها ، وتغطّي الحقيقة ، وتجعل الإنسان غافلاً عن معاييه ، فلا بدّ من رياضة النفس ومجاهدتها في كشف المعاييب ، كما لا بدّ من الرياضة في رفعها وتصفية النفس منها .

(٢٧) القيامة : ٥ .

وقد ذكر بعض (٢٨) أن هناك طرقاً أربعة لكشف معاييب النفس ينبغي سلوك بعضها ؛ لكشف تلك العيوب لغير من كملت بصيرته ،

(٢٨) راجع المحجة ٥: ١١٢  
- ١١٤ ، نقلاً عن كتاب  
الإحياء .

فإن الله - تعالى - إذا أراد بعبد خيراً بَصَّرَهُ بعيوب نفسه ، فمن كملت بصيرته لم تَحْفَ عليه عيوبه ، وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ، ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم ، يرى أحدهم القذى في عين أخيه ، ولا يرى الجذع في عين نفسه ، فمن أراد أن يقف على عيوب نفسه فله أربع طرق :

الأول - أن يجلس بين يدي بصير بعيوب النفس ، مطّلع على خفايا الآفات ، فارغ عن تهذيب نفسه ، فيحكّمه على نفسه ، ويتّبع إشاراتِهِ في مجاهدته ، ومَنْ وجد ذلك فقد وجد الطبيب ، فليلازمه ، فهو الذي يَخْصُصُه من مرضه ، وينجيه من الهلاك ، إلّا إنَّ هذا قد عَزَّ في هذا الزمان وجوده .

الثاني - أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً ، فينصبه رقيباً على نفسه؛ ليراقب أحواله وأفعاله ، فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبّهه عليه ، حيث قد تغفل النفس عن عيوب نفسه ، ولكن تلتفت إلى عيوب غيره ، فإن كنتُ أغفل أنا عن عيوب نفسي ، كان بإمكانني أن أستعين في كشفها بغيري من صديق صدوق متدين بصير ، فهكذا كان يفعل الأكابر ، وكان بعضهم يقول : رحم الله من أهدى إليّ عيوبي ، وكلّ مَنْ كان أوفر عقلاً ، وأعلى منصباً ، كان أقلّ إعجاباً ، وأعظم اتّهاماً لنفسه .

إلّا أن هذا - أيضاً - قد قلّ وعزّ ، فإن الصديق قد يكون حسوداً ، أو صاحب غرض ، أو يكون صديقاً حقّاً ، ولكنه يداهنك بإخفاء عيبك عليك<sup>(٢٩)</sup> ، وقلّ الصديق الذي يترك المداينة فيخبر بالعيب .

وقد كانت شهوة ذوي الدين أن ينبّهوا على عيوبهم بنصيحة غيرهم . وإذا بنا يكون أبغض الخلق إلينا من ينصحننا ، ويعرّفنا عيوبنا ، ويكاد يكون هذا مفصحاً عن ضعف الإيمان .

الثالث - أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان أعدائه ، فإنّ عين

(٢٩) وقد يكون حبّه لك

مانعاً عن التفاته إلى عيبك

كما قيل :

وعين الرضا عن كلّ عيب

كليلة - ولكنّ عين السخط

تبدي المساويا

السخط تبدي المساوي، ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكر عيوبه، اكثر من انتفاعه بصديق مDAHن يثني عليه، ويمدحه، ويخفي عنه عيوبه، إلا إن الطبع مجبول على تكذيب العدو، وحمل ما يقوله على الحسد، ولكن البصير لا يخلو من الانتفاع بقول أعدائه، فإن مساويه لابد وأن تنتشر على ألسنتهم.

الرابع- أن يخالط الناس، فكل ما يراه مذموماً فيما بين الخلق يطالب نفسه بتركه، وما يراه محموداً يطالب نفسه به؛ لأن الانسان يعمى عن رؤية عيوب نفسه، ولكنه يرى عيوب غيره. إذن فبإمكانه أن يعرف أولاً عيوب الآخرين، ثم يسري الامر إلى نفسه عن طريق المقايسة، فيتفقد نفسه، ويظهرها من كل ما يذمه من غيره، كما يحاول ارتداء ما يراه محموداً من غيره، وناهيك بهذا تأديباً، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب. انتهى ملخصاً وبشيء من التصرف في الألفاظ.

وأما روايات مجاهدة النفس فنقتصر على ذكر بعضها، نرويها عن كتاب الوسائل (٣٠):

١- «إن النبي من بعث سرية، فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الاكبر. فقل: يا رسول الله، ما الجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النفس».

٢- عن الصادق عليه السلام: «احمل نفسك لنفسك، فإن لم تفعل لم يحمك غيرك».

٣- عن الصادق عليه السلام قال لرجل: «إنك قد جعلت طبيب نفسك، وبئس لك الداء، وعرفت آية الصحة، ودلت على الدواء، فانظر كيف قيامك على نفسك».

٤- عن الصادق عليه السلام قال لرجل: «اجعل قلبك قريناً براً وولداً واصلاً، واجعل علمك والداً تتبعه، واجعل نفسك عدواً تجاهده، واجعل مالك عارية تردها».

(٣٠) الوسائل ١٥:١٦١ -

١٦٢، ب ١ من جهاد النفس،

ح ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٦ و ٨ و ٩.

- ٥ - عن الصادق عليه السلام : «مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَاعِظٌ مِنْ قَلْبِهِ وَزَاجِرٌ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ قَرِينٌ مُرْشِدٌ ، اسْتَمَكَنَ عَدُوَّهُ مِنْ عُنُقِهِ» .
- ٦ - عن الصادق عليه السلام : «مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ إِذَا رَغِبَ ، وَإِذَا رَهَبَ ، وَإِذَا اشْتَهَى ، وَإِذَا غَضِبَ ، وَإِذَا رَضِيَ ، حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ» .

### الحزن

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا لَا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴾ (٣١) .

قيل بشأن نزول هذه الآية المباركة : إِنَّ سَبْعَةَ مِنْ فَقَرَاءِ الْإِنصَارِ جَاءُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ تَمْكِينَهُمْ مِمَّا يُمْكِنُهُمْ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ فِي الْجِهَادِ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَدَمِ وَجْدَانِهِ لَذَلِكَ ، فَتَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِشَأْنِهِمْ ، وَعُرِفُوا بَعْدَ ذَلِكَ بِأَسْمِ الْبَكَائِينَ (٣٢) .

(٣١) التوبة : ٩٢ .

(٣٢) راجع تفسير نمونه ٨ : ٨٠ .

الحزن قد يكون بمعنى التوجع على ما فات ، ممّا يقبل التدارك بمثل القضاء أو التوبة أو نحو ذلك ، وأخرى يكون بمعنى التأسف على الممتنع كما في مورد الآية المباركة .

وعلى أي حال ، فهو آية الإيمان ، وعلامة الشوق إلى الخير وإلى الله سبحانه وتعالى ، ويسبب دفع الإنسان - دائماً - إلى جهة الكمال . ومن فوائده في موارد إمكان التدارك البعث إلى التدارك ، ومن فوائده - أيضاً - دفع السرور الزائد الذي يميّث القلب ، ويبعث إلى التمتع وعدم المبالاة في أقل تقدير ، ويسبب الأشر والبطر ، وذلك من المهلكات .

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة المعروفة بخطبة همام ، أو خطبة المتقين التي أوردتها سلام الله عليه في ذكر أوصاف المتقين : «... قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة .

تجارة مربحة يسرها لهم ربهم . أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها . أما الليل فصاقون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً ، يحزنون به أنفسهم ، ويستثيرون به دواء دائهم ...» (٢٣) .

(٢٣) نهج البلاغة خ ١٩٣ .

ولا يخفى أن الحزن بالمعنى الذي يشلّ الانسان عن العمل الاجتماعي ، وعن الانشراح مع إخوانه المؤمنين ، ويوجب انقباضه عن الناس ، وانقباض الناس عنه ، إنما يناسب أهل العرفان الكاذب . أما العارف الصحيح فحزنه يكون كامناً في قلبه ، يمنعه عن الأشر والبطر والبطالة ، ولكن بشره في وجهه ، محبب إلى الناس ، وجلاب لعواطف القلوب ، ومهتم بقضاء حوائج المؤمنين الخاصة ، وبهموم المسلمين والاسلام العامة .

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : «المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدرأ ، وأذل شيء نفساً ، يكره الرفة ، ويشنأ السمعة ، طويل غمّه ، بعيد همّه ، كثير صمته ، مشغول وقته ، شكور ، صبور ، مغمور بفكرته ، ضنين بخلّته ، سهل الخليفة ، لين العريكة ، نفسه أصلب من الصلد ، وهو أذل من العبد» (٢٤) .

(٢٤) نهج البلاغة، ح ٢٢٢ .

قوله عليه السلام : «المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه» إن هاتين الصفتين تكاسر إحداهما الأخرى ، وترفع الآثار السيئة عنها ، فإنّ الحزن وحده يؤدّي إلى الانكماش عن المجتمع وعن الأعمال الاجتماعية ، وهذا شأن العرفاء الكاذبين ، كما أنّ البشر لو كان وحده ، لأدّى إلى البطالة والبطر ، ولكن متى ما اجتمع الحزن الإلهي في القلب مع البشر المأمور به المؤمن أمام الناس ، يتم الاعتدال ، وتكون كلّ من الصفتين كملاً محضاً ، ونافعاً له ولمجمعه ولدينه ودينه وأخرته .



من فقه مدرسة  
أهل البيت (عليه السلام)

# الله

## في توحيدة الله سبحانه وتعالى

السيد  
نور الدين الجزائري

بدأ الدين الاسلامي في تشريعاته ديناً عالمياً لا يعرف حداً بشرياً ولا حداً جغرافياً من البلدان ، ولم يختص بزمان ولا بمكان ولا بجيل ولا قوم خاص من بني آدم .



اختص بخصوصية من بين الاديان لا توجد في غيره ، وهي خاتمته للاديان وخاتمية رسوله للرسل ، فلا يأتي بعده دين ولا يبعث برسول بعد رسوله .

ولم يجعل الاسلام تشريعاته مجموعة من الاعمال الفردية ، بل تعم رسالته المسائل الاجتماعية مجيبة عن الاسئلة في جميع مجالات الحياة غير مختصة بجماعة خاصة ولا بزمان خاص .

فهو دين كامل جامع لجميع الاحتياجات الواقعية للانسان الدنيوية والاخرية ، جسمياً وروحياً وعقلياً واحساسياً فكرياً وعاطفياً فردياً



واجتماعياً في جميع الازمنة والامكنة ، وفيه التشريعات لجميع الحركات والسكنات في طول الحياة مساندة من ناحية العقل والفترة . فهو تشريع كامل في جميع شؤون الحياة في الفرد والمجتمع ، مغني عن غيره من التشريعات والقوانين والدساتير ، شامل لجميع مناهج الحياة المادية والروحية ، قادر على الاستجابة لحاجات الانسان في سبيل سعادته ونيله إلى أعلى درجات الكمال في التقرب إلى الله تعالى والاخلاق الحسنة والمسائل الاجتماعية .

وأول شيء يبدو في هذا المجال هو التساؤل عن شمولية الدين وعن الغرض في بعث الرسل وانزال الكتب السماوية ؟

وقد أجاب القرآن الكريم عن هذا السؤال في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (١) .

(١) الانفال : ٢٤ .

يبين لنا القرآن الكريم في هذه الآية أن الدعوة من الله تعالى ومن الرسول احياء حياة حقيقية ثانوية أعلى من الحياة المادية الاولى ، وهي السعادة والكمال والهداية إلى سبيل التقرب إلى الله تعالى وعالم الغيب والحياة الطيبة .

وقد اجمعت الامة الاسلامية بجميع فرقها على هذه الحقيقة بحيث يغنيها عن اقامة الدليل عليها .

ولكن لا بأس بالاشارة إلى بعض الأدلة في ذلك تكميلاً للأفادة والاستفادة في هذه المقالة :

١ - فمن الكتاب الآيات الدالة على أن القرآن تبيان لكل شيء وتفصيل لكل شيء كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

(٢) النحل : ٨٩ .

تدل هذه الآية على أن كل ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم ومعادهم في القرآن بياناً والهداية إليه .

وقوله تعالى : ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (٣) .

(٣) يوسف : ١١١ .

وهذه الآية تدل على أن في القرآن تفصيل كل شيء وتمييزه . ومقتضى دلالة الآيتين أن القرآن مبين لكل شيء ومفصل له ، والشيء من المفاهيم العامة المبهمة صالحة للانطباق على كل موجود ، فيكون القرآن كتاب هداية لعامة الناس في كل ما يرجع إليهم من أمور الدنيا والآخرة ، وما يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدأ والمعاد والاخلاق الفاضلة والشرائع الالهية وعلم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ، كما دلت عليه الروايات ايضاً .

٢ - الآيات الدالة على أن الاسلام دين عالمي خالد ولا يختص بزمان دون زمان ، وتعاليمه تعم أبناء البشر جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة كقوله تعالى : ﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (٤) . ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ (٥) . ﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ (٦) .

(٤) الانبياء : ١٠٧ .

(٥) القلم : ٥٢ .

(٦) سبأ : ٢٨ .

وحيث إن الدعوة القرآنية عامة لأفراد الانسان فلا بد أن تكون تعاليمه مغنية في جميع مجالات الحياة عن غيره ، مستجيبة لمتطلبات الانسان في جميع حالاته وحوادثه واطواره ، قادرة على معالجة المشاكل والصعوبات .

٣ - ومن السنة قول رسول الله ﷺ مخاطباً لاهله وعشيرته حين نزل قوله تعالى : ﴿وأنذر عشيرتكم الاقربين﴾ (٧) : «إن الرائد لا يكذب أهله . والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة» (٨) .

(٧) الشعراء : ٣١٤ .

(٨) الكامل لابن الاثير

٦١٢ .

ومكاتبات النبي ﷺ إلى ملك ايران وقيصر الروم وزعماء البلاد ورؤساء القبائل تدل على عالمية رسالته وشموله لجميع ابناء البشر . وقال امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «ثم إن هذا الاسلام دين

الله الذي اصطفاه لنفسه ، واصطنعه على عينه وأصفاه خيرة خلقه ، واقام دعائمه على محبته . أدلّ الأديان بعزته ووضع الملل برفعه ، وأمان أعداء بكرامته وخذل محاديه بنصره ، وهدم أركان الضلالة بركنه ، وسقى من عطش من حياضه ، وأتاق الحياض بمواتحه ، ثم جعله لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام لأساسه ، ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع لشجرتة ولا انقطاع لمدته ، ولا عفاء لشرائعه ولا جذّ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته»<sup>(٩)</sup> .

(٩) شرح النهج أبي الحديد  
١٠:٩ .

وقال عليه السلام : في ذم من افتى برأيه : «أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه ، أم كانوا شركاً له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى ، أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه ، والله سبحانه يقول : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ وقال : ﴿ فيه تبيان كل شيء ﴾ ، وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ . وإن القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائب ولا تكشف الظلمات إلا به»<sup>(١٠)</sup> .

(١٠) جامع أحاديث الشيعة،  
المقدمة: ٦٧ .

وقال زرارة سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال : «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة ، لا يكون غيره ولا يجيء غيره»<sup>(١١)</sup> .

(١١) اصول الكافي ١: ٥٨،  
ح ١٩ .

وقال محمد بن علي الباقر عليه السلام : «قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أيها الناس ، حلالي حلال إلى يوم القيامة وحرامي حرام إلى يوم القيامة»<sup>(١٢)</sup> .

(١٢) وسائل الشيعة  
١٨: ١٢٤، ب ١٢، ح ٤٧ .

وقال الباقر عليه السلام : «إن الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله ، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه»<sup>(١٣)</sup> .

(١٣) جامع أحاديث الشيعة،  
كتاب القرآن: ١٧٤ .

وقال الصادق عليه السلام : «إن الله لم ينزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس ، فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة»<sup>(١٤)</sup> .

(١٤) الكافي ٢: ٥٩٩، ب ١،  
ح ٢ .

٤ - إن أحكام الشريعة تابعة للمصالح والمفاسد ، وحيث إنها ما تزال على ماهي عليه ولم يتغير ما فيها وهي باقية بقاء الدهر ، فأحكام

الشريعة المبتناة عليها أيضاً خالدة لا تتغير ولا تتبدل . وهذه الاحكام ناشئة عن المصالح والمفاسد في سبيل تنمية الثقافة والسياسة والاقتصاد والنظام ، وتوسعة امور الحياة في الصناعة والعلوم وكشف قوانين الطبيعة وتوجيه الانسان إلى اظهار الجمال في الجهات المختلفة والاستفادة من اللذات المادية .

٥ - الاسلام رسالة خالدة وخاتمة لاكمال التعاليم في جميع مجالات الحياة ؛ لأن تشريعاته ملائمة للفطرة وموجهة إلى الانسان الفطري لهديته إلى الاعتقاد النقي الفطري والعمل النقي الفطري والمقصد النقي الفطري والمقصود النقي الفطري . واستقرت تعاليمه على اساس فطرة البشر ولا ترى فيها اختلافاً ولا تضاداً ، كما قال الله عز وجل : ﴿ فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ (١٥) .

(١٥) الروم : ٣٠ .

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : قال « سألت عن قول الله عز وجل : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس ﴾ قال : هي الاسلام » (١٦) .

(١٦) الكافي ٢ : ٢٠ ، ح ١ .

والفطرة ثابتة لا تغيير فيها ودائمة لا نفاذ لها أبداً ، فالاحكام المبتنية عليها دائمة باقية ، فإن الغرائز البشرية كالجوع والعطش والشهوة وغيرها مما يرتبط بخلقة الانسان والصفات الكامنة في وجوده باقية مادام الانسان باقياً .

والشريعة جاءت للاستجابة لنداءات الفطرة ومعالجة مشاكلها ، وهداية الانسان إلى تعديل اعمال هذه الغرائز .

نعم المتطلبات في حياة الانسان لا تنحصر بالغرائز الثابتة في وجوده ، بل الظروف تتغير وموضوعات الاحكام تتبدل وتحدث امور جديدة وتوجد مسائل مستحدثة ، والزمان والمكان قد يؤثران في تبديل الحالات الطارئة على المكلف أو على موضوع التكليف ، فالحكم

الشرعي ايضاً يتغير في جميع هذه التغيرات والتبدلات ، ومن هنا يحصل عنصر متغير للاحكام الشرعية ، والاحكام الشرعية تتنوع حسب تنوع العنصرين إلى ثابت ومتغير .

### الشؤون الثابتة والشؤون المتغيرة :

للإنسان في حياته شؤون ثابتة وأخرى متغيرة ، والمقصود من الشؤون المتغيرة هو ظروف الحياة وشروطه المتغيرة والحالات الطارئة المختلفة عليه ، كما أن المقصود من الشؤون الثابتة هو الميول والرغبات والغرائز المحققة للهوية الانسانية الملازمة لحياته التي لا تنفك عنه مدى عمره ودهره .

وحيث إن التشريع الاسلامي شامل لجميع أبعاد الحياة ومجالاته ، فلا بد أن تكون تشريعات الاسلام كاملة والاحكام الصادرة من الشارع مطابقاً لجميعها ، فتكون الاحكام الصادرة من الشارع نوعين نوعاً منها مطابقاً للغرائز الثابتة فيكون احكاماً ثابتة ، وآخر منها مطابقاً للحالات المتغيرة فيكون احكاماً متغيرة .

وإليك نموذجاً من النوعين فيما يلي :

١ - رعاية مصلحة الاسلام والمسلمين واجبة على الحكومة الاسلامية ، وهذا اصل ثابت وقاعدة عامة ، ولكن المصلحة تتغير مع تغير الظروف الخاصة في الازمنة والامكنة . والمصلحة قد تقتضي الحرب وقد تقتضي الصلح ، فالحكم الثابت الذي لا يتغير هو رعاية المصلحة ، والحكم المتغير هو وجوب الحرب أو الصلح على حسب اقتضاء رعاية مصلحة الاسلام والمسلمين .

٢ - المصلحة قد تقتضي عقد اتفاقيات اقتصادية وتجارية مع الاجانب وقد تقتضي خلاف ذلك .

٣ - الدفاع عن كيان الاسلام وحفظ استقلال بلاد الاسلام وحفظ

الحدود واجبة على الحاكم ، وهذا اصل ثابت لا يتغير . وأما كيفية الدفاع واسلوب الاستخدام للقوات فذلك مرتبط بالظروف الزمانية والمكانية وهي متغيرة .

٤ - على ولي امر المسلمين نشر العلم والثقافة الاسلامية المتكفلة بحصول السيادة المادية والمعنوية ، كما أن عليه قلع جذور الجهل والفساد ، وهذا اصل ثابت لا يتغير . وأما نوع العلم والخصوصيات الملحوظة في الحالات المختلفة فليس امراً ثابتاً ، بل هو منوط بنظر الحاكم ورأيه ويختلف باختلاف الظروف والحالات .

٥ - حفظ نظام الاسلام وتحصيل الامن في الطرق والبلاد لا زمان للحكومة ، وهذا امر ثابت لا يتغير ، ولكن استخدام الوسائل المؤثرة في ذلك يختلف باختلاف الظروف والامكنة والازمنة .

٦ - التصرف في مال الغير بغير اذنه حرام واكل ماله بدون رضاه باطل ، وهذا حكم ثابت في الشريعة ، ولكن حسب عروض بعض الحالات كما في المخمصة وعام المجاعة يكون التصرف حلالاً واكل ماله حقاً ، وإن كان الأكل ضامناً ولكن الحرمة تزول حسب عروض هذه الحالة .

٧ - المعاملة السفهية باطلة ومبادلة شيء لا يكون فيها منفعة محالة باطلة ، ولكن حسب الظروف والحالات العارضة قد تصير المعاملة عقلائية صحيحة ، كما في بيع الدم فإن بيعه في الزمان السابق كان حراماً لعدم وجود منفعة عقلائية فيها إلا الاكل المحرم ، ولكن في الزمان الحاضر قد تتوقف حياة إنسان على حقنه به في الوريد ، وهذا منفعة عقلائية مهمة فيجوز بيع الدم في هذا العصر .

٨ - تغيير الحكم بتغيير موضوعه : بقاء الحكم واستمراره منوط ببقاء موضوعه ، فإذا انتفى موضوع الحكم يرتفع الحكم بالضرورة ، وحصول موضوع جديد يستلزم حكماً جديداً ، والصحيح أن يقال إنه

حكم آخر لموضوع آخر .

وعلى هذا المنطق افتى الامام الخميني فتواه المشهورة حول موضوع الشطرنج ، حيث إنه افتى بحرمة حينما كان معدوداً من آلات القمار ، وبعد تغير ذلك في عصرنا وصيرورته من وسائل وأدوات الرياضة الفكرية ، وعدم احتسابه من آلات القمار على سبيل الفرض حكم بحليته ، لانتفاء الحكم بانتفاء موضوعه وعروض عنوان آخر عليه .

فالاحكام تتغير بحسب تغيير موضوعاتها ، والمجتهد لابد أن يعرف زمانه ومقتضياته ، ويغي بناءً على معرفته بالاوضاع وشرائطه فيفتي في جميع شؤون الامة وما يحتاج إليه الناس في جميع جوانب حياتهم ، ولا يقف على ظاهر الموضوع وقشره بل ينظر إلى مغزاه وواقعه وما تقتضيه الدقة فيه .

#### طرق معالجة العنصرين :

لم يحصل التجاهل والغفلة عن العناصر الثابتة والمتغيرة ابداً ، وكان ذلك العنصر مورداً للبحث والتساؤل من اول الشريعة ، والشاهد على ذلك التعابير المفسرة لبعض الروايات الصادرة عن النبي والائمة عليهم السلام ، كالتعبير بأن الحكم في هذه الرواية قضية في واقعه أو مستند إلى علم الإمام أو ناشئ عن الولاية وغير ذلك .

وقد تصدى الفقهاء لمعالجة العنصر الثابت والمتغير من الاحكام الشرعية ، واختار كل واحد منهم طريقاً أو اكثر من طريق . والطرق المعهودة عندهم ما يلي :

١ - جعل الاحكام الشرعية على نحو القضايا الحقيقية ، والتوجه إلى هذه الحقيقة يورث التوسعة في قابلية الاحكام لتحمل التطورات العارضة على موضوعاتها ، وتحرير الموضوع عن مرحلة الاقتضاء

وتصعيده إلى درجة التطبيق في كل عصر ومصر .

قال المحقق النائيني : « لا ينبغي الاشكال في أن المجعولات الشرعية ليست على نهج القضايا الشخصية الخارجية ، بحيث يكون ما ورد في الكتاب والسنة اخبارات عن انشاءات لاحقة ، حتى يكون لكل فرد من افراد المكلفين انشاء يخصه عند وجوده ، فإن ذلك ضروري البطلان ، بل هي انشاءات ازلية ، وإن المجعولات الشرعية إنما تكون على نهج القضايا الحقيقية كما هو ظاهر ما ورد من الكتاب والسنة » (١٧) .

(١٧) فرائد الاصول ١: ٢٧٨ .

فيكون مقتضى ما ورد في الكتاب والسنة عموم التشريع وثبوته لجميع الناس من عصر الشارع الاقدس إلى يوم القيامة ، وابدية الاحكام الواردة فيهما من اجل أن الموضوع في القضايا الشرعية الواردة من الكتاب والسنة يكون عاماً يشمل محقق الوجود ومقدّره .

٢- التحقيق في باب التزام : قد يقع التزام بين حكمين في الشريعة ، فيتصور الفقيه ابتداءً أن بينهما التعارض وعدم امكان الافتاء بهما ، ولكن بعد التحقيق يبدو أن الواقع بينهما إنما هو التزام ، فإذا عرف الفقيه الالهم من الحكمين يتمكن من معالجة المشكلة والعمل بأهم الحكمين منهما .

٣- تدخل العقل في التشريع الاسلامي : الاحكام الشرعية ناشئة عن المصالح والمفاسد الواقعية ، وحيث أن للعقل طريقاً إلى معرفة العنصرين يتمكن العقل من كشف التشريع فيما إذا ادرك المصلحة أو المفسدة في الموضوع الخارجي ، وهذه الحقيقة اورثت قاعدة مشهورة هي كل ما حكم به الشرع حكم به العقل ، وعكسها كل ما حكم به العقل حكم به الشرع .

ولاندعي احاطة العقل بجميع ملاكات الاحكام ومناطاتها ، حتى يقال إن العقل محجور عن ذلك وقاصر عنه ، بل المقصود اثبات عدم



حرمان العقل عن ذلك تماماً ، وإدراك بعض الامور الواقعية احياناً ، خصوصاً العلل المنصوصة في الاحكام والمصالح والمفاسد الواضحة بالبيان .

٤ - منطقة الفراغ التشريعي : نرى في السنة الشريفة نوعين من التشريع : تشريع من باب ابلاغ الاحكام الشرعية الالهية ، وتشريع من باب الحكومة ومنصب الولاية ، والنوع الثاني يشكل دائرة محدودة تسمى بمنطقة الفراغ التشريعي ، ويمكن أن يراد منهما معنيان : الأول : تمكّن ولي الامر من استنباط الحكم الشرعي من العقل العرفي ، مع الاستمداد من اهل الخبرة في الموضوعات .

الثاني : استنباط الحكم في نطاق الاحكام الكلية الثابتة واطار الثوابت من الاحكام الشرعية ، مع ملاحظة اغراض الشرع ومقتضيات الزمان ، والمعنى الثاني يكشف عن الفحص عن الثوابت والمتغيرات في الاحكام .

وإليك نص البيان في ذلك عن الشهيد الصدر ملخصاً . قال عليه السلام : أحدها قد ملئ من قبل الاسلام بصورة منجزة لا تقبل التغيير والتبديل ، والآخر يشكل منطقة الفراغ في المذهب قد ترك الاسلام مهمة ملئها للدولة أو ولي الامر ، يملؤها وفقاً لمتطلبات الاهداف العامة ومقتضياتها في كل زمان .

ونحن حين نقول منطقة فراغ فإنما نعني ذلك بالنسبة إلى الشريعة الاسلامية ونصوصها التشريعية ، لا بالنسبة إلى الواقع التطبيقي للاسلام الذي عاشته الأمة في عهد النبوة ، فإن النبي صلى الله عليه وآله قد ملأ ذلك الفراغ بما كانت تطلبه اهداف الشريعة على ضوء الظروف التي كان المجتمع الاسلامي يعيشها ، غير أنه حين قام بعملية ملء هذا الفراغ لم يملأه بوصفه نبياً مبلغاً للشريعة الالهية التامة في كل زمان ومكان ؛ لكون هذا الملء الخاص من سيرة النبي لذلك الفراغ معبراً عن صيغ

تشريعية ثابتة دائماً.

ملأه بوصفه ولي الامر المكلف من قبل الشريعة بملء منطقة الفراغ وفقاً للظروف . ونريد أن نخلص من هذا إلى نتائج الآتية :

أولاً : أن تقويم الجانب الاقتصادي من الاسلام لا يمكن أن يتم بدون إدراج منطقة الفراغ ضمن البحث وتقدير امكانيات هذا الفراغ .

ثانياً : أن نوعية التشريعات التي ملأ النبي بها منطقة الفراغ من المذهب بوصفه ولي الامر ليست احكاماً دائمية بطبيعتها .

ثالثاً : أن المذهب الاقتصادي يرتبط على هذا الاساس ارتباطاً كاملاً بنظام الحكم في مجال التطبيق<sup>(١٨)</sup> .

(١٨) اقتصادنا: ٣٧٨.

٥- التوسعة في اهداف الاجتهاد : المقصود من الهدف في الاجتهاد هو الاثر الذي ينتظر من الاجتهاد ، ويكون المجتهد في صدد تحصيله وتحقيقه في مسرح الحياة وحركة الاجتهاد ، ومصيره يكون إلى صوب الهدف ، ومع تحول الهدف وتبدله يتغير الاجتهاد ويتبدل ، والهدف من الاجتهاد هو استنباط الاحكام الفردية والاجتماعية لا الفردية خاصة ، فإذا كان الهدف في الاستنباط ملاحظة الحالتين الفردية والاجتماعية يتوسع الاجتهاد وفقاً للتوسعة في الهدف . وإليك نص البيان في ذلك عن الشهيد الصدر<sup>رحمته</sup> ملخصاً : قال<sup>رحمته</sup> : إن حركة الاجتهاد تتحدد وتكسب اتجاهاتها على اساس عاملين ، وهما عامل الهدف وعامل الفن ، ومن خلال ما يطرأ على هذين العاملين من تطور وتغيير تتطور الحركة بنفسها .

واقصد بالهدف الاثر الذي تتوخى حركة الاجتهاد ويحاول المجتهدون تحقيقه وايجاده في واقع الحياة ، واريدهم بالفن درجة التعقيد والعمق في اساليب الاستدلال التي تختلف في مراحل الاجتهاد تبعاً لتطور الفكر العلمي .

اظن أننا متفقون على خط عريض للهدف الذي تتوخاه حركة

الاجتهاد وتتاثر به ، وهو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الاسلامية للحياة ؛ لأن التطبيق لا يمكن أن يتحقق ما لم تحدد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفصيلها ، ولكي ندرك ابعاد الهدف بوضوح يجب أن نميز بين مجالين لتطبيق النظرية الاسلامية للحياة : احدهما تطبيق النظرية في المجال الفردي وبالقدر الذي يتصل بسلوك الفرد وتصرفاته .

والآخر : تطبيق النظرية في المجال الاجتماعي واقامته حياة الجماعة البشرية على اساسها ، بما يتطلبه ذلك من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية .

وكان من الطبيعي أن توسع نطاق هدفها وتبدأ بالنظر إلى مجال التطبيق الفردي والاجتماعي معاً ، وهذا ما يلحظ بداياته بوضوح في الوقائع المعاصرة لحركة الاجتهاد عند الشيعة ، وما تمخض عنه من محاولات للتعبير عن نظام الحكم في الاسلام أو عن المذهب الاقتصادي في الاسلام ونحو هذا وذلك من الوان .

وفي مجال البحث الاجتماعي في الاسلام ، مادامت الامة في حالة الارتقاء وقد بدأت تعي الاسلام بوصفه رسالتها الحقيقية في الحياة ، والتقت بحركة الاجتهاد عند الامامية ضمن هذا المفهوم الرسالي الشامل للاسلام ، فمن الطبيعي التأكيد على أن التطور في الهدف الذي تتبناه حركة الاجتهاد ، واتساع هذا الهدف لمجالات التطبيق الاجتماعي للنظرية سوف يستمر ويبلغ اقصاه ، تبعاً لنمو الوعي في الامة ومواصلة الحركة للخط الاجتهادي في حماية الاسلام .

إن من الطبيعي حين يستعيد الهدف المحرك للاجتهاد ابعاده الحقيقية ، ويشمل كلا مجالي التطبيق ، أن تزول بالتدرج آثار الانكماش السابق ، ويتكيف محتوى الحركة وفقاً لاتساع الهدف ومتطلبات خط الجهاد الذي تسير عليه حركة الاجتهاد<sup>(١٩)</sup> .

٦- الاجتهاد الفعّال : إن من خصوصيات فقه المسلمين الشيعة ومميزاته المنفردة دوره واثره في الاحداث الطارئة طول التاريخ في عصر الغيبة ، فإن الفقهاء في هذا العصر تابعوا الاحداث بدقة وافتوا بما ادى إليه اجتهادهم الفعّال من الاحكام الشرعية ، ولم يبالوا بما افرزته الصراعات والمواقف العدائية لهم ، وجور الزمان لم يمنع من استمرار حياة الاجتهاد الشيعي وفاعليته ، فاستمر حيّاً على الرغم من كل المضايقات التي كان يتعرض لها فقهاء الامامية في كل عصر .

يقول الامام الخميني (رحمه الله) : «إن فقه الشيعة الذي يعدّ اغنى فقه في العالم هو فقه تشريعي ؛ حيث إنه شرح وفرع عليه بجهود علماء الشيعة» (٢٠) .

(٢٠) الامام الخميني ريادة  
الفقه الاسلامي: ٥٠ .

ويقول : هناك آلاف المسائل التي هي مورد ابتلاء الناس والحكومة ، وقد بحث حولها الفقهاء الكبار واختلفت آراؤهم بشأنها ، وإن كانت بعض المسائل لم تطرح في الازمنة السابقة أو لم يكن لها موضوع ، فعلى الفقهاء اليوم بصورة مستمرة أن يقوموا بطرح الآراء الاجتهادية الفقهية في مختلف المجالات بحرية ، حتى إذا كانت متعارضة (٢١) .

(٢١) م: ٨٦ .

فالاجتهاد في مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) الفعّال هو الفلسفة العملية للفقه الاسلامي اجمع وفي مختلف شؤون الانسان ومجالات حياته . والمجتهد مقتدر على معالجة كافة المعضلات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية .

والفقيه المجتهد لا يتوانى عن اعطاء الفقه جميع ابعاده العملية في الواقع ، وهذا ما اقدم عليه فقهاء المسلمين الشيعة في كل زمان ، والزمان والمكان عنصران اساسيان في الاجتهاد ، وعدم ملاحظة الزمان والمكان في عملية الاجتهاد يورث القصور في العملية وعدم التلبية للطموحات والتغيرات في الواقع ، والاجتهاد غير المتحرك

يوجب تحجيم الاسلام وعدم حيويته الشمولية لمختلف جوانب الحياة المتجددة ، فتثار الشبهات حوله تحت عناوين من قبيل عدم ملاءمة الاسلام لهذا العصر أو ذاك ، بالرغم من أن الاسلام دين كامل وصالح لكل زمان ومكان ، ودور الفقيه المجتهد هو الاحاطة بكل القضايا المعاصرة لاجل ايجاد الاحكام المطابقة لها ، بحيث لا يكون هناك أي مجال لاحكام اخرى غير اسلامية كي تنفذ إلى الواقع .

لقد اشار الامام الخميني إلى دور واثـر الزمان والمكان في عملية الاجتهاد والاحكام الحكومية والفتاوى ، وعن دور الفقيه في تحديد مصالح المسلمين والدفاع عنها في كل زمان ومكان ، باعتبار أن مهمة الولي الفقيه هي ايجاد الاحكام المناسبة لما يطرأ على المجتمع من احداث ووقائع سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية .

فقال عندما حكم الميرزا الشيرازي بحرمة التنباك إنه كان صادراً في حكمه عن موقف ولاية الفقيه العامة على الناس والفقهاء الآخرين ، وإنه لم يكن حكمه ذاك قضاء في نزاع أو خلافاً بين اثنين ، وإنما كان حكماً حكومياً روعيت فيه مصالح المسلمين بحسب الوقت والظروف والملايسات ، وبارتفاع تلك الظروف ارتفع الحكم (٢٢) .

إن الاسلام دين سياسته عبادة وعبادته سياسة ، والاجتهاد في مدرسة اهل البيت (عليه السلام) من معانيه أن يكون الفقيه رجلاً سياسياً مع كونه فقيهاً ، ومن معانيه أن يكون قادراً على ايجاد الاحكام الملائمة للقضايا في كل زمان ومكان ، وأن يعمل على تحقيقه في الواقع بحيث يكون له اثر وفاعلية .

وقد جاء في الحديث عن الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف : «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم» (٢٣) .

وهذا الحديث يشير إلى قدرة الاجتهاد على استنباط الحوادث

(٢٢) راجع الحكومة

الاسلامية للامام الخميني :

. ١١٦

(٢٣) وسائل الشيعة

١٠١١: ٩ ح .

الطارئة والوقائع الجديدة ، ولزوم الرجوع في كل عصر وزمان وفي كل مرحلة من مراحل البشرية إلى المجتهد ، وضرورة تقليد الجاهل للمجتهد الحي العارف بزمانه ومكانه المقتدر على استخراج الحكم الشرعي وفقاً للحوادث الجديدة .

ولكن الملاحظ في هذا الحديث هو الارجاع إلى رواية الحديث عنهم عليهم السلام لا غيره من العناوين الأخر ، كالمجتهدين والعلماء والفقهاء أو اهل النظر أو غير ذلك .

بل الامام عليه السلام استخدم عبارة رواية الحديث ليؤكد على اهمية التزام بالنص الوارد عنهم ، وأن كل ما نحتاجه للحوادث الواقعة يمكن استنباطه من تلك النصوص الصادرة عنهم ، وأنه لا غنى للمجتهد في دين الله عن الرجوع إلى احاديثهم ، وأنه لا مرجعية للمقلد إلا عند من روى اخبارهم وعرف احكامهم .

وعليه فإن من يستنبط الموقف الشرعي من أحاديثهم للحوادث الواقعة ومتغيرات الموضوعات انما يتبع منهجاً اسلامياً اصيلاً .  
والامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في قوله : «وأما الحوادث الواقعة ...» قد شخّص المرجع التشريعي فيما بين الغيبة والظهور ، مهما امتدت المساحة الزمنية وما ستأتي به من حوادث تفرزها الوقائع المتناسبة مع كل ظرف من الظروف وحال من الاحوال ، فإن المخرج لا يكون إلا بالرجوع إلى رواية حديثهم الملتزمين بضوابطهم المستدلين بنتائج استنباطهم مما ورد في احاديثهم .

فعبارة (الحوادث الواقعة) في توقيعه الشريف تطرح في الواقع والحقيقة الاجتهاد المراعي لعنصري الزمان والمكان في زمان غيبته . لأن كل حادثة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو فنية أو ادارية أو طبيعية وغير ذلك محكومة من قبل هذين العنصرين ،

ومحصورة في دائرتيهما الزمانية والمكانية ، والاجتهاد المشروع في الفقه الاسلامي يجيب على الاسئلة التي توجه إليه بالنسبة إلى الموضوعات المستحدثة ، فعلى الفقيه أن يستنبط حكم الموضوع الذي حدث ولم يكن قبل ذلك ، والاستنباط إنما يكون بدلالة النصوص تضمناً أو التزاماً لا اقتراحياً من عند نفسه .

فالاجتهاد الفعال يسير مع النص في الزمان والمكان ، ويواكب حركة المجتمع والناس ويمنع عن التأخر عن النص وتجاوزه ، بحيث لا يكون هناك افراط ولا تفريط بل اعتدال في فهم القضايا وفي ايجاد الاحكام الملازمة لها ، وهذا يتطلب أن يكون الفقيه محيطاً بالقضايا المعاصرة وعالماً بانماط السياسة والمعادلات التي تحكم العالم .

قال الامام الخميني : المجتهد يجب أن يتصف بالفتنة والذكاء والفراسة اللازمة لقيادة المجتمع الاسلامي الكبير ، بل والمجتمعات غير الاسلامية ، اضافة إلى الاخلاص والتقوى والزهد وهي الخصال التي تستلزمها طبيعة المجتهد الديني (٢٤) .

وعلى المجتهد أن يكون محيطاً بمسائل عصره وعارفاً بالمخططات والاساليب الخادعة التي تملكها الثقافة الحاكمة على العالم ، وطرق مواجهتها . وأن يكون ذا بصيرة اقتصادية وسياسية واطلاع على كيفية الاقتصاد الحاكم على العالم ومعرفة للسياسيين والدساتير المفروضة عليهم ، فكل ذلك من خواص المجتهد الجامع للشرائط ، فإن الفقه هو الطريق النظري الواقعي الكامل في ادارة الانسان والمجتمع من المهد إلى اللحد ، والمقصد الاعلى هو كيفية انطباق الاصول المحكمة للفقه على عمل الفرد والمجتمع وكيفية التمكن من اجابة المعضلات .

والاجتهاد الفعال يبتنى على اصول هي :

١ - ادراك الرسالة الخالدة للفقه والاجتهاد لتبيين كل ما يحتاجه

الانسان في حياته .

٢ - معرفة متطلبات العصر والمجتمعات الحديثة .

٣ - فقه الشريعة والاصول التي تهدف الشريعة إلى حفظها .

٤ - سد ابواب الخلل من ناحية العوامل النفسية والخارجية والسنن الاجتماعية الباطلة ونحوها .

٥ - معرفة الموضوع على النهج الدقيق وخواصه المتحولة ولو بمعرفة المتخصصين في كل علم يرتبط به .

قد احوال الشارع المقدس في كثير من موارد تشخيص الموضوعات إلى العرف ، وهذا لا يكون إلا في العناوين العرفية التي القاها الشارع إلى العرف العام ، والفقهاء اعترفوا بدور العرف .

ولابد للفقهاء من تشخيص الموضوع في جميع الموارد حتى يتبين له حكم الواقعة على نحو صحيح . ومن المعلوم أن تطور الزمن يؤثر في تغيير حقائق العناوين التي كانت موجودة في الأزمنة السابقة .

والفقيه لابد أن يعرف حقيقة الموضوع بجميع جوانبها وشرايطها واجزائها ، حتى يتمكن من ترتيب الحكم على الموضوع المرتبط بالحكم ، والموضوع المأخوذ في لسان الأدلة الشرعية قد يختلف بسبب التطور الزمني في حدوده وقيوده ، فإنه قد يتربد في الحكم من جهة القيد المأخوذ في الموضوع ، ويشك فيه هل يكون قيداً مقوماً للموضوع حتى يزول الحكم بزواله ، أو يكون من حالات الموضوع ولا يوجب زواله تغييراً في الحكم .

وقد ذكر الشيخ الانصاري ضابطاً للتمييز بين الموارد وتشخيص القيد ، وأنه من مقومات الموضوع أو من حالاته ، وإليك نص كلامه ملخصاً :

قال : إنه كثيراً ما يقع الشك في الحكم من جهة الشك في موضوعه ومحله وهو الامر الزائل ، والزائل ليس موضوعاً ولا مأخوذاً فيه ، فلو



فرض شك في الحكم كان من جهة أخرى غير الموضوع ، فلا بد من ميزان يميز به القيود المأخوذة في الموضوع عن غيرها ، وهو احد امور :

الأول : العقل ، فيقال إن مقتضاه كون جميع قيوده قيوداً للموضوع مأخوذة فيه ، فيكون الحكم ثابتاً الامر واحد يجمعها .

الثاني : الدليل ، فيرجع في معرفة الموضوع للحكم إلى لسان الدليل المأخوذ فيه ذلك العنوان .

الثالث : العرف ، فكل مورد يصدق عليه عرفاً عنوان الموضوع يترتب الحكم عليه ، وأن يعلم بالتدقيق العقلي أو بملاحظة الدليل كونه موضوعاً (٢٥) .

وبعد ما فصل الشيخ الانصاري خواص كل واحد من الوجوه الثلاثة اختار الوجه الاخير .

ودليله أن القضايا الشرعية الصادرة من الشارع إنما كانت موجهة إلى العرف ، فالمتبع في فهم العناوين الواردة في الخطابات الشرعية إنما هو العرف العام لاعتماد الشارع في خطابه على فهم مخاطبه ، والمخاطب إنما هو العرف ، مع أن الشارع في محاوراته العرفية ايضاً من العرف ، ولم يقترح طريقاً خاصاً لنفسه في خطابه فيكون خطاب الشارع خطاباً عرفياً مثل الخطابات الأخر العرفية .

٦ - الالتفات إلى أن في كل واقعة حكماً يخصها ، والاجتهاد يهدف إلى استنباطه واستخراجه من مصادره الموضوعية لذلك ، وهذا معنى أن الاسلام دين عالمي وابدئي لا يوجد فيه خلل بمرور الزمن ومزّ العصور ، ومن دون أن نشرع شيئاً من انفسنا بعنوان الحكم الاسلامي ، بل نبحت عن الحكم الواقعي باستخدام الادلة المرتبطة به . وقد دلت الروايات الكثيرة عن أئمة اهل البيت عليهم السلام على اثبات ذلك (٢٦) .

(٢٥) فرائد الاصول: ٣٧٨.

(٢٦) الكافي ١: ٥٩.

٧ - استنباط المناط للحكم الشرعي : استفادة المناط الواقعي للحكم الشرعي وإن لم تكن مما تناله العقول البشرية ، إلا إنه يمكن استظهار المناط من نفس الاحكام بطرق معتبرة عند العقل والشرع ، وهي ما يلي :

#### أ - بالقياس المنصوص العلة :

وقد ورد التنصيص بعلة الحكم في كثير من الموارد ، فحينما نعرف العلة من الدليل نستطيع أن نستكشف الحكم في كل مورد وجدت فيه تلك العلة ، كما في تعليل حرمة الخمر بإسكاره ، وعدم جواز التقرب إلى الصلاة في حال السكر . والمشهور بين الفقهاء حجية قياس منصوص العلة .

#### ب - تنقيح المناط :

قال المحقق الوحيد البهبهاني في تعريفه : اعلم أن التعدي ربما يصير بتنقيح المناط ، وهو مثل القياس إلا إن العلة فيه منقحة ، أي حصل اليقين بأن خصوصية الموضع لا دخل لها في الحكم ، وكذا اليقين بعد المانع في مورد آخر ، فنجزم بالتعدي لامتناع تخلف المعلول عن العلة ، مثل قول النبي ﷺ للاعرابي حين سأله عن مجامعة أهله في شهر رمضان أن يكفر .

فإن القطع حاصل بأن العلة هي الجماع فيه من غير مدخلة الاعرابية ، ولا كون الجماع مخصوصاً بالزوجة الدائمة بل المتعة والجارية والزنا أيضاً كذلك ، وربما لا يحصل القطع بالنسبة إلى الزنا . وكيف كان فالقطع إنما حصل بالاجماع وهو المنقح ، إذ لا بد للتنقيح من منقح شرعاً وليس فيما نحن فيه سوى الاجماع . نعم في بعض المواضع يصير المنقح هو العقل على سبيل اليقين ولكنه قليل جداً (٢٧) .

## جـ- مناسبة الحكم والموضوع :

قال الشهيد الصدر في تعريفه : قد يذكر الحكم في الدليل مرتبطاً بلفظ له مدلول عام ، ولكن العرف يفهم ثبوت الحكم لحصة من ذلك المدلول ، كما إذا قيل اغسل ثوبك إذا أصابه البول ، فإن الغسل قد يطلق على استعمال أي مائع ، ولكن العرف يفهم من هذا الدليل أن المطهر هو الغسل بالماء ، وقد يذكر الحكم في الدليل مرتبطاً بحالة خاصة ، ولكن العرف يفهم أن هذه الحالة مجرد مثال لعنوان عام ، وأن الحكم مرتبط بذلك العنوان العام ، كما إذا ورد في قربة وقع فيها نجس أنه لا تتوضأ منها ولا تشرب ، فإن العرف يرى الحكم ثابتاً لماء الكوز أيضاً ، وأن القرية مجرد مثال ، وهذه التعميمات وتلك الخصوصيات تقوم في الغالب على أساس ما يسمى بمناسبات الحكم والموضوع ، حيث إن الحكم له مناسبات ومناطق مرتكزة في ذهن العرفي ، وبسببها ينسب إلى ذهن الإنسان عند سماع الدليل التخصيص تارة والتعميم أخرى ، وهذه الانسباقات حجة لأنها تشكل ظهوراً للدليل ، وكل ظهور حجة وفقاً لقاعدة حجية الظهور (٢٨) .

(٢٨) حلقات الأصول،  
الحلقة الثالثة : ١٨٣ .

فإذا توفرت هذه الأصول في الاستنباط ، فالفقيه المستنبط قادر على استخراج الحكم الشرعي للحوادث والموضوعات المستحدثة ، والحالات الطارئة العارضة على وفق النصوص الواردة عن الشارع ، ولا يلزم الغاء حاكمية الدين ، والحدثة غير مخالفة للتشريع ؛ حيث كان استخراج الوقائع الحادثة من فهم النصوص مع الاستفادة من القواعد الثابتة في الدين ، فالدين الاسلامي باقٍ ، والامة ترجع إليه في كل شيء وفي كل حين ، وليس على الاسلام ولا على المسلمين خطورة من ناحية الحادثة لأن الاجتهاد المشروع الحي والفعال مقتدر على استنباط الاحكام الشرعية من منابع الوحي والتشريع ، من دون تزلزل في مبادئها أو خلل في متطلباتها .

### نتيجة الدراسة

- ١ - الاسلام دين عالمي لا يعرف حداً ولا يختص بزمان ولا مكان .
- ٢ - الاسلام دين كامل في جميع شؤون الحياة في الفرد والمجتمع ، ومغن عن غيره من التشريعات والقوانين .
- ٣ - ينقسم حكم الشريعة إلى الحكم الثابت والمتغير وفقاً لمتطلبات الحياة ، من الغرائز الفطرية الثابتة والحالات والظروف المتغيرة الطارئة طول الحياة .
- ٤ - الاجتهاد المشروع الفعال فلسفة عملية للفقهاء الاسلامي في مختلف شؤون الحياة ، والمجتهد قادر على معالجة كافة المعضلات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية وغيرها من الحوادث الطارئة .
- ٥ - الاجتهاد الناجح في ذلك إنما هو الالتزام بضوابط الشريعة والاستناد إلى النصوص الصادرة ، والاعتماد على القواعد الثابتة من الشرع لا التفوه بالاقتراحات الظنية وآراء المجتة غير المستقرة .
- ٦ - الحادثة إذا وافقت الشريعة فلا تكون مخالفة للاسلام ولا خطراً عليه .

والحمد لله أولاً وآخراً

قار أمير المؤمنين

لَا مَعْقِلَ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(عنه السلام)

دراسات

الشهيد  
الشيخ مرتضى المظهري  
ترجمة : هاشم محمد

# القيادة في الإسلام

قال تعالى

﴿وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ  
إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالِي عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١)



(١) البقرة : ١٢٤ .

الرشد في المصطلح الاسلامي :

لاجل التعرف على الادارة والقيادة في الاسلام يلزم علينا في  
البداية أن نتعرف على مفهومي من المصطلحات الاسلامية .  
الاول : الرشد ، وهو اصطلاح تذكره الكتب الفقهية بالخصوص ،  
وقد استُمدَّ من القرآن الكريم .

والثاني : وهو الاهم مفهوم (الامامة) .

(الرشد) كلمة اقتبست من القرآن الكريم ، واستعملها في الاطفال

الذين يمتلكون ثروة ، ولكن لاولئ لهم .

فذكر بأنه لابد من جعل القيم عليهم إلى سنّ البلوغ ، لإدارة شؤونهم و ثروتهم ، فلا تبقى هذه الثروة تحت تصرفهم ، فالبلوغ شرط ، ولكنه لا يكفي لوحده ؛ بل لابد من الرشد ايضاً .

يقول القرآن الكريم : ﴿ حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ أي أنّ البلوغ الجنسي لا يكفي لوحده ؛ بل لابد من الوصول لرشددهم ، كشرط لايداع الثروة في أيديهم .

(٢) النساء: ٦ .

ومن المسلمات الفقهية : أنه لا يكفي في الزواج البلوغ والعقل فحسب ، بالنسبة للولد والبنت كليهما ؛ بل لابد ، بالاضافة إليهما ، أن يتّصف الولد أو البنت بميزة (الرشد) .

والعقل غير الرشد ؛ فالانسان إما أن يكون عاقلاً أو مجنوناً ؛ والعقل إما أن يكون رشيداً أو غير رشيداً ؛ فالعاقل البالغ قد يكون رشيداً وقد لا يكون رشيداً .

والملاحظ أن الذي يُفهم اليوم من المفهوم الرشيد ، في أذهان البعض ، هو الرشاقة ، فإذا كان الانسان رشيقاً ، حسن المظهر يقال له (رشيد) ، وهذا المفهوم غريب عن المصطلح الاسلامي الاصيل ، دخل في الأذهان نتيجة الفهم السيئ للفاهيم الاسلامية .

#### تعريف الرشد :

إن اردنا تعريف الرشد تعريفاً شاملاً لجميع انواعه ، وفي مختلف المجالات ، فلا بد أن نقول بأنه : عبارة عن نوع من الكمال الروحي والمعنوي ، بمعنى أن تكون للانسان قدرة الادارة والمحافظة على امكاناته وطاقاته المادية والمعنوية ، وحسن الانتفاع بها .

فالانسان الذي يمتلك وظيفة ما ، في أي مجال من مجالات الحياة ، وله القدرة على المحافظة عليها ، والاستفادة الصحيحة منها ؛ فيقال

لهذا الشخص أنه (رشيد) .

ولا ينحصر ذلك في المجال المالي ؛ بل يشمل مختلف المجالات ،  
كادارة الزوجة والاولاد ، فإنها من المجالات التي يلزم عليه ادارتها  
والمحافظة عليها .

#### الرشد الاجتماعي والشعبي :

لا ينحصر الرشد بالفرد ، ففي المجتمعات والشعوب توجد  
إمكانات وطاقات ، طبيعية وانسانية وعلمية وأمثالها ، قد أودعت  
بأيدي الشعوب .

وهذا الرشد يعني : قدرة الشعب والمجتمع على الادارة ، وحسن  
الانتفاع من هذه القدرات المادية والانسانية ؛ ويقال لمثل هذا الشعب :  
أنه (رشيد) .

والادارة والقيادة التي نبحت عنها ، تُلازم نوعاً من الرشد ؛ إذ  
القيادة عبارة عن تعبئة القوى الانسانية والاستفادة الصحيحة منها .  
ولاجل توضيح هذه الفكرة أكثر ، أضربُ مثالين للرشد  
الشخصي الفردي ، على ضوء ما ذكرناه من تعريف الرشد ؛ وأنه  
عبارة عن القدرة على الادارة ، والقدرة على الانتفاع الصحيح من  
الطاقات .

#### الرشد الفردي والاخلاقي :

النوع الاول من انواع الرشد ، الرشد الفردي والاخلاقي .

وهنا يبرز سؤال :

هل يتمكن اكثر الافراد أن يُديروا طاقاتهم وامكاناتهم وأن ينتفعوا  
بها ؟ كلا ؛ فالقليل ، هم الذين يتمكّنون من الاستفادة الصحيحة من  
المواهب والإمكانات الكامنة في الانسان .

## ادارة الذاكرة :

المثال الأول : يدور حول القوى الادراكية للانسان ؛ فإن الافراد يختلفون فيما بينهم ، من حيث الفهم والادراك ، وقوة الحفظ والذاكرة. والانسان الرشيد ، هو الذي يمكنه الاستفادة الصحيحة من ذاكرته.

وأما غير الرشيد ، فيمكن أن تكون له ذاكرة قوية جداً ، ولكن لا يمكنه الانتفاع منها ، واستثمارها ، بل يتصور أن الذاكرة مستودع يجب ملؤه بكل شيء ، وبكل ما يعثر عليه ، كمستودع البيت الممتلئ بكل شيء ، حتى بالاشياء البيتية الزائدة وبصورة غير منظّمة .

وأما الانسان الرشيد ، فيفكر حول الامور التي يملأ بها ذاكرته ، ولا ينتفي منها إلا الجيد المفيد ؛ أن ذاكرته مقدّسة ، ولا يجدر به أن يملأها بأي شيء ، فيلاحظ أولاً أي شيء يفيد ، وأي شيء لا يفيد ، وهناك من الامور ما يفيد ، وما مقدار فائدته ، ويصنع قائمة لكل هذه الامور ؛ ثم بعد ذلك ينتخب ما هو اكثر فائدته ، ويعتبرها كالامانة التي يلزمه المحافظة عليها ، فيجب أن يتعرف ذهنه على المسائل العلمية أولاً ، وبصورة دقيقة وواضحة ، ثم بعد ذلك ينقلها لذاكرته .

ومثاله الواضح في قراءة الكتاب ، فإن الانسان تارة يطالعه مرة واحدة ، قراءة عابرة لاجل الالتذاذ به ، ولكن بهذه القراءة الخفيفة ، لا يتمكن من تقييم محتويات الكتاب ، فيجب أن يقرأه مرة ثانية .

وكل ذاكرة ، مهما كانت قوية ، تفتقر إلى قراءة الكتاب الجدير بالقراءة ، مرتين على الاقل ، وبصورة متوالية ؛ وبعد ذلك يحاول التحقيق حول كل فكرة من ذلك الكتاب ، وتمحيصها وتحليلها ، وملاحظة المطالب التي سيحتفظ بها في ذاكرته .

ثم بعد ذلك يحاول أن يقرأ كتاباً آخر في نفس الموضوع ، الذي يدور حوله الكتاب السابق ، حتى لا يمتلئ ذهنه بموضوعات متعدّدة ،



متباينة وبصورة غير منظمة .

وهنا يحاول قدر الامكان ، أن يملأ ذهنه ، بماله علاقة بالموضوع نفسه ، ليكون اكثر تعرّفاً عليه ، واكثر ترسيخاً في ذهنه .  
فمن الخطأ أن يقرأ كتاباً ، وقبل التعرف على محتوياته ومضامينه، والتحقيق حولها ، وهظمها ، ينتقل لكتاب آخر يختلف عنه في موضوعه ؛ فيقرأ في هذا اليوم كتاباً في التاريخ ، وغداً كتاباً في الفلسفة ، وبعد غد كتاباً في العلوم الدينية ؛ وهكذا ، ينتقل في كل يوم من كتاب إلى آخر ، يختلف عنه في الموضوع ، حيث تختلط الافكر في ذهنه .

الانسان الرشيد يبحث في الكتب المفيدة له ، ويجمعها ، ويكرر قراءتها ثم يلخصها ، وهذه الخلاصة يودعها في ذاكرته ، ثم بعد ذلك ينتقل لموضوع آخر .

الانسان الرشيد يبحث في الكتب المفيدة له ، ويجمعها ، ويكرر قراءتها ثم يلخصها ، وهذه الخلاصة يودعها في ذاكرته ، ثم بعد ذلك ينتقل لموضوع آخر .

ومثل هذا الفرد ، حتى لو كانت ذاكرته ضعيفة ، لكنه رغم ذلك ، اكثر استفادة وانتفاعاً من الشخص المتخبط في قراءته ، وإن كان قوي الذاكرة .

ويكون مثله كالشخص الذي يمتلك مكتبة منظمة في موضوعاتها ، وتوزيع كتبها ؛ حيث يتمكّن وبلحظة واحدة ، أن يتعرف على موضوع أيّ كتاب ؛ ولكن هناك من يمتلك مكتبة كبيرة ، واسعة وكتباً كثيرة ولكنها متراكمة غير منظمة ، لا يستطيع العثور على كتاب واحد إلا بعد ساعتين .

هذا ، هو المثال الأول للإدارة الصحيحة وغير الصحيحة في الاستفادة من إحدى القوى العقلية للانسان .

### الرشد في العبادة :

والمثال الثاني : يدور حول (العبادة) ؛ ولابد أن نعترف بأننا نجهل الطريق إلى العبادة ، اي أننا لا نستطيع أن ندير انفسنا عبادياً بصورة صحيحة .

إنَّ العبادة الصحيحة هي التي تجذب الروح ، وتغذيها التغذية الصحيحة ، وليست الكثرة هي المقياس للعبادة ؛ كما هو الأمر في الطعام ، حيث لا يكون الغذاء الاكثر هو الافضل ؛ وكذلك العبادة فإنها لابد أن تتلاءم مع نشاط الروح واشواقها .

ولا اعني بذلك : ان يكون للانسان شوق مسبق ، حتى يقدم على العبادة ، فإنَّ الكثير من الافراد ، لا يمتلكون مسبقاً شوقاً للعبادة ؛ ولكن حين ممارسة العبادة ، سوف ينبثق بالتدريج في اعماقهم الشوق والنشاط ، والانس بذكر الله .

اذن ، فوعاء الانسان للعبادة محدود ، ولنفرض انه كان يمتلك شوقاً للعبادة ، واقدم على ممارستها بنشاط ، ولكن بعد مدة من ممارستها ، سيشعر بالتعب ، ويتضاءل شوقه ونشاطه وتكتسب العبادة صفة التخميل والتكليف ويكون كالطعام الذي لا يلائم مزاج الانسان ، حيث يكون رد الفعل من البدن تجاهه ، هو التقیوء والاستفراغ ، او دفعه بأي وسيلة اخرى ، على العكس من الغذاء الملائم ، الذي يكون رد الفعل تجاهه ، هو جذبته والتشوق اليه ، وهضمه .

ويخاطب النبي ﷺ جابر بن عبد الله الانصاري : «يا جابر ان هذا الدين لمتين ، فاوغل فيه برفق ، ولا تبغض الى نفسك عبادة الله» ؛ اي ان دين الاسلام دين مستحكم منطقي ، يبتني على اسس نفسية واجتماعية عميقة ، فلا بد ان لا تدع نفسك ، تتنفّر من العبادة ، وتحقد عليها ، فمارس العبادة بصورة تميل معها النفس للعبادة ، وتنجذب وتن دفع

بشوق اليها .

ويضيف ﷺ بعد ذلك : «فان المنبت ، لا ارضاً قطع ولا ظهراً أبقي» ؛ إنَّ الراكب الذي لا يعتني بمدى قدرة الجمل ؛ بل أنَّه يضربه بالسوط دائماً ، ويدفعه إلى طي المنازل والمسافات بسرعة ، وبمسيرة واحدة ، دون ملاحظة المراحل ، ويعتقد بأنَّه بهذه الطريقة الخشنة ، سوف يصل إلى هدفه اسرع ؛ ولكن الأمر ليس كذلك ، فإنَّه خلال الطريق ستخور قواه من شدَّة التعب واوجاع السوط ، ويسقط .

والنبي ﷺ في حديث آخر يقول : «طوبى لمن عشق العبادة وعانقها» ، يريد أن يقول : بأنَّ الشخص الوحيد الذي يتمكَّن من اقتطاف الثمرات العالية للعبادة ، هو الذي يؤدِّي عبادته بصورة يندفع معها القلب بكل شوق ورغبة .

فالممارسة الصحيحة للعبادة ، والاستفادة من نعمها الثرة ، لها علاقة وثيقة بحسن الادارة والقيادة ، وهذه المهمة يؤدِّيها من تمكن من قيادة نفسه ومشاعره وعواطفه وغرائزه ؛ وبالتالي قلبه ، قيادة حكيمة رشيدة ؛ فإنَّ القلب والعاطفة والمشاعر تحتاج إلى القيادة الحكيمة اكثر من أيِّ شيء آخر ؛ والآن نرجع إلى القيادة الاجتماعية في المجالات الاجتماعية .

### الامامة والقيادة :

قلنا أنَّ الرشد يعني : القدرة على الادارة والقيادة ، وحين يريد الانسان ادارة الآخرين وقيادتهم ؛ اي حين يكون موضوع الرشد هو قيادة الآخرين ؛ فيطلق على هذا النوع من الرشد : (الهداية) ؛ وبتعبير اوضح : (الامامة) .

واللفظ الذي يعبر عن لفظة الامامة بصورة دقيقة هو (القيادة) ؛ والفرق بين النبوة والامامة أن النبوة تعني الدلالة واراثة الطريق ؛

بينما الامامة تعني القيادة ؛ والنبوة ابلاغ واخبار ، واتمام الحجة وارائه الطريق وكشفه فحسب ، ولا تتعدى مهمة النبي ذلك ، ولكن البشر يحتاجون إلى القيادة بالاضافة لكشف الطريق والدلالة عليه .

أي : ان البشرية تحتاج إلى بعض الافراد ، او إلى فئة معينة ، تقوم بمهمة تعبئة القوى الانسانية ودفعها للعمل والحركة وتنظيمها ؛ النبوة كشف الطريق وهو منصب خاص ، بينما الامامة منصب آخر ، و الانبياء الكبار امثال ابراهيم وموسى وعيسى ونبيينا ﷺ ، قد جمعوا كلتا الميزتين ، وكانوا انبياء وائمة ؛ واما الانبياء الصغار ، فكانوا انبياء فحسب ، ولم يكونوا ائمة والقرآن الكريم يؤكد على هذه الفكرة كثيراً وكذلك الاحاديث الشيعية .

ولابد أن نلاحظ بان القيادة التي يبحث عنها القرآن الكريم اسمى من القيادة والزعامة التي يفهمها البشر ؛ ان القيادة يفهمها البشر لا تتجاوز الزعامة المعنوية ، المتجهة نحو الله ، بالاضافة إلى القيادة الاجتماعية ، والقيادة المعنوية ، وهذه اعمق بكثير من القيادات الاجتماعية كلها ، وليس هنا موضع بحثها .

#### ابراهيم القائد والامام :

للقرآن الكريم حول ابراهيم كلمات تثير الدهشة : ﴿واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً﴾ (٣) فان الله امتحن ابراهيم بالكثير من التجارب والابتلاءات ، ولكن ابراهيم خرج منها ظافراً .

إن ابراهيم عليه السلام من الانبياء الذين مروا بتجارب ومحن عديدة ، وعاش حياة صعبة ، ولكنه رغم كل هذه المشاق والمتاعب كان ناجحاً في رسالته .

لقد بعث في بابل ؛ وواجه وحده ، ذلك الحشد الهائل من العقائد ،

والخرافات الغيبية الجاهلية ، والشرك السائد ؛ وحاربه ، وقد حطم كل الاصنام الا الكبير منها ، ثم علّق المعول برقبة الصنم الكبير ، لأجل أن يتخيل الناس انه قد نشب عراك وصادم بينها ، وانتصر الكبير عليها . وقد استهدف ابراهيم من هذا العمل ، أن يوقظ القوى العقلية الفطرية ، التي يحاول الناس خنقها والضغط عليها .

فإنّ الانسان يدرك بفطرته ، أنّ الجمادات لا يمكن ان تتنازع وتتصادم فيما بينها ، ومن هنا يرجعون إلى انفسهم ، ولماذا يخضع الانسان العاقل المدرك لمثل هذه الموجودات التي لا تشعر ولا تدرك ؟ .

وقد اشعل ابراهيم بعمله هذا حقد نمرود وغضبه عليه ؛ ووصل الامر إلى أن يأمر القائد بالقائه في تلك الهوة ؛ بل ذلك البحر الكبير الواسع من النار ؛ ولكن ، لم يهدأ ابراهيم ، ولم يسكت عن دعوة الناس إلى رسالته .

لقد كان ابراهيم يعيش حياة قاسية ، فهو من جانب في صراع حاد مع العقائد الخرافية المنحطة ؛ ومن جانب آخر في صراع مرير مع نمرود ، حيث وصل الامر إلى القائد بالقائه في النار .

وفي غمرة هذا الصراع وشدّته ، واجهته تجربة الهية مريرة ؛ فقد جاء النداء من الله ، أن يذبح ولده العزيز بيده ، هذا الأمر الالهي الذي لا يمكن الا الاستسلام والخضوع له ، وقد خضع بالفعل لهذا الامر ، وصمّم على تنفيذه ، ولكن في اللحظة الاخيرة ، صدر اليه الامر أن لا يذبحه ، بعد أن قدّم الدليل الحي على مدى استسلامه وخضوعه للأمر الالهي .

وبعد أن طوى ابراهيم هذه المراحل والابتلاءات ، بظفر ونجاح ، اخبره الله تعالى بأنّه قد استحق منصب الامامة ، فارتقى من النبوة والرسالة إلى الامامة .

وهناك حديث حول ذلك : «... انَّ الله اتَّخَذَ ابراهيم عبداً قبل ان يتَّخذه نبياً ، واتَّخذه نبياً قبل ان يتَّخذه رسولاً واتَّخذه رسولاً قبل ان يتَّخذه خليلاً ، واتَّخذه خليلاً قبل ان يتَّخذه اماماً...» (٤).

(٤) الكافي ١ : ١٧٥ ، كتاب الحجة ، باب طبقات الانبياء والرسول والائمة (ع) ، ح : ٤ .

وبذلك يتضح معنى الآية : ﴿ واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً ۝ ﴾ ؛ اي بعد أن اتم ابراهيم تلك المراحل ، وخرج من جميع الابتلاءات والمحن ظافراً ، حينئذ جعله الله اماماً .

إن الامامة وقيادة البشرية وزعامتها ، سواء في بعدها المعنوي الالهي ، او في بعدها الاجتماعي ؛ هي ارفع المناصب التي يمنحها الله للانسان ، وهكذا كان ابراهيم فكان نبياً وكان اماماً وزعيماً لقومه .

وكما ذكرنا أن الانبياء الكبار يمتلكون كلا المنصبين ، النبوة والامامة ، وأما الانبياء الصغار ، فإنهم انبياء فحسب ، ولم يكونوا ائمة . وأما أئمتنا الاطهار ، فكانوا يمتلكون منصب الامامة ، ولم يكونوا انبياء اذ أن طريقهم نفس الطريق الذي رسمه النبي ﷺ ؛ انهم يدعون إلى نفس الرسالة ، ويعبئون القوى ، ويأخذون بأيدي البشر في نفس الطريق ، الذي دعا اليه النبي ﷺ .

وعالمنا اليوم ينظر لمسألة الامامة ، من خلال بعدها الاجتماعي فحسب ، فلا يعرف الأ هذا الجانب منها ، ولكنه يهتم اهتماماً كبيراً بها ، وله الحق في ذلك ، فإن الانسان يحتاج للقيادة في طبيعته ؛ وقيمة القيادة والزعامة واهميتها تبتني على ثلاثة اصول واسس :

#### ١ - اهمية الانسان والقوى المودعة فيه :

هذه القوى والكنوز الكامنة في الانسان ، والتي لم ينتبه إليها الانسان عادة ، والاسلام قد اهتم كثيراً بمسألة توجيه الانسان ووعيه بنفسه ، ومنزلته الكبيرة ، وباهمية القوى الكبيرة الكامنة فيه .

والقرآن الكريم يصرح في الكثير من آياته ، بأنَّ الله تعالى حين

خلق آدم ، أمر الملائكة أن تسجد له ؛ وإنَّ الانسان اعرف بالاسماء من الملائكة أنفسهم ، وإنَّ كل ما في الأرض قد خُلِق لأجل الانسان ولمصلحته .

(٥) البقرة : ٢٩ .

(٦) لقمان : ٢٠ .

قال تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ﴾<sup>(٥)</sup> ، و ﴿ سخر لكم ما في السموات وما في الارض ﴾<sup>(٦)</sup> ؛ ففي الرؤية القرآنية يُعتبر الانسان أرفع الموجودات جمعياً ، وليس هو قبضة من ماء وتراب فحسب .

## ٢ - التعاون بين الانسان والحيوان في القيادة :

إنَّ الانسان وإن كان من جنس الحيوان إلا انه يختلف عنه من حيث الغرائز وطبيعتها ، فهو اضعف من الحيوان في هذا المجال ، فإنَّ الحيوانات مجهزة بمجموعة من الغرائز ، ولا تحتاج لقيادة خارجية تديرها وتوجهها ، فإنَّ غريزتها تقود نفسها بنفسها ؛ فالنملة مجهزة بمجموعة من الغرائز ، تتمكّن بواسطتها أن تدير دفة حياتها بصورة غريزية ، والامام علي عليه السلام في احدى خطبة في نهج البلاغة ، يصف النملة واجهزتها ، وغرائزها الحياتية ، والحشرات الاخرى كذلك .

والانسان ، وإن كان اكثر تجهيزاً بالقوى والقدرات من سائر الموجودات ، إلا أنَّه اذا كان مقدراً له أن تكون مهمة قيادته وادارته على عاتق غرائزه ، لكانت الغرائز التي يلزم توافرها فيه اكثر بكثير من غرائز الحيوان .

ولكنه رغم ذلك ، هو فقراً وعجزاً من جميع الموجودات ، لافتقاره للغرائز الداخلية التي تقوده وتوجهه بنفسها في طريق الحياة ؛ ولذلك احتاج للقيادة والتوجيه من الخارج .

وهذه هي الفلسفة لبعثة الانبياء ، والهدف منها ، أنَّهم بعثوا من اجل تربية هذه الغرائز ، والقوى البشرية ، وتوجيهها الطريق المستقيم ؛

فإنّ فلسفة البعثة تعتمد في أساسها على حاجة البشر للقيادة والتوجيه .

فإن البشر وإن كان مجهزاً بالكثير من القدرات والقوى ، ولكنه في نفس الوقت جاهل بقدرته وبذخائره الثّرة ، فلا يعرف ما يمتلكه ، ولا يعرف كيف يستخدم ممتلكاته ، ويستفيد منها الاستفادة الصحيحة ، ويقودها القيادة الحكيمة ؛ لذلك احتاج للقائد والموجه الذي يرسم له الطريق ، وينظّم طاقاته وقدراته ، ويحرّره من اغلاله يحثّه على الحركة والعمل .

### ٣- القوانين الخاصة في الحياة البشرية :

هناك مجموعة من القوانين والاصول حاكمة بسلوك البشر واعماله ، واذا اراد احد ، أن ينصب من نفسه قائداً وزعيماً للبشر ، فلا يتيسّر له ذلك الا اذا تعرّف على هذه القوانين المتحركة في حياة البشر .

إنّ الانسان موجود مجهّز بمجموعة من القوى ، ولكنه مفتقر في طبيعته لقائد وموجه ، يرسم له طريق العمل بهذه القوى ، ويحثّه على العمل وفقها .

هو موجود خاضع في قيّاته ، وتوجيه دقّة حياته ، واثارة قواه ، وتحفيزها على العمل والانتفاع منها ، إلى مجموعة من القوانين الدقيقة جدّاً ، ومعرفة تلك القوانين هي مفتاح السيطرة والنفوذ إلى قلوب البشر .

وللقرآن الكريم تعبير يثير الدهشة حول النبي ﷺ ؛ حيث يقول : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ أَصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾ (٧) .



ولكن ما هي هذه الاثقال والاغلال ؟ هل هي اثقال من صخر  
واغلال من حديد ، أو من خشب ؟ كلا .

إن هذا الاثقال هي الخرافات والتقاليد ، والاغلال هي من نوع  
الاغلال الروحية التي كبل بها الانسان قواه واستعداداته وطاقاته  
المعنوية الزاخرة ، وهي التي أدت إلى كل هذا الجمود والشقاء واليأس  
في البشرية .

والنبي ﷺ يطلق سراح هذه القوى المقيّدة الاسيرة ؛ والقيادة  
والادارة والاجتماعية تعني ذلك .

أنّها تحرير تلك القوى واطلاق سراحها وبثّ الحركة والنشاط فيها،  
وفي نفس الوقت الاخذ بيدها ، لتسير في مسارها الصحيح المستقيم ،  
بخطوات متزنة مطمئنة .

إنّ القيادة الحكيمة ، والادارة الصحيحة المثمرة ، تجعل من  
اضعف الشعوب امة قوية تفوق في قوتها سائر الامم والشعوب ؛  
والنبي ﷺ قد قام بذلك ، الذي هو معجزة في نفسه .

#### مصادر لدراسة القيادة في الاسلام :

والحديث في هذا المجال طويل عريض ، واذا اردنا أن نتعرف على  
مدى علاقة الاسلام بالقيادة والادارة ، فإنّ ذلك يتمّ من خلال  
مصدرين :

#### ١ - القراءة العميقة لسير الانبياء والاولياء :

يلزم علينا : أن نقرأ سير اولياء الدين وقادته ، قراءة عميقة ،  
وبالخصوص سيرة النبي ﷺ وامير المؤمنين (عليه السلام) ؛ فإنّه لو تعرّف  
الانسان على اساليبهم في هذا المجال ، يدرك مدى تطابقها وتوافقها  
مع الاصول الدقيقة للقيادة والادارة الحكيمة ، والمنجزات العظيمة

التي توصلوا اليها من خلال هذه القيادة الحكيمة ؛ تلك التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم كله ، لقد حققوا هذا النجاح المدهش ، لأنهم كانوا يمتلكون مفتاح السرّ ، أنهم قد بعثوا من قبل الله ، والله خالق الانسان ، ويبيده مفتاح سرّه .

يلزم علينا أن نقرأ بدقة وعمق ، سيرة النبي ﷺ في مختلف المجالات ؛ في قيادة الجيش ، وفي ادارة دفة السياسة ونشر الاسلام ، وسيرته مع اعداء الدين ، مع المشركين ، مع اهل الكتاب ؛ وسلوكه في بيته مع اسرته ، وغيرها ؛ ففي كلّ واحدة منها عبر ودروس لنا .

إنّ السيرة العملية للنبي ﷺ ، في الادارة والقيادة ، ترشدنا إلى الكثير من التعاليم الحيّة ، في هذا المجال ؛ أنّها بلغت القمة في دراسة النفس الانسانية ، وفي معرفة الطبيعة البشريّة .

لقد ارسل ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن ، لاجل دعوة الناس ، وإرشادهم إلى الدّين وتولّي شؤون اليمن ؛ والقى على سمعه هذه التعاليم التي تعتبر منهاج عمل لكل واحد منها ؛ مع أنّ أكثرنا يعمل على خلافها .

يقول ﷺ : «يسر ولا تعسر ، بشر ولا تنفر ، وصل بهم صلاة اضعفهم» ؛ فلا يمكن ادارة المجتمع وقيادته بالشّدّة والعنف ، ولا بد أن نبشر الناس بالمزايا ، والثمرات الدنيوية والاخرية للاسلام ، وترغيبهم وكسب قلوبهم ، حتى تخفق في قلوبهم الرغبة لهذا الدين ، وعدم مواجهتهم بأسلوب التخويف والترهيب ، لأنّه يؤدي لنفرة الناس ، وابتعادهم عن الدين ؛ ولا بد من مراعاة اضعفهم حين الصلاة جماعة ، ففي المؤمن المصلين عليل ومريض ، وفيهم من كان جديد عهد بالصلاة .

وهناك وظائف خاصة للزعيم والقائد ، فإنّ القائد له مركزه الاجتماعي الخطير ، فعليه استمالة القلوب ، وقيادتها وتعبئة قواها ،

فهناك بعض الوظائف والمهمّات الملقاة على عاتقه ، والمختصة به لا يطالب بها غيره ، ولا يطالب بها هو لو لم يشغل هذا المنصب .

ونحن قد سمعنا عن زهد الامام امير المؤمنين عليه السلام وعن عباداته ، التي ليس لها مثيل ؛ ولكن ، هذا الزاهد المتبتل ، حين زار - في ايام خلافته - احد اصحابه وهو علاء بن زيادة ؛ شكى له اخاه عاصم بن زيادة ، وانه قد اغرق نفسه بالعبادة والزهد ، وهجر امراته ولبس ثياباً خشنة ؛ فامر عليه السلام باحضاره ، و حين حضر ، واجه ذلك الوجه الذي ارهقته العبادة ، وانهكه الزهد ؛ خاطبه بحدة : «يا عدوّ نفسه ...» .

ولما اعترض عاصم على الامام عليه السلام ، بانه هو بنفسه يعيش مثل هذه الحياة الشاقة ، ويضرب به المثل في الزهد ؛ اجابه عليه السلام : انه خليفة وزعيم للامة الاسلامية ، ويلزم عليه أن يلاحظ اضعف اتباعه ، واشدّ المحرومين من شعبه ، لانه قائد امة .

فانّ زعماء الامم وقادتهم لهم تكاليف ووظائف مختصة بهم ، وفي الحديث : «ان الله فرض على ائمة المسلمين ان يقدروا أنفسهم بضعة الناس ، كي لا يتبيّغ بالفقير فقره» .

يريد أن يقول : بأنني زعيم وقائد أمة ولست أنت كذلك ، ولا بد أن يمتدّ نظري إلى افراد الامة جميعهم ، وأؤكد اكثر على اكثر الفئات حرماناً ، وبالطبع انني ارغب في رفع مستواهم الحياتي والمعيشي ؛ ولكن ، ما دام في البلاد محروم ، فلا يسوغ لي أن البس ثياباً اخرى ، غير هذه الثياب التي تستر بدني ، ما دام في البلاد من يأكل خبز الشعير ، ويلبس الثياب الخشنة ، فلأنني خليفة ومسؤول عن هداية الناس وقيادتهم ، فلا بدّ لي من الاحساس باوجاعهم والتجاوب معهم . لا بدّ أن اعيش الحياة التي يعيشها اكثر الافراد حرماناً وفقراً ؛ والّا فللفقير الحقّ في أن يثور ، وينتفض بوجه هذه الحكومة ؛ ويتعالى صراخه : باننا نكذب في وعودنا ، وادّعاءاتنا باننا نفكر فيهم ، ونهتم

بشؤونهم ؛ ولكن الآن ، سوف يطمئن باننا صادقون ؛ اذن فالقيادة والزعامة بنفسها تفرض هذه الحياة التي اعيشها .  
وبهذه الفكرة ، وهي انَّ للقائد بعض الوظائف الخاصّة به ، يظهر السرّ في اختلاف الائمة الطاهرين عليهم السلام ، من حيث السلوك الخارجي ؛ فالامام الصادق عليه السلام مثلاً كان يلبس نوعاً من الثياب ، يختلف عن النوع الذي كان الامام علي عليه السلام يلبسه ، وهذا الاختلاف يثير السؤال عن السرّ في ذلك ؟.

والجواب ما ذكرناه ، لاختلاف طبيعة القيادة وظروفها ، فإنّ لكل امام مكانة اجتماعية ، ربّما تختلف عن مكانة غيره ، بالاضافة إلى اختلاف الظروف التي عاشها الائمة عليهم السلام ؛ وقد اشار لهذه الفكرة الامام الصادق عليه السلام ، في حديث له في هذا المجال ، يشير إلى هذا المعنى الذي ذكرناه .

## ٢- التعاليم الاسلامية في القيادة :

هذا هو المصدر الثاني ، الذي يمكن التعرف من خلاله ، على شروط القيادة وأصولها في الاسلام ؛ وهو الرجوع للنصوص الرئيسية ، المتضمنة للتعاليم الاسلامية في هذا المجال .  
أمثال ما ذكره القرآن الكريم ، مخاطباً الانبياء عموماً ، والنبي محمد صلى الله عليه وآله بالخصوص ، حول اساليب تعاملهم مع مجتمعاتهم ؛ وكذلك التعاليم الصادرة ، حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .  
وارشاد الجاهل ، والوعظ والنصيحة ؛ وكل ما ورد من النصوص حول شروط التبليغ ، والمبلّغ ؛ ونحن لو أردنا ذكرها بالتفصيل ، لكان كتاباً كبيراً ، ولذلك نكتفي بهذه الاشارة إليها .

إن قضايا القيادة ومسائلها ، لها علاقة وثيقة بالنفس البشرية ؛ فإن استمالة النفوس وجذبها ، لتكون مستعدة للالتفاف حول القائد ،

والتضحية في سبيل رسالته ، ودفعها باتجاه الاهداف المقدسة العالية ؛ كل ذلك ، يحتاج إلى كفاءة كبيرة وقدرات فذة ، لا توجد عند كل أحد .

واليوم ، وبعد التقدم الكبير في علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والعلوم الانسانية على العموم ؛ قد اتضحت هذه الحقيقة بصورة جلية ، فاننا حين ندرس سيرة اولياء الله ، وقيادتهم ، نرى بأنها تتوافق مع اعمق الاسس والقواعد النفسية ، والاصول العلمية الدقيقة ، وقد تمكنوا بواسطة هذه القيادة الحكيمة ، من النفوذ بقوة لاعماق الجماهير ، وضخى الناس في سبيل رسالتهم بكل ما يملكون .  
ولكن ، ما هي شروط القيادة ؟ وهذا حديث طويل ، ونأسف لعدم توفر الفرصة لدراستها .

#### شواهد من تاريخ الاسلام :

وفي ختام حديثي ، أود أن اذكر بعض الشواهد والامثلة ، من سيرة النبي ﷺ والامام الحسين ﷺ ، كنماذج حية على الآراء التي تعرضت لها هذه الدراسة ، وكيف أمكن لهذا اليتيم ، الذي حاربه حتى اقرباؤه في بداية بعثته ، أن يبلغ الذروة التي وصل إليها من حيث التأثير والنفوذ ؛ حتى أن أبا سفيان ، الرجل المتمدّن ، أو المطلّع على مدنيات عصره ، حين ابصر النبي ﷺ عن كثب وحوله اصحابه : قال : (ما رأيت أحداً يُحبّه أحدٌ كما يحب هؤلاء لناس صاحبهم) .

وفي حرب تبوك ، حيث حدثت في ظروف عصيبة كان يمر بها المسلمون ، تلك التي يقول حولها التاريخ : (أن رسول الله ﷺ امر اصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من عسرة الناس وشدة الحر وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم) .

وفي هذه الظروف القاسية ، هدد الروم كيان الاسلام من الحدود الشمالية ، ورأى النبي ﷺ أن يرسل الجيش الاسلامي إلى الحدود الرومية ، وأعلن عن التعبئة العامة ، وحاول المنافقون كثيراً أن يوقفوا بوجه الزحف الاسلامي ، ولكنهم بأوا بالفشل .

وأمكن للنبي ﷺ أن يجهز جيشاً يتألف من ثلاثين ألفاً ، وقد لُقّب هذا الجيش (بجيش العسرة) ، لاجل المتاعب والظروف المرة التي يعيشها ، ولم تكن للمسلمين خيول كافية ، فكل اربعة منهم كانوا يشتركون بواحد منها ؛ وكذلك لم يمتلكوا الغذاء الكافي ، وربما اقتنع الواحد منهم بتمر واحدة ؛ بل ربما اشترك اكثر من واحد بتمر واحدة ، ولكن رغم كل هذه الظروف الصعبة ، اندفعوا للحرب خضوعاً لأوامر القائد .

وكان ابو ذر ركباً جميلاً هزياً ، لذلك تأخر عن الركب ، وقد تخلف عن هذه الحرب ثلاثة أفراد : فكانوا يقولون للنبي ﷺ : (يا رسول الله تخلف فلان ؛ فيقول : دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه) .

حتى قيل : يا رسول الله قد تخلف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره : فقال : «دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك اراحكم الله منه» . وأبو ذر في الواقع لم يتخلف عن الزحف ، ولكن لم تكن لجملة القدرة على المشي ؛ لذلك (تخلف عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ؛ وذلك أن جملة كان اعجب ، فلحق به بعد ثلاثة ايام ؛ وقف عليه جملة في بعض الطريق ، فتركه وحمل ثيابه على ظهره ، فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل ؛ فقال رسول الله ﷺ : كان ابا ذر ؟ فقالوا : هو ابو ذر) .

وحين وصل ابو ذر ، كانت ملامحه متغيرة من تأثير الحر والجوع والتعب ، كان وجهه مغبراً ، وشفته جافة كالخشبة .

وحين نظر الرسول ﷺ إلى سحنته ولامحه المرهقة ، رأى بانه سيقضى عليه من الظمأ ؛ (فقال رسول الله ﷺ : ادركوه بالماء فانه عطشان ، فادركوه بالماء ؛ واوفى أبو ذر رسول الله ﷺ ، ومعه ادواة فيها ماء ؛ فقال رسول الله ﷺ : يا ابا ذر معك ماء وعطشت ؟ فقال : نعم يارسول الله ، بابي انت وامي ، انتهيت إلى صخرة ، وعليها ماء السماء فذقته ، فاذا هو عذب بارد ؛ فقلت : لا اشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله ..) .

وعودة الثلاثة المتخلفين ايضاً ، لها حكاية مليئة بالعبر ، فإن المسلمين قد عادوا من تبوك ، دون أن يخوضوا حرباً ؛ وكان الناس منتظرين ، ما هو القرار الذي سيتخذه النبي ﷺ في حق هؤلاء الثلاثة؟ وحين سألوه عن موقفهم من هؤلاء الثلاثة ؟ امرهم ﷺ بمقاطعة المتخلفين ، وعدم معاشرتهم ، والالتقاء بهم ، والتحدث معهم .

وحين دخل المسلمون المدينة ، تقدم هؤلاء الثلاثة ، وسلموا عليهم ؛ ولكن ، اعرض عنهم المسلمون ؛ وكلما ارادوا الحديث مع واحد منهم ، اعرض عنهم ، ورجعوا إلى بيوتهم متألمين .

وحين علمت ازواجهم واولادهم ، بقرار النبي ﷺ استجابوا لندائه ، واتخذوا مع هؤلاء نفس الموقف الذي اتخذه سائر المسلمين. وحين حاول المتخلفين الحديث مع زوجاتهم ، لم يسمعوا منهم جواباً ، وتحذثوا مع اولادهم ، وايضاً كان جوابهم الصمت .

وبقي هؤلاء الثلاثة ، وحدهم في المدينة غرباء ، ذاهلين ، لا يتكلم معهم احد ، وكانت زوجاتهم يطبخن الطعام ثم يضعنه امامهم ، دون أن ينسبن ببنت شفة .

وضاقت الدنيا في عيونهم ، وشعروا باليأس والتمزق ، وادّت بهم هذه الحالة التعيسة ، إلى أن يرجعوا إلى انفسهم ، وإن يشعروا بأنهم قد ارتكبوا خطيئة وذنباً كبيراً ، ويلزم عليهم ان يتوبوا توبة مخلصه

ليقبلها الله تعالى ؛ ويخبر نبيّه بذلك ، ثم يعلنها الرسول ﷺ على الجميع ؛ وبعد ذلك ، سوف تعود لهؤلاء مكانتهم التي فقدوها بسبب التخلف عن الزحف المقدّس .

اذن فيجب عليهم أولاً ، ان يكتسبوا رضا الله ، ومن هنا ظلّوا اياماً عديدة يطلبون التوبة ، حتى قبل توبتهم .

ولقد ظهرت في كربلاء اروع الدروس والعبر في قيادة الامام الحسين عليه السلام الحكيمه ، وفي تأثير شخصيته ونفوذها في القلوب ، ان حكاية هذه القافلة الرائدة نموذج لا مثيل له في تاريخ العالم .

ورغم ان القائد ، قد اعلن منذ اليوم الأول ، بانهم سيُقتلون في سبيل الهدف ؛ ولكنهم صمدوا رغم كل التحديات ؛ لقد تمكن هذا القائد ، ان يعدّ هذه النفوس للالتفاف حول الهدف ، والتضحية والفداء في سبيله ؛ لقد تمنّى كل واحد منهم ان تكون له اكثر من روح واحدة ليقدّمها في سبيل الله ، وقد اثبتوا صدقهم بمواقفهم البطولية التي شهدتها تربة كربلاء الدامية .



## سؤال وجواب

السيد

عبدالكريم هاشمي نژاد

ترجمة : التمرير



سؤال :

هل يمكن الاعتراف علمياً بما يعتقدّه الشيعة من بقاء  
إنسان مئات السنين ، وهل يمكن تقبل ذلك وفق الموازين  
والمقاييس العلمية ؟

الجواب :

قبل التعرض لمعالجة هذه المشكلة ، يلزمنا أن نقول :  
بأن هناك قاعدة عامة يجب الالتزام بها ، وهي أنه لو ثبت (امكان)  
المسألة العقائدية عقلياً وعلمياً فإن ذلك يكفي للاعتقاد به ، فيما إذا  
اقتربت بدليل قطعي يثبت (وقوعها) كما لو اقترنت بإخبار صادق

امين .

إذ اتضح ذلك ، نقول ، بأن هناك عدة سبل تؤدي إلى اثبات (الامكان) في هذه المسألة أي امكان طول عمر الحجة عليه السلام .

لاجل معرفة الفرق بين المحال ، وغير الطبيعي ، يلزمنا أن نعرف أن الاعمال والامور على ثلاثة أقسام :

١ - الامور التي يستحيل تحققها ، امثال اجتماع النور والظلام في مكان واحد ، وزمان واحد ، وهذه الامور تعد من المحالات .

٢ - الامور التي ليست (ممكنة) فحسب ، بل أنها يمكن تحققها وفق مجموعة من الاصول والاساليب العادية المتعارفة لذلك تسمى بـ (الامور الطبيعية) أو (الاعمال العادية) واكثر حوادث الكون من هذا القسم .

٣ - الامور التي هي وإن كانت ممكنة الوقوع إلا أنها غير عادية وغير طبيعية . فهي خارقة للعادة الطبيعية ، لا أنها مستحيلة ، مثل شفاء المريض بالتوسل لله تعالى ، ودون استعمال الدواء ، أو سقوط انسان من شاهق دون أن يحدث فيه أي كسر ونحوه ، فقد نقلت بعض الصحف أن صبياً ، سقط من الطبقة السادسة لاحدى العمارات ، في المانيا الشرقية ، أبان مشاهدته لتساقط الثلج ، وبعد أن سقط من مكان يبلغ ارتفاعه ثمانية عشر متراً عن الارض ، نهض باكياً ، واندفع إلى امه ، ولم يحدث فيه أي أذى ، سوى اختلال طفيف في كبده .

والدكتور الكسيس كارل ، الحائز على جائزة نوبل ، يتحدث في احد كتبه ، عن الامور الخارقة للطبيعة ، والاعمال غير الطبيعية كالمعجزات ، فيقول : (لقد تجمعت لدينا الكثير من المشاهدات حول كيفية المعجزة ، والعلاجات غير الطبيعية ، ولدينا اليوم معلومات كافية حول التأثير المباشر السريع للدعاء في شفاء الامراض المختلفة ، امثال سل العظام ، والجروح العميقة ، والسرطان ، وغيرها ،

والطريقة التي يتم بها شفاء مختلف الافراد متحدة تقريباً عند الجميع ، والاغلب أن يشعر المريض بالم شديد ، وبعد ذلك يقترب من الشفاء التام ، فبعد عدة ثوان ، أو عدة دقائق ، أو عدة ساعات على الاكثر ، تلتئم الجروح ، وتختفي اعراض المرض ، وتفتح شهية المريض . ويستطرد الدكتور كارل فيقول في نفس الكتاب : (لقد ثبت علمياً تحقق هذه العلاجات ، فان للدعاء احياناً تأثيرات مذهشة ، فهناك مرضى كانوا مصابين بامراض مختلفة ، قد شفوا تقريباً ، من اشد الامراض خطورة بواسطة الدعاء).

وبعد وضوح هذه الفكرة ، يمكن لنا القول بأن بقاء الانسان الف سنة أو اكثر من هذا القسم ، أي أنه غير محال ، إذ لا يوجد أي دليل علمي أو عقلي على استحالة بقاء الانسان ألف سنة أو اكثر ، وكل ما يمكن أن يقال ، هو أن هذا البقاء غير عادي وغير طبيعي ، ولكن وجود الامور غير الطبيعية ، وغير العادية ، ليس بمستنكر .

#### نظرية عامل العمر وتقويته :

لو القينا نظرة على اختلاف الاعمار ، لرأينا بأن هناك من ينتهي عمره في العشرين ، ومن ينتهي عمره في الثلاثين ، وهكذا ، حتى التسعين ، ونستنتج من ذلك كله ، أنه يمكن تمديد العمر ، وذلك بتقوية العامل الذي يؤدي إلى طول الحياة ، في نوع البشر ، مهما فرضناه ، سواء قلنا بأن هذا العامل هو ارادة الله ، أو القوة والاستعداد البدني ، أو تأثير المحيط ، أو الالتزام بالقواعد العامة للصحة والوقاية ، وغيرها من العوامل ، فان هذا العامل الموجود في الشاب ، موجود بنفسه في الكهل أو الشيخ ، إذن فمن المسلم به امكان تقوية العامل الذي يتوقف عليه عمر الانسان ، إلى سن الثمانين أو المائة ، ولكن هل يمكن تقوية هذا العامل ، إلى اضعاف هذا المقدار بما يتجاوز

المئات أم لا ؟

وجوابنا عليه ، أنه لا ريب في ذلك ، فبعد أن اثبتنا امكان تقوية العامل ، إلى تسعة اضعاف ، وبعد عدم ثبوت الدليل العلمي على استحالة تقويته ، إلى هذه المرحلة ، لا بد من الاعتراف والاقرار بامكان ذلك ، ومثال ذلك ، السرعة فإن سرعة الطائرة في بداية اختراعها ، كانت ضئيلة ، ولكن باكتشاف عامل السرعة ، وتقويته ، بلغت السرعة إلى (١١) كم في الثانية ، وعليه ، فيصح لنا أن نتساءل : هل يمكن أن تبلغ سرعة الطائرة لسرعة الضوء أم لا ؟ ولكن انشتاين اثبت أنه لو بلغت سرعة المادة لسرعة الضوء ، فإنها ستتحول إلى طاقة ، لذلك لا يمكن أن تبلغ سرعة الطائرة لسرعة الضوء ، ولكن يمكن أن تكون سرعتها اقل من سرعة الضوء ، مهما كانت درجتها .

اذن فمع الاعتراف بهذا المثال العلمي ، وبالحقائق الآتية الذكر ، يتضح لنا امكان دوام العمر مئات السنين بلا ريب .

٣- قام العلماء باجراء التجارب العديدة على بعض الحيوانات وثبت امكان بقائها لمدة طويلة ، يفوق عمرها الطبيعي بكثير ، ومن الواضح أن هذا الدليل اكثر إقناعاً ودلالة على المسألة ، فإن الادلة السابقة كانت فرضية ، بينما هذا الدليل يدور حول مرحلة الفعلية ، والادلة السابقة غاية ما تثبته هو الامكان ، بينما هذا الدليل قد جسد هذا الامكان خارجاً ، واثبت الوقوع والتحقق ، ولا بأس قبل استعراض التجارب أن نذكر بعض آراء العلماء حول مسألة طول العمر .

يقول الدكتور هنري اسميس استاذ جامعة كولومبيا ، حول مسألة طول العمر : ان تحديد العمر وحصره ، مشابه للجدار الصوتي ، فكما أن العلم قد تمكن من نسف هذا الجدار واختراقه ، فسيتمكن العلم كذلك من تحطيم جدار العمر (١) .

ويقول هنري الجس : (لا بد من ايصال حد الموت في الأعمار

(١) صحيفة اطلاعات

الايرانية، العدد ١١٨٠٥

سنة ١٣٤٤ شمسية.

(٢) جواز سفر لحياة  
جديدة، باللغة الفارسية :  
١٤.

المتوسطة ، إلى نسبة الموت في الاطفال الذين لم يبلغوا العاشرة ، وإذا  
تحقق ذلك امكن للانسان القادم أن يعيش ثمانمئة سنة<sup>(٢)</sup> .

ويقول الدكتور جيلورد هاووزر الاميركي : (تمكن علم الطب بمعونة  
علم التغذية أن يقتحم الحدود المعينة للعمر ، فاننا بخلاف اجدادنا ،  
يمكن أن نحلم بأن نعيش مدة اكثر طولاً من المدة التي عاشها  
اجدادنا).

ويقول ايضاً : (أن لعلم الطب فصلاً خاصاً في التغذية ، يتمكن  
الانسان بالاستعانة به أن يصل إلى الشاب وطول العمر).

ويقول الدكتور وايزمن : (ليس هناك حدود معينة لأعمار  
الموجودات).

ويقول البروفسور بشتس : (ان الانسان يمكنه الوصول إلى الحياة  
الطويلة ، وطرد الشيب سنين عنه ، وذلك بالاستفادة من المواهب  
الطبيعية ، والقدرة على التمدن الكامنة فيه).

ويقول الدكتور باك نجاد : (ان الحيوانات تتفاوت في العمر فيما  
بينها ، فقد عثر على بعض الاسماك في المحيط الاطلسي يقدر عمرها  
بثلاث ملايين سنة ، وهناك بعض الحيات التي قدر عمرها بالآلاف  
السنين ، ولكن هناك بعض الحشرات التي لا تذوق طعم الحياة إلا في  
لحظات).

والآن نعود إلى استعراض التجارب العلمية في هذا المجال : ففي  
مجلة الهلال كتب مقال بعنوان (الانسان يعيش الوفاً من السنين) يقول  
فيها : (الدكتور جورج كلييز من اساتذة جامعة هال بالمانيا ، ومن  
اغرب ما آتاه أنه اخذ نوعاً من النبات العفن يسمى «سابرو لينا  
مسكتا» وهو ينمو على جثث الذئاب المائية ، ولا يعيش اكثر من  
الاسبوعين ثم عالجه حتى عاش ست سنوات ، وهذا العمل من الغرابة  
بمكان فهو بمثابة اطالة حياة الانسان إلى عشرة آلاف وتسع مائة

(٣) مجلة الهلال المصرية،

العدد ٩ ص ٧١٨، السنة ٢٣

سنة ١٩٥٤ م.

(٤) مجلة المقتطف: ٣،

سنة ٥٩، ص ١٣٩.

وعشرين سنة) (٣).

وذكر في مجلة المقتطف : (ان العلماء الموثوق بهم يقولون ان كل الانسجة من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له ، وأنه في الامكان أن يبقى حياً الوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته ، وقولهم هذا ليس مجرد ظن ، بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالامتحان) (٤).

والمجلة المذكورة ذكرت تجربة اجراها الكسيس كارل على قلب دجاجة حيث وضعه في محيط مشبع بالمواد الغذائية ، وبذلك بقي هذا القلب سليماً لمدة طويلة ، واستنتج من ذلك :

- ١ - إن الاجزاء الاصلية للبدن تقبل البقاء لو وصل لها الغذاء الكافي.
- ٢ - أنها تستمر في نموها وتكاملها بالاضافة لبقائها.
- ٣ - لا تأثير لمرور الزمان ابداً.

٤ - إن رشدتها ونموها له علاقة وثيقة بالغذاء الذي يصل إليها .  
وذكر هنري اسميس أن الدكتور الكسيس كارل قد وفق لابقاء دجاجة لمدة ثلاثين سنة ، مع أن عمر الدجاجة لا يتجاوز عشر سنوات .

بل يمكن القول بأن البقاء لمدة طويلة هو القاعدة بينما الموت هو الاستثناء وهو الذي يصرم العمر ، وهذه من النتائج التي تفيدها التجارب العلمية التي اجراها الكسيس كارل ، فتذكر المقتطف في هذا المجال : (بالامكان أن يبقى الانسان حياً الوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته) .

إن فلا غرابة في بقاء الانسان سنين متمادية ، بلا لابد من البحث حول سر الموت ، وحل لغز العمر ، وهذه هي المشكلة التي بحثها الكثير من الشعوب والحضارات عبر التاريخ ، أنه السؤال الدائم ، لماذا نموت ؟ .

## القرآن الكريم ونظرية طول العمر :

امكننا حتى الآن ، أن نثبت امكان طول العمر عقلياً وعلمياً وتجريبياً ، وحان الوقت للتعرف على رأي القرآن الكريم المعجزة الخالدة ، في طول العمر ، فإن للقرآن الكريم حوله المقنعة للكثير من المسائل المشككة .

فيتعرض لقصة نوح ، ويصرح بأن طول عمره كان بمشيئة الله ، ﴿ ولقد ارسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾<sup>(٥)</sup> ، ويقول حول يونس ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ للبت في بطنه إلى يوم يبعثون<sup>(٦)</sup> ، ويبدو من الآيات حول عيسى عليه السلام أنه حي يرزق ولم يموت ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ﴾ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ وإن من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً<sup>(٧)</sup> .

وإلى غير ذلك من الشواهد العديدة المذكورة في القرآن الكريم والتي صرح فيها بأن طول العمر كان بمشيئة الله ، فلو شاء لوهب العمر المديد لفرد ما ، بما يخرق به العادة المتعارفة في عمر البشر . وبعد كل هذه الآراء والحقائق ، فمن السخف المناقشة في مسألة الامام المهدي عليه السلام ، وبأنه كيف يمكن لانسان أن يبقى هذه المدة الطويلة ، فإن هذه المسألة قد ثبت صحتها بالتجربة ، فضلاً عن امكانها العقلي والعلمي ، فقد اثبتنا عدم استبعادها بنظر العلم والتجارب الطبية .

فمما تقدم يثبت لنا بأن هذه العقيدة التي يؤمن بها الشيعة موافقة للاصول العلمية .

بقي شيء : الدراسة الانفة الذكر ، كانت تدور حول (امكان) البقاء لا

(٥) العنكبوت : ١٤ .

(٦) الصافات: ١٤٣-١٤٤ .

(٧) النساء: ١٥٧-١٥٩ .

فعليته ، وتحققه الخارجي ، وقد اثبتنا الامكان بمختلف الادلة والبراهين ، ويلزم علينا الآن أن نقول : بأن القوى الفكرية ، والقدرات الموهوبة من الله تعالى محدودة ، ولكن الانسان رغم محدوديته هذه ، قد اخذ يفكر ، ويبحث ، ويجوب مختلف المجالات ليعثر على عين الحياة ، وليكتشف سر الحياة ، ليتمكن بعد توصله لحل لغز العمر ، أن يعيش الوف السنين ، فلو كان المخلوق كذلك ، فهل يعسر على خالق البشر أن يطيل حياة فرد ، الوف السنين ، وفقاً للمصالح التكوينية التي يقتضيها نظام العالم والخليفة ، وقد ثبت وقوع هذه الحقيقة فعلاً ، بادلة قطعية من الصادق الامين ، واثار إليها القرآن الكريم في الكثير من آياته الشريفة .

### سؤال :

اتضح من البحوث السابقة ، امكان بقاء الامام هذه المدة الطويلة ، ولكن هذه النتيجة ، سوف تصطدم بمشكلة اخرى ، وهي مسألة (الشيخوخة) ، فالذي يعمر هذه المدة الطويلة ، لابد أن تنهار منه القوى ، والاعصاب والاجهزة ، ولا يمكنه أن يتحمل المسؤوليات الخطيرة ، وقد ثبت أن الامام الغائب عليه السلام يظهر بصورة انسان كامل ، في قواه البدنية ، كرجل في الاربعين ، فهل يتلاءم هذا الاعتقاد مع الاصول العلمية ؟

### الجواب :

أجل ، لا يؤثر مرور الزمان ، وطول عمر الامام عليه السلام على قواه البدنية ، بل سيظهر الامام عليه السلام كرجل في الاربعين ، وقد دلت عليه الكثير من الادلة والنصوص نذكر نصين منها :

١ - عن أبي الصلت الهروي عن الامام الرضا عليه السلام قال : «علامته أن



يكون شيخ السن ، شاب المنتظر حتى أن الناظر ليحسبه ابن اربعين سنة ، أو دونها ، وأن من علاماته أن لا يهرم بمرور الايام والليالي حتى يأتيه اجله» (٨) .  
٢ - عن الحسين بن علي عليه السلام ، أنه قال : «ليطيل الله عمره اثناء غيبته ، ثم يظهره بقدرته ، بصورة شاب ابن دون الاربعين سنة» (٩) .

(٩) البحار ١٣: ١٢ .

والآن ، وبعد أن ذكرنا ذلك ، نقول : بأن مشكلة الشيخوخة ، كمشكلة طول العمر ، قد وضعت تحت التجربة ، ويأمل العلماء أن يعالجوها في القريب العاجل ، فقد قام الكسيس كارل باجراء تجربة على قلب دجاجة بعد أن وضعه في محيط مشبع بالمواد الغذائية الملائمة ، فبقي سليماً ، لم يؤثر فيه مرور الزمن ، وقد استنتج العلماء من ذلك أن توفير الغذاء المناسب ، وسائر الاحتياجات ، يستوجب أن يبقى الموجود على حيويته ، دون ضعف ، وعناء ، ولا يؤثر فيه مرور الزمن وطوله .

وقد ذكر في مجلة المقتطف ، العدد الثالث ، حول التجربة التي ذكرناها آنفاً : (ورابعاً : أن لا تأثير للزمن فيها أي أنها لا تشيخ ، ولا تضعف بمرور الزمان بل لا يبدو عليها اقل أثر للشيخوخة) .

وقد علق الدكتور هاويز الاميركي على هذه التجربة التي اجراها الكسيس كارل ، بقوله : (أن هذه التجربة تدلنا على امكان الاحتفاظ بالشباب مهما طال العمر ، فإن قطعة من قلب الدجاجة لو فصلت عنها ، ووقعت في المواد الغذائية اللازمة ، تبقى سليمة ، من أي خلل) .

وذكر عالم روسي اسمه الكساند مولتز : (بامكاننا معالجة الشيخوخة كأى داء آخر ولكننا اعتدنا على الاستسلام لها ، واعتبارها أمراً طبيعياً لا مفر منه) . وقد كتب الدكتور هاويز مقالاً حول الشيخوخة ذكر فيه النظريات والآراء التي عالج بها العلماء مشكلة الشيخوخة ، فقد نقل عن الدكتور شال ادوارد براون ، والدكتور اشبيناخ ، والدكتور ورونوف ، والبروفسور ويليام اوسلر وغيره ،

مباحث ودراسات كثيرة حول مرض الشيخوخة ، ووسائل علاجها ،  
وعلق على ذلك كله :

(والذي اعتقده الشيخوخة ناتجة من سوء التغذية ، وقد اثبت  
العلماء المتخصصون ذلك ، بادلة مقنعة ، وعديدة . واستنتجوا أن سر  
الشباب يكمن في الغذاء السليم ، كما ذكر ذلك الدكتور هنري شرمان ،  
في محاضراته : بأن بعض الاغذية يمكنها أن تكفل سلامة الانسان  
خلال عمره الطويل) .

وقد اعلنت بعض الصحف عن اكتشاف سائل ، ضد الشيخوخة  
فذكرت بأن الدكتور بنهانس قد اكتشف دواء ضد الشيخوخة ، وقد  
جرب هذا السائل ، عشرين الف مرة ، فلم يواجه بالخيبة ، وقد  
اكتشف الدكتور اصلان ، مادة جديدة ، لمكافحة الشيخوخة .  
والخلاصة أن الصحف ، تنقل لنا يومياً الكثير من الانباء العلمية ،  
والكشوفات في مجال مكافحة الشيخوخة .

ويتضح من ذلك كله ، أن مشكلة الشيخوخة كمشكلة طول العمر ،  
بمقدور الانسان أن يعالجها بواسطة الوسائل التي هيأها الله تعالى  
للإنش ، رغم قواه الفكرية المحدودة ، وهل يصح الاعتراض ، بعد ذلك  
كله ، على الشيعة ، بأنه كيف يظهر الامام شاباً ، وهل يصعب على الله  
تعالى ، خالق الكون ، أن يطيل عمر الامام المهدي عليه السلام هذه المدة  
الطويلة محتفظاً بسلامته وشبابه ، طبقاً للمصالح الكبيرة التي  
يقتضيها نظام الخليقة .

سؤا :

نشاهد كثيراً بعض المسلمين يمرون بالمفاسد والمنكرات ،  
الفردية أو الاجتماعية ، دون أن يشعروا بوظيفتهم للنهي عنها ،  
سد تندين في هذا الموقف السلبي لمسألة انتظار الفرج ، وان

الاصلاحات لا يقوم بها إلا المهدي المنتظر ، فهل يحق لهم مثل هذا الموقف من المنكرات ، وهل هذا هو المعنى الذي يتضمنه انتظار الفرج ؟

الجواب :

هناك عدة نصوص شرعية وردت حول مسألة انتظار الفرج ، وانتظار تلك الحكومة الالهية العادلة ، ونحن نذكر هنا روايتين ، وبعد ذلك نحاول البحث حول حقيقة انتظار الفرج وواقعة :

١ - قال رسول الله ﷺ : «افضل اعمال امتي انتظار الفرج من الله عز وجل» .

٢ - قال ابو عبد الله عليه السلام : «من مات منكم على هذا الامر منتظراً له ، كان كمن كان في قسطاط القائم» .

إذن ، فلا ريب بأن انتظار ظهوره عليه السلام بنفسه ، وتوقع حكومته ، من الامور التي يحض الاسلام عليها ، ويثاب المسلم المتصف بصفة الانتظار ، ولها آثار وفوائد معنوية كثيرة .

ولكن لابد من التعرف على حقيقة الانتظار وواقعة : فهل يعني الابتعاد والعزلة والسكوت عن المفاصد والمنكرات العامة والخاصة ؟ هل يعني عدم التأهب بأي نحو كان ، لمواجهة القوى الكافرة ، ومخططاتها ، مواجهة منطقية سليمة ؟ هل التحريض على انتظار الفرج الذي تحفل به النصوص الشرعية يعني نسخ التعاليم والقواعد الاسلامية كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومقارعة الظلم والجور والكفر بختلف الاساليب .

لو كان هذا المعنى هو الذي يتضمنه انتظار الفرج ، فالحق بجانب اولئك الذين يعتقدون بأن فكرة انتظار الفرج تدعو إلى البطالة والكسل ، وانها فكرة مخدرة للأفكار والقوى البشرية الثرة ،

والخلاصة أن هذه الفكرة ، بهذا المعنى المخدر ، هي الهدف البعيد لاطماع الاستعمار الغاشم .

ولكن الواقع ليس كذلك ، فان انتظار الفرج ، فكرة اصلاحية وسيعية ، فكرة رائدة تنظم القوى البشرية التي وضعت وفق قوانين خاصة لتأخذ بيد الانسان إلى احضان الكمال والسعادة للفرد والمجتمع .

ان مثل هذه الفكرة سوف تضرب بيد من حديد ، كل القوى الاستعمارية والمنحرفة ، وسوف تكون سداً منيعاً يصد احلامهم الشيطانية المتآمرة على البشرية جمعاء .

ولابد من توضيح هذه الفكرة اكثر ، لنتعرف على واقع انتظار الفرج :

فماذا يستهدف المنتظر من ظهور الحجة عليه السلام وماذا يتوقع ؟ وبالتعرف على طبيعة ما يستهدفه ويتوقعه ، تتضح لنا حقيقة الفكرة هذه .

إن المنتظر يتوقع بزوغ حكومة عالمية ، شعارها الاسمى تطبيق العدالة الاجتماعية في العالم كله ، واعادة الانسان إلى انسانيته التي نسيها بعد أن غرق في المادة واوحالها واضاليلها ، شعارها الاسمى تطبيق القوانين والتعاليم الاسلامية الخالدة ، المستخرجة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والنصوص الواردة عن الائمة عليهم السلام ، أنه ينتظر حكومة تقف بجانب المظلوم ، وتقارع كل ظالم .

والآن ، وقد اتضح ما الذي ينتظره المنتظر ، فهل يعقل أن يكون هذا المنتظر بنفسه غريقاً في احوال الظلم والذنوب ؟ هل يعقل لمن ينتظر حكومة قوية تقف بوجه الظلم والطغيان ، أن يكون ظالماً غاصباً لاموال الناس وحقوقهم ؟ وهل يعقل لمن ينتظر مثل هذه الحكومة التي تستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية وتطبيق التعاليم الاسلامية

الخالدة ، ومكافحة الذنوب والمعاصي ، أن يكون بنفسه فرداً غارقاً بالذنوب والآثام ؟ هل أن المرابي والمتعدي على حقوق الآخرين واعراضهم ، ينتظر حكومة عادلة ، تحارب الربا بكل قواها وتفرض عقوبات صارمة لمن يتعدى على حقوق الآخرين ؟ ومثاله ، مثال الشخص الذي يتظاهر بالشوق الشديد للقاء ضيف عزيز عليه ، مع أنه لم يعد أيّ عدّة لملاقاته ، فإن مثل هذا الشخص سيُعدّ من المجانين أو البلهاء .

ويتضح من ذلك كله ، أن انتظار الفرج نفسه ، مدرسة اصلاحية رائدة ، توجه المُنتظر توجيهاً سليماً ، وتربيته تربية ملتزمة ، ليقف بوجه امواج الذنوب والانحراف كالسد المنيع ، بل أنه يحاول ، بحسب امكانه ، اصلاح الآخرين وارشادهم وتوجيههم ، إما بلسانه ، أو بعمله ، وحول امثال هؤلاء الافراد يقول الامام الصادق عليه السلام : بأنهم لو ماتوا كانوا كمن كان في فسطاطه (عجل الله فرجه) .

هذا بالاضافة إلى أن هذا الانتظار بنفسه ، ليوم تسود فيه العدالة الاجتماعية كل انحاء العالم ، ويزاح ظلام الياس عن نفوس المصلحين ، بل البشرية كلها - ونظام العدالة هو الهدف الاسمي الذي تطمح إليه آمال البشر كلهم - هذا الامل الذي يخفق في النفوس ، هو بنفسه ، عامل محفز للحركة ، والعمل الاصلاحى ، فإن اليأس والقنوط عن تحقيق الهدف قد يؤدي بالانسان إلى ما لا تحمد عقباه .

وقد دعا البعض إلى تشكيل منظمات ، وهيئات عالمية ، لاجل تحقيق السلام العالمي .

ولكن لم تثمر هذه المحاولات سوى الشعارات البراقة الفارغة ، بل أن الاحصائيات التي تجرى كل عام ، تدل على زيادة حجم الجرائم مع تطور وسائل المعيشة ، مما تسبب الاضطرابات والتشنجات العامة والعميقة ، والتي تؤدي إلى القلق المدمر للانسان ، إلى الحد

الذي يكاد يعود فيه الانسان يائساً من تحقيق امله المنشود ، وهنا يتجلى لنا الاثر الحي لانتظار الفرج ، وانتظار ذلك اليوم الذي تدك فيه اسس الظلم والطغيان والاستعباد ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ﴾ (١٠).

(١٠) الانبياء: ١٠٥.

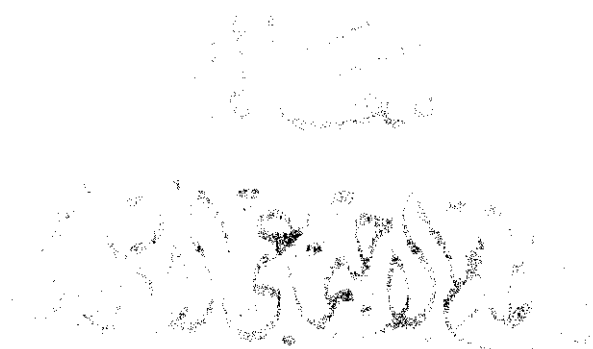
واخيراً نذكر رأياً لعالم كبير ، في مجال انتظار اليوم الذي يعيش فيه البشر جميعهم في ظلال قانون واحد ، وزعيم واحد ، وتعيش تحت افيائه البشرية بهدوء وسلام .

يقول جورج ساتون (ان العلم في عصرنا الحديث اثبت تفوقه في المجال العسكري ، والصناعي ، وسيأتي اليوم الذي يكون فيه هذا التفوق الاجتماعي عاملاً محفزاً لتطبيق العدالة الاجتماعية الملائمة لطبيعة المجتمع وجوهره).

الشيخ السني بن علي بن ابي طالب  
في القرن الثاني عشر  
الذي هو في القرن الثاني عشر  
الذي هو في القرن الثاني عشر

## دراسات

السيد  
منذر الحكيم



### تمهيد

١ - يمتاز النظام الاجتماعي الاسلامي عن غيره من الانظمة الاجتماعية بأنه وليد الوحي الالهي ، بينما تكون الانظمة الاخرى وليدة المجتمعات البشرية والتجارب الاجتماعية المتغيرة .

٢ - لكل نظام هدف أو أهداف يراد له تحقيقها ، كما أن له (قيماً) يرتكز عليها وينطلق منها .

وعلى اساس هذه القيم تتحدد الاهداف التفصيلية أو الخطوط العامة للنظام الاجتماعي ، والتي تتحكم في جميع الاحكام التفصيلية وعناصر النظام الاجتماعي واجزائه واركانه .

٣ - ولكل نظام خصائص وسمات يتسم بها ، وهي تنتزع من اهدافه

ومصادره ومجالات نفوذه وطبيعته ومجموع ارسدته .

٤ - وحينما يُطبَّق النظام الاجتماعي في مجتمعٍ ما فإنه سوف يفرز مجموعةً من النتائج التي تلقي بظِّلها على سماته وخصائصه ، كما أنه يكشف عن مدى واقعيته واصلته وشموله وقدرته على التطور أو التطوير للمجتمع الذي يتحكم فيه .

### اهداف وقيم النظام الاجتماعي الاسلامي

يستهدف النظام الاجتماعي الاسلامي ايصال الانسان إلى الكمال اللائق به عن طريق تحديد طريق الكمال الانساني المتمثل في العبودية التامة لله سبحانه على اساس حرية الارادة والسعي الحثيث في سلوك هذا الطريق .

ويمكن اعتبار صفات الكمال لله سبحانه اهدافاً للانسان ينبغي له أن يسعى للوصول إليها قال تعالى : ﴿ وَلِلّٰهِ الاسماء الحسنی فادعوه بها ﴾ وجاء في الحديث قوله ﷺ : تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللّٰهِ .

وهذه الصفات تعتبر قيماً يستند اليها النظام الاسلامي وينطلق منها في جميع تشريعاته ويسعى لايصال الانسان اليها .

وقد لَحَّص القرآن الكريم هذه القيم التي تجسّدت في شخصية القائد الاعظم - محمد بن عبد الله ﷺ - بقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> وفسّر ذلك الرسول الكريم بقوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ﴾ .

(١) الفلم : ٤ .

فرسالة الدين الحنيف الذي يريد تنظيم الحياة الاجتماعية للانسان تتلخّص في تحقيق هذه المكارم في النفوس البشرية عبر الكدح والسعي المتواصل في جميع مجالات الحياة على اساس تطبيق الاحكام التي جاء بها الدين والتي تنظّم كل مرافق الحياة الفردية والاجتماعية ، للانسانية جمعاء .



### أركان النظام الاجتماعي الاسلامي

يعتمد النظام الاجتماعي الاسلامي على مجموعة من الأركان ويتقوم بها بنحو يكون التخلّي عن أحدها أو تناسي واحد منها مزعزعا لروح النظام ومغيراً لما هيّته وأصالته .

ويمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - التوحيد الذي يمثّل وحدة السيادة الله سبحانه وتعالى والذي منه يستمد النظام شرعيّته وحقانيّته ، وهو الذي يسري في جميع عروق النظام ويهيمن على جميع الاحكام والتشريعات الكلّية والجزئية ، واليه تعود جميع الاركان الاخرى وتتواشج معه وتتناسق على أساسه ، فهو الروح السارية في كل أصل وفرع .

٢ - خلافة الانسان عن الله تعالى . وتتمثّل هذه الخلافة الالهية في مسؤولية الحكم والامانة تجاه هذه المسؤولية التي ألقيت من قبل الله تعالى على عاتق الانسان في هذه الحياة .

٣ - الانسان المعصوم هو حلقة الوصل بين الله وبين عباده من خلال تلقّيه للوحي الالهي المتضمّن للشرعية الالهية والهدي الربّاني الذي يُراد ترشيد حركة الانسانية على أساسه .

والمعصوم هو الذي يضمن وصول الوحي الالهي بشكل كامل الى الانسانية كما يضمن تحقيق النظام الربّاني في المجتمع البشري ، وهو الذي تتحقق أهداف النظام من خلال سعيه وتوجيهه وجهاده .

واذا كانت الشريعة تمثّل تياراً معرفياً وثقافياً وتتطلّب ثورة شعبية لارساء النظام في المجتمع البشري فالمعصوم هو القيادة الأمينة والمستمرة التي تحرس الرسالة والامة والدولة الربانية المطلوبة .

٤ - الحرية الانسانية المحدودة بالحدود الالهية التي تمكّن الانسان من اختيار المصير الذي يسعى نحوه .

٥ - المساواة أمام الله وأمام الشريعة الإلهية تمثل ركناً من أركان القوة والديمومة والعالمية للشريعة والنظام الإلهيين فإن نسبة الله وارتباطه بعباده على حد سواء ولا يتحقق القرب الى الله الا بمقدار الانتماء الواقعي اليه والاخلاص في هذا الانتماء ، بل لا يتحقق الانتماء بشكل واقعي وموضوعي الا بمقدار الجهد والاخلاص المبذولين في سبيل نيل رضاه ، ذلك الرضا المتمثل في أحكامه وتعاليمه والمتمثل بمقدار تجسيد هديه والتحقق بصفات كما له .

فالإمام والمأموم والحاكم والمحكوم كلهم سواء ولا يتفاوتون إلا بمقدار التقوى التي هي التعبير الواقعي عن درجة الالتزام بالتعاليم والأحكام الإلهية ، قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ (٣) .

(٣) الحجرات : ١٢ .

٦ - العدالة الإلهية ركن مهم في التشريع والتقنين ، وفي تقسيم الحقوق والواجبات بين جميع عناصر المجتمع وافراده قادة ومقودين . والعدالة في الجزاء تبع للعدالة في التشريع ، فالنظام الاجتماعي الاسلامي يرتكز على الاعتدال والوسطية ومراعاة الحقوق والواجبات لكل عضو من أعضاء الاسرة الاجتماعية تبعاً للدور الذي يقوم به والحيّز الذي يملأه في المسيرة الاجتماعية التكاملية .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (٤) .

(٤) الحديد : ٢٥ .

٧ - الكرامة الانسانية المستمدة من الكرامة والعزة الإلهية هي دعامة من دعائم النظام الاسلامي وتتضمن التشريعات الاجتماعية تحقيق الكرامة والعزة التي استحقها الانسان المؤمن لارتباطه بالله سبحانه الذي هو مصدر العزة والعظمة والكمال .

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) .

(٥) المنافقون : ٨ .

ولعل من مظاهر هذه العزة ما جاء في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٦) .

(٦) التوبة : ٣٣ .

(٧) النساء : ١٤١ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (٧) .

### الخصائص العامة للنظام الاجتماعي الاسلامي

يتميز النظام الاجتماعي الاسلامي بمجموعة من السمات التي تميّزه عمّا سواه من الانظمة الاجتماعية ، وإليك بعض هذه السمات :  
١ - إنه نظام إلهي يستمد روحه ومضمونه وإطاره وصيغته وحقيقته من الله سبحانه ، مصدر الوجود وخالق الكون ومكوّن الانسان وفاطره العالم بكل اجزائه وحاجاته والاهداف التي خلقه من أجلها وجاء به من أجلها إلى هذه الحياة .

(٨) البقرة : ١٢٠ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى ﴾ (٨) .

(٩) الانعام : ٨٨ .

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٩) .

(١٠) البقرة : ١٢٨ .

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (١٠) .

٢ - إنه نظام انساني يريد السعادة والكمال للانسانية جمعاء فلا يختص ب فئة أو طائفة أو عنصر بشري أو منطقة معينة أو فصيلة بشرية خاصة .

(١١) الاعراف : ١٥٨ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (١١) .

(١٢) آل عمران : ٩٦ .

﴿ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٢) .

(١٣) الفرقان : ١ .

﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١٣) .

(١٤) التكويد : ٢٨ .

﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (١٤) .

٣ - إنه نظام عقائدي يبتنى على أسس عقائدية ثابتة رصينة ، وليس هو وليد تجربة اجتماعية خاصة أو حاجة انسانية محدودة أو ظرف معين ، بل هو نظام أملتة العقيدة التوحيدية الإبراهيمية الحنيفية التي آمنت بها الفطرة وأيدها العقل السليم .

٤ - إنه نظام أخلاقي ، يسعى لتحقيق مكارم الاخلاق وتتوكأ جميع تشريعاته على القيم الاخلاقية العالية . وتهيمن الاخلاق الكريمة على

مجمل أحكامه وتفصيلها .

٥ - إنه نظام واقعي لا يغفل عن الواقع الانساني في كل عصر ، ولا يتمادى في المثالية ولا ينحدر في الحيوانية المقيتة ، بل يأخذ واقع الانسان في كل مراحل حركته بعين الاعتبار .

قال تعالى : ﴿الاي علم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (١٥) .

(١٥) الملك : ١٤ .

٦ - إنه نظام شامل لكل جوانب حياة الانسان : الفرد والمجتمع البشري معاً ، فلا يترك جانباً دون حكم أو قانون ولا تشذ حالة من حالات الانسان عن تشريعاته .

٧ - إنه نظام متطور بتطور الزمن رغم اصالته وعمقه ورغم ثبات خطوطه العامة فانه ينسجم مع تطور الحياة ويأخذ بالمجتمع نحو التطور والكمال .

### سمات المجتمع الاسلامي

١ - انه مجتمع عقائدي : فلا تحدده حدود جغرافية أو عنصرية بل تحدده العقيدة الاسلامية ، ومن هنا لا نجد حدوداً جغرافية واقعية بين ابناء المجتمع الاسلامي .

٢ - انه مجتمع متعبد لله سبحانه ، فهو يتجه في كل نشاطه نحو الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ (١٦) .

(١٦) الانشقاق : ٨٤ .

و يتمثل هذا النشاط في الخضوع للنظام الالهي وتطبيق هذا النظام بشكل دقيق . قال تعالى : ﴿واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (١٧) .

(١٧) آل عمران : ١٠٢ .

٣ - والتوجه إلى الله لا ينفك عن التوجه إلى الحياة الآخرة ، فالدنيا تستثمر من أجل إعمار الآخرة . قال تعالى : ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ (١٨) .

(١٨) العنكبوت : ٦٤ .

وينعكس هذا الشعور ويتجلى في كل مرافق الحياة سياسياً واقتصادياً وتعليمياً وفي الادب والفن بل وفي كل نشاط فردي أو اجتماعي .

٤ - إن الكدح المستمر واعتبار الدنيا مزرعة للآخرة والتزوّد من العمل الصالح الذي يثمر الصلاح والسعادة للإنسان على طول الخط يجعله مجتمعاً جاداً في الحياة الدنيا ، مؤثراً للجد على اللهو واللعب . فهو يبعد عن النشاط العائب واللهو الفارغ ، وإنما يستروح بالحكمة والذائذ التي أحلّها الله لصالح عباده .

٥ - ولا يتوانى هذا المجتمع عن استثمار كل ما يمكن استثماره في الحياة الدنيا من أجل الوصول إلى السعادة الأبدية . والحرص في كسب العمل الصالح لا يؤدي به إلى الحرص على المادة والتهالك عليها أو حبس الثروات واكتنازها وإنما ينسجم هذا الاستثمار مع روح الزهد وعدم الاغترار بالحياة المزخرفة الفانية ، بل يعتبر الزهد انطلاقاً من أثقال المادة وعدم القنوع بالسعادة المحدودة الزائلة بدل الحياة السعيدة الابدية الخالدة .

فالحرص على العمل الصالح والاصرار على اكتساب الخير يجتمع مع الزهد في كل شيء يعيق الحركة الرشيدة في هذا المجتمع الانساني المؤمن .

٦ - إن الاعتدال والتوازن والاستواء سمات تخص المجتمع الاسلامي باعتبار اعتدال الشريعة واستواء احكامها وتوازن مقاصدها وانسجام اطرافها ووسطية طريقها . قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ (١٩) .

(١٩) البقرة : ١٤٣ .

٧ - المجتمع الاسلامي مجتمع متماسك باعتبار انضواء جميع اعضائه تحت راية واحدة والتزام كل فرد منهم بحبل الله الواحد كما قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (٢٠) فهو ينبذ

(٢٠) آل عمران : ١٠٣ .

الخلاف والتفرّق والتشتّت بالرغم من وجود اسباب الاختلاف ولكنه يتحد على أساس وحدة العقيدة والطريق والهدف .

٨ - ويتمتع المجتمع الاسلامي بنوع من الانشداد العاطفي الذي أوجده الاسلام من خلال عملية التآخي التي دعا إليها الاسلام بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٢١) . ومن خلال التكافل والتراحم الذي زرع بذوره الاسلام العظيم بقوله تعالى : ﴿ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢٢) ، ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْمَسْكِينِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٢٣) ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ... الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (٢٤) .

(٢١) الحجرات : ١٠ .

(٢٢) الفتح : ٢٩ .

(٢٣) الماعزج : ٢٤ .

(٢٤) المؤمنون : ٤ .

٩ - كما يتمتع المجتمع الاسلامي بالاستقلال الثقافي والسياسي والعسكري والاقتصادي .. ولا يخضع لأي نوع من انواع التبعية . قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (٢٥) .  
﴿ شَجَرَةٌ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ (٢٦) .  
﴿ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) .

(٢٥) البقرة : ١٤٣ .

(٢٦) النور : ٣٥ .

(٢٧) النساء : ١٤١ .

١٠ - ويتميز المجتمع الاسلامي عما سواه بأصالته الفكرية وقدرته السياسية والعسكرية وفي كل مجال من مجالات الصراع الدولي والاجتماعي ، قال تعالى : ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (٢٨) .

١١ - إن الارضية التي يوجدها النظام الاسلامي تسير بالمجتمع الاسلامي نحو قمم الابداع والابتكار واستنفار كل الطاقات الخيرة والاستعدادات الكامنة واستثمارها في طريق الخير والهدى والكمال .

١٢ و ١٣ - ويتميز المجتمع الاسلامي بفاعليته ونشاطه وانفتاحه على المجتمعات الاخرى لما يتميز به النظام من اسس منطقية وعلمية رصينة ولما يدعو إليه من السير نحو الاحسن والاكمل ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩) .

(٢٨) البقرة : ١٤٣ .

(٢٩) الزمر : ١٨ .

١٤ - ويتصف المجتمع الاسلامي بصفات الانفاق والايثار والكرم

(٢٠) البقرة : ٢ .

(٣١) الحشر : ٩ .

(٣٢) المنافقون : ٨ .

قال تعالى : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٢٠) .

﴿ ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (٣١) .

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ (٣٢) .

١٦ - وهو مجتمع لا يحابي ولا يداهن على حساب الاهداف العليا ولا يتنازل عن الشريعة الالهية رغم قساوة الظروف ، فهو شديد على اعداء الله واعدائه بالرغم من تماسكه وتراحمه فيما بينه . قال تعالى :  
﴿ اشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (٣٢) .

١٧ - وهو مجتمع مجاهد على طول الخط لاعلاء كلمة الله ولتحقيق السلم الحقيقي قال تعالى : ﴿ وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ (٣٤) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ (٣٥) .

(٣٤) الانفال : ٢٩ .

(٣٥) البقرة : ٢٠٨ .

١٨ - إنه مجتمع حريص على سعادة الانسانية وحريتها ومسؤول عن كرامتها وعزتها باعتباره مجتمعاً شاهداً وشهيداً على غيره فهو القدوة التي أوكلت لها مهمة تحقيق سعادة الانسانية من خلال رفع الأغلال والموانع الفكرية أو السياسية التي تحول بينها وبين الهداية الالهية والمتطلبات الفطرية والحاجات الحقيقية .

## النظم الاسلامي

### عناصر النظام الاجتماعي الاسلامي

يتكفل النظام الاجتماعي الاسلامي بتنظيم وتقنين العلاقات الاجتماعية فهو الذي يحدد نوع العلاقة المطلوبة بين اطراف العلاقة في المجتمع .

(٣٦) سبق وأن أوضحنا

ذلك في المدخل إلى النظام الاجتماعي الاسلامي؛ في العدد ٢٥ من رسالة الثقلين.

واتضح مما سبق (٣٦) أن اطراف العلاقة ، بحسب الرؤية الاسلامية هي: (الله والانسان والطبيعة) . فالانسان له علاقة بربه ومالكة وصاحب الامر والنهي في وجوده ، ولا بد للنظام الاسلامي أن يلاحظ هذه العلاقة التي هي الأساس الأول لسائر العلاقات الاجتماعية كما

أوضحناه في مفهوم الخلافة والاستخلاف والاستئمان الذي طرحه القرآن الكريم وبيّن أبعاده ، وإليه يشير ما جاء في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام) حيث قال : «اعلم رحمك الله أن عليك حقوقاً محيطت بك ، في كل حركة تحركتها أو سكنة سكنتها ، أو منزلة نزلتها ، أو جارة قلبتها ، وآلة تصرفت بها ، بعضها أكبر من بعض» .

«واكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرّع» .

وعلى هذا الأساس تتضح وتتحدد أنواع العلاقة المطلوبة فيما بين الإنسان ونفسه . وهذه هي النقطة المهمة التي أغفلتها سائر الانظمة ولم تُعر لها أية أهمية بينما اعتنت بها الشريعة الاسلامية أيّما اعتناء . فالإنسان مسؤول عن نفسه أمام ربه ، كما هو مسؤول عن مجتمعه وبني نوعه أو أية نعمة أنعم الله بها عليه في هذه الحياة .

قال تعالى : ﴿إِن السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (٣٧) الاسراء : ٣٦ .

وقال : ﴿لَتَسْتَئْزِ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٣٨) .

وجاء في الحديث الشريف : أن الإنسان يُسأل في يوم القيامة عن أمور : «عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وأين صرفه وعن حبه لاهل البيت (عليه السلام)» (٣٩) .

وباعتبار تعدد اطراف العلاقة الاجتماعية تتعدّد المجالات ويكون لكل مجال نظام يخصه . ففيما يرتبط بتنظيم علاقة الإنسان بالطبيعة والاموال يلزم البحث عن النظام الاقتصادي وفيما يرتبط بعلاقة الإنسان بالإنسان ، تتعدّد الانظمة باعتبار الحيثية المختلفة فعلاقة الحاكم بالمحكومين والقائد بالمقودين حينما يراد تنظيمها يأتي البحث عن النظام السياسي ، ونظام الحكم والادارة . وباعتبار علاقة الفرد بأرحامه يأتي البحث عن العائلة ونظام الاسرة وباعتبار حاجة

(٣٩) حياة الامام زين العابدين للقرشي: ٢٦٥ عن رسول الله (ص).



الانسان إلى المعرفة ومصادر التشريع يأتي البحث عن الدين والنظام التعليمي أو النظام الثقافي .  
والمفردات الخمسة التي تكوّن مجموعها النظام الاجتماعي ومنه تتفرّع سائر المفردات هي :

١ - الدين .

٢ - الثقافة .

٣ - الحكم .

٤ - الاقتصاد .

٥ - الاسرة .

وقد اعتاد الباحثون الاجتماعيون على البدء بالصغر المفردات أو أقلها عبثاً وإثارةً وهي العائلة والاسرة فقدّموا بحثها ثم ينتهون إلى الاقتصاد فالحكم فالثقافة فالدين .

ولكن المفروض أن يبدأ البحث من الاساس ومن ما هو أوسع وأشمل لتحدّد أنواع العلاقات وتترتّب بشكل منطقي . فالمفروض ان أن يبدأ البحث بالثقافة التي تعتبر هي المصدر لكل الانظمة المذكورة أو يبدأ البحث بالدين باعتباره أحد مصادر الثقافة أو أهمها في المنظار الاسلامي .

### الدين ونظامه

والنقاط التي تستحق البحث هي :

١ - تعريف الدين .

٢ - اهدافه .

٣ - مجالاته .

٤ - مصادره .

٥ - كيفية تحصيله .

٦ - خصائصه وسماته .

٧ - مصادر البحث عنه .

١ - الدين - بالمصطلح القرآني - هو الهدى الإلهي والثقافة الربانية للبشرية . والتي لا بديل لها ولا مثيل لها . قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٤٠) وقال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٤١) . وقال تعالى : ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ (٤٢) ، وقال أيضاً : ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ﴾ (٤٣) .

(٤٠) البقرة : ٣٨ .

(٤١) الأنعام : ٩٠ .

(٤٢) البقرة : ١٢٠ .

(٤٣) الإسراء : ٩٧ .

٢ - وظيفة الدين وهدفه انتشال الانسان من الخسران والشقاء . قال تعالى ﴿ إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾ (٤٤) . ويتمثل ذلك في اخراجه من الظلمات إلى النور بإذن الله وتخليصه من كل خوف وحزن يطرأ على الانسان نتيجة الضلال والانحراف عن المسيرة الطبيعية للانسان نحو الكمال .

(٤٤) العصر : ٢ .

فالدين بتقديمه الثقافة المطلوبة والمعرفة اللازمة للانسان يسير بالانسان نحو الكمال عبر قيادة معصومة توصل إليه المعرفة الإلهية بشكل مأمون وتساعده في تطبيق احكام الدين بالشكل اللائق بالانسان .

فالدين يقوم بالهداية والارشاد المتمثل في تربية ربانية للانسان الذي رباه الله بيديه وعلى عينه ، قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ (٤٥) .

(٤٥) طه : ٣٩ .

وقال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (٤٦) .

(٤٦) المائدة : ١٥ - ١٦ .

٣ - إن الثقافة الوضعية تختزل الدين وتحدد مجالاته وتلخصه في علاقة بسيطة وجزئية بين الانسان وربه ولا تشغل أي مجال من

مجالات حياته سوى بعض الطقوس التي يقوم بها الانسان في بعض الاوقات أو في بعض الامكنة .

لكن الدين بالمنظار القرآني يملأ كل مجالات حياة الانسان ويرتبط بكل شؤونيه ويحدد له كل علاقاته الاجتماعية والفردية فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين ما يحيط به من كائنات .

ولا تجد مجالاً لا يُدلي فيه الدين برأيه ، بل يعتبر الدين علاقة الانسان بربه أساس العلاقات كلها ، وذلك لأن الله هو الخالق والرب والحاكم والقيوم الذي منه تُستمد المعرفة والشريعة والنظام .

فعلاقة الله بمخلوقاته هي أعمق العلاقات وأوسعها من حيث المساحة . ولا يوجد مجال يمكن أن يشذ عن هذه العلاقة بل الانسان مسؤول أمام ربه بالنسبة لكل شيء يحيط به أو يرتبط به .

٤ - والدين - في المنظار القرآني - له مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى ولا يصلح غيره لأن يقدم للانسان الدين الذي هو منهاج الحياة .

قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ... والذي اوحينا إليك ﴾ (٤٧) .

(٤٧) الشورى : ١٣ .

وقال تعالى : ﴿ قل الله اذن لكم أم على الله تفترون ﴾ (٤٨) .

(٤٨) يونس : ٥٩ .

فما لم يأذن به الله يكون بدعة وافتراء عليه . كما قال أيضاً : ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ (٤٩) .

(٤٩) البقرة : ١٢٠ .

وقد جعل الله (القرآن) مصدراً مأموناً وجامعاً لهديه الذي جاء به خاتم الانبياء ﷺ وقد ارجع القرآن الكريم المسلمين جميعاً لأخذ تفاصيل هذه الشريعة إلى رسوله والذين عندهم علم الكتاب .

(٥٠) الحشر : ٧ .

قال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٥٠) .

(٥١) الانبياء : ٧ .

وقال تعالى : ﴿ فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (٥١) .

٥ - ولكيفية استحصال احكام الدين من مصادره فن خاص وأدوات خاصة تكفل بها علم اصول الفقه ، ويمارس الفقهاء عملية استخلاص الشريعة باصولها وفروعها من كتاب الله وسنة رسوله وأهل بيته ويتجلى بعض جهدهم في رسائلهم العملية .

وتنقسم احكام الدين وقوانينه إلى أحكام ضرورية ومسلمة عند المسلمين لا حاجة للتقليد فيها واحكام اجتهادية غير ضرورية لابد للإنسان أن يتخصص فيها ويجتهد لتحصيلها أو يكفي بالتقليد ممن هو متخصص فيها .

٦ - وأما خصائص الدين الاسلامي وسماته ، فقد قال تعالى عنها : ﴿ فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ (٥٢) .

(٥٢) الروم : ٣٠ .

فالإسلام دين الفطرة . وهو ما تتطلبه طبيعة الانسان وفطرته من رؤى وأحكام وتعاليم ومعارف ، وهو الدين القيم على سائر الاديان ولاناسخ لتعاليمه بل هو الخاتم لسائر الشرايع .

ويتميز بكونه شاملاً لجميع جوانب الحياة الانسانية ، كما يتميز بعالميته ، قال تعالى : ﴿ هدى للعالمين ﴾ (٥٣) فهو للناس جميعاً وعلى

(٥٣) آل عمران : ٩٦ .

مدى العصور ﴿ لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٥٤) . فهو رباني ومصدره هو الله تعالى ، أوحاه عن طريق

(٥٤) فضلت : ٤٢ .

جبرئيل وهو أمينه إلى رسوله الأمين . فهو الدين الحق الذي يأخذ واقع الانسان بنظر الاعتبار ويسير به نحو المثل العليا التي ينبغي للانسان أن يتسلق سلم الوجود باتجاهها في هذه الحياة الدنيا ، فهو دين واقعي مثالي (نموذجي) انساني . قادر على إسعاف حاجات الانسان كلما تطوّرت الحياة وكلما تكامل الانسان اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً .

ويؤكد الدين الاسلامي على الاخلاق كرسيد أساسي لكل أحكامه

- وينظم حياة البشرية أكمل تنظيم بحيث يجعل الانسان في حركة دائمة متطورة نحو المبدع العظيم والكمال المطلق سبحانه وتعالى .
- ٧- ويمكن مراجعة المصادر التالية لاستكمال الرؤية عن الدين :
- أ - الاسلام يقود الحياة : ج ٤ و ٥ ، الشهيد الصدر .
- ب - الاسلام : ينابيعه ، مناهجه ، غاياته ، محمد امين زين الدين .
- ج - الدين / القرآن ، د . محمد عبد الله دراز .
- د - الحياة ج ١ و ٢ (لايدولوجية الالهية + القرآن) .
- هـ - ميزان الحكمة (الدين + الاسلام) .
- و - المرسل الرسول الرسالة ، الشهيد الصدر .

### الثقافة والنظام الثقافي

ويقع البحث في النقاط التالية :

- ١ - تعريف الثقافة .
- ٢ - الاهداف الثقافية في الاسلام .
- ٣ - المجالات الاولى للثقافة الاسلامية .
- ٤ - المصادر الاولى للثقافة الاسلامية .
- ٥ - كيفية الحصول على الثقافة الاسلامية من مصادرها .
- ٦ - مبادئ الثقافة الاسلامية وخصائصها .
- ٧ - مصادر البحث عن الثقافة الاسلامية ونظام التعليم والتربية في الاسلام .

١ - تعريف الثقافة : تمثل الثقافة الخطوط التفصيلية للمضمون العقائدي والاخلاقي للمجتمع . فالثقافة توحد اهداف أبناء المجتمع كما توحد مسارهم ومواقفهم ، فعليها يركز البناء الاجتماعي سياسياً واقتصادياً وأمنياً .

وللمنهج الثقافي دور مهم في ترسيخ الثقافة ونجاحها في تحقيق

أهدافها .

٢ - تستهدف الثقافة الاسلامية تنشيط العقل الانساني وتنمية روحه وملكاته الاخلاقية وسلوكه وكل نشاطه باتجاه الكمال الانساني اللائق به .

فالثقافة هي العنصر الأول والاساس في تغيير الفرد والمجتمع معاً .

٣ - تستوعب الثقافة الاسلامية كل مجالات الحياة باعتبار أن الاسلام دين يهتم بكل جوانب الحياة الانسانية . وإنما يتم ذلك عن طريق رسم المعالم المطلوبة في كل مجال وتثقيف الانسان المسلم والمجتمع على ما يريده الاسلام في كل مجال من مجالات الحياة .

ولم يحدد الاسلام التثقيف بزمان خاص أو مكان خاص بل دعا كل المسلمين إلى التعلم والتثقف قائلاً: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، واطلبوا العلم ولو بالصين ، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها ، واطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»<sup>(٥٥)</sup> .

(٥٥) الكافي ١: ٣٠١ .

وقال الله تعالى مبيّناً فضيلة العلم والمعرفة :

(٥٦) المجادلة : ١١ .

١ - ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾<sup>(٥٦)</sup> .

(٥٧) الزمر : ٩ .

٢ - ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾<sup>(٥٧)</sup> .

(٥٨) العنكبوت : ٤٩ .

٣ - ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ﴾<sup>(٥٨)</sup> .

(٥٩) فاطر : ٢٨ .

٤ - ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾<sup>(٥٩)</sup> .

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال :

١ - «أقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد» .

٢ - «من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم»<sup>(٦٠)</sup> .

(٦٠) راجع النظام التربوي للقرشي: ١٥٥ .

وقد جمع الاسلام بين العلم والعبادة بل جعل العلم طريقاً للعبادة ، كما جمع بينهما بأن جعل طلب العلم من افضل أقسام العبادة ، كما

جعل المسجد ومحل العبادة المركز الاول لطلب العلم ونشره .

بل نجد أنَّ القرآن الكريم ومعجزة الرسول الخالدة معجزة علمية ثقافية ، ولا أدل على اهتمام الاسلام بالثقافة من هذه المعجزة التي جاءت بثقافة جديدة للبشرية وهي معجزة خالدة حتى يومنا هذا ، ذات معين لا ينضب وعطاء لا ينقطع .

وقد تكرم الله على البشرية بتقديم منهاج ثقافي يستوعب البشرية ومراحل تطورها وتكاملها ويقوم بتطويرها وترشيدها حركتها إلى الله سبحانه وتعالى تطويراً لا يقف عند حدٍ . قال تعالى لرسوله الكريم : ﴿وقل رب زدني علماً﴾<sup>(٦١)</sup> ، وقال أيضاً : ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾<sup>(٦٢)</sup> .

(٦١) الكهف : ١١٤ .

(٦٢) يوسف : ٧٦ .

٤- إن الدين الاسلامي باعتبار كماله وجامعيته يقدم للانسانية كل ما تحتاجه من الثقافة ، فمصادر الثقافة الاسلامية إذن هي الكتاب المبين والسنة النبوية الشريفة المستمدتين من الوحي الإلهي . قال تعالى : ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾<sup>(٦٣)</sup> ، وقال تعالى لرسوله الكريم : ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾<sup>(٦٤)</sup> .

(٦٣) البقرة : ١٢٠ .

(٦٤) البقرة : ١٢٠ .

ويؤكد الاسلام على ضرورة الاستهداء بالهدي الرباني ، فقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً﴾<sup>(٦٥)</sup> : أن الانسان عليه أن ينظر إلى علمه ، عمّن يأخذه ، ولا علم إلا من عالم رباني .

(٦٥) عبس : ٢٥ .

٥- وقد حث القرآن الكريم على تحصيل العلم ، والاجتهاد في تحصيله ، وعبر عن ذلك بالتفقه وهو الفهم والوعي والتدقيق الكافي في مصادر الثقافة الاسلامية وتجلت هذه الحقيقة في صريح قوله تعالى : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾<sup>(٦٦)</sup> .

(٦٦) التوبة : ١٢٢ .

وللتفقه في الدين منهج علمي حدّدت معالمه آيات الكتاب الحكيم

ونصوص السنة الشريفة .

وقد عمل الائمة من أهل البيت عليه السلام على إرساء دعائم هذا المنهج الرباني الفريد في المجتمع الاسلامي من خلال تربيتهم للفقهاء والعلماء والمفسرين ، وشققت النظرية القرآنية طريقها إلى الحياة وتبلورت في تيار ثقافي ومعرفي عرف بمدرسة اهل البيت عليه السلام .  
وتمتاز هذه المدرسة الثقافية بإعطاء العقل دوراً فاعلاً في العملية الثقافية إلى جانب استجلاء نصوص الوحي واستخراج درره الكامنة كما جاء بيان ذلك في الحديث الشريف : «بالعقل استخرج غور الحكمة وبالحكمة استخرج غور العقل» .

وتبنتي الثقافة الاسلامية على الهداية أولاً وتركز على الاهداف التربوية التي تركّز القيم الاخلاقية الايجابية في الوجود الانساني فرداً ومجتمعاً ، كما تبنتي على إعطاء العقل دوراً متميزاً وجديراً به ، بالاضافة إلى الموضوعية والنزاهة في البحث عن الحقيقة والركون إلى الحق في المعتقد والسلوك ، كما تجلّت هذه الحقيقة في الحديث الشريف القائل : «تواضع للحق تكن أعقل الناس» .

ومن هنا يربط الاسلام بين التعليم والتزكية كما يربط بين التزكية والتعليم ، فالعلم المقبول والمفيد والنافع شأنه تربية الانسان وترشيد حركته باتجاه الصراط المستقيم ، كما أن حركة الانسان في الطريق السوي تؤدي إلى تكامل المعرفة الانسانية وتنظيمها قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ (٦٧) .

(٦٧) البقرة : ٢٨٢ .

وقال أيضاً : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (٦٨) ، وجاء هذا المعنى في الأدب المنظوم :

(٦٨) الطلاق : ٢ .

لو كان للعلم من دون التقى شرفٌ

لكان أشرف خلق الله ابليس

فالثقافة الاسلامية ذات سمة ربانية ، بالاضافة إلى سمات أخرى هي : الواقعية ، الانسانية ، الموضوعية ، القيمية (الاخلاقية) ، الهدفية ،



النمو والتكامل المستمر باتجاه المصدر الوحيد للعلم والمعرفة وهو الله سبحانه وتعالى الذي علّم الانسان ما لم يعلم .

وقد خصّصت كتب الحديث أبواباً عديدة ترتبط بالمسألة الثقافية مثل باب العقل وباب العلم ، بالاضافة إلى أن المحتوى الذي تضمّنته كتب الحديث يشكل المحتوى الثقافي للمجتمع الاسلامي فضلاً عن ما احتواه القرآن الكريم من حقائق في المنهج والمضمون المعرفي بالاضافة إلى المنهج التربوي والمضمون التربوي .

٧- راجع للتوسع كتاب الحياة الجزآن الاول والثاني : مباحث المعرفة والعقيدة والقرآن الكريم ، وراجع أيضاً النظام التربوي في الاسلام للاستاذ باقر شريف القرشي ، وراجع ميزان الحكمة : المفردات التالية : العقل والعلم والمعرفة .

## نظام الحكم والادارة في الاسلام

أطروحة البحث :

تمهيد : يتضمن تاريخ الدولة وسر الحاجة إلى الحكم .

ثمّ البحث عن :

اركان النظام الخمسة : الحكم . القانون . الحاكم . الجهاز الاداري .

الأمة كما يلي :

١- الحكم في الاسلام :

١ - حقيقته . ٢ - مصدره . ٣ - اهدافه . ٤ - شكله . ٥ - مجالاته

٦ - مبادئه وركائزه . ٧ - خصائصه .

٢- القانون الاسلامي :

١ - مصدره . ٢ - خصائصه . ٣ - مجالاته .

### ٣- الحاكم الاسلامي :

- ١- سماته وصفاته . ٢- كيفية تعيينه . ٣- صلاحياته . ٤- واجباته .
- ٥- حقوقه .

### ٤- الجهاز الاداري الاسلامي :

- ١- شكله واجزأؤه . ٢- صفات اعضاءه . ٣- صلاحياتهم .
- ٤- واجباتهم . ٥- حقوقهم .

### ٥- الأمة المسلمة :

- ١- علاقتها بالحاكم والجهاز الاداري . ٢- واجباتها . ٣- حقوقها .

### نظام الحكم والادارة في الاسلام

تمهيد: «الدولة ظاهرة اجتماعية اصيلة في حياة الانسان ، وقد نشأت هذه الظاهرة على يد الانبياء ورسالات السماء واتخذت صيغتها السوية ومارست دورها السليم في قيادة المجتمع الانساني وتوجيهه من خلال ما حققه الانبياء في هذا المجال من تنظيم اجتماعي قائم على اساس الحق والعدل يستهدف الحفاظ على وحدة البشرية وتطوير نموها في مسارها الصحيح» (٦٩) .

(٦٩) الاسلام يقود الحياة:

٤ - ٣ .

قال الله تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ (٧٠) .

«واستطاع خاتم الانبياء ﷺ أن يتوج جهود سلفه الطاهر باقامة انظف واطهر دولة في التاريخ شكلت بحق منعطفاً عظيماً في تاريخ الانسان وجسدت مبادئ الدولة الصالحة تجسيدا كاملاً ورائعاً» (٧١) .

(٧٠) البقرة: ٢١٣ .

(٧١) الاسلام يقود الحياة :

٥ .

وتتكون الدولة من مجموعة من العناصر هي :

- ١- نظام الحكم .

٢- الجهاز الحاكم .

٣- الشعب .

٤- الارض التي يعيش عليها الشعب ويطبق فيها نظام الحكم .

ويتقوم نظام الحكم بالقانون الذي يراد تطبيقه بواسطة الجهاز الحاكم ، ويتكفل القانون بتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكومين من خلال تحديد الواجبات والحقوق لكل منهم .

ولمعرفة نظام الحكم في الاسلام يلزم البحث عن نفس الحكم في الاسلام ثم البحث عن القانون الاسلامي ثم البحث عن الحاكم والجهاز الاداري الذي يتكوّن من السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية ، ثم البحث عن الامة أو الشعب الذي يراد تحكيم النظام في حقه .

### الحكم في الاسلام

١- حقيقة: يعتبر الحكم مسؤولية الهية جعلها الله على عاتق الانسان الذي نصبه الله لهذه المهمة بما اعطاه من حق الحكم أي حق الامر والنهي في المجتمع . نيابة عنه تعالى . ولهذا أسبغ عليها مصطلح (الخلافة) .

والحكم بالمفهوم الاسلامي أمانة الهية ووظيفة ربانية يجب فيها مراعاة الاهداف التي عيّنها الله تعالى لها .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٧٢) .

وقال أيضاً : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَحْمِلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ (٧٣) .

وقال تعالى : ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٧٤) .

وقال مخاطباً رسوله الأمين محمد ﷺ : ﴿لَتَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ

الله .

وإذا كان الحكم الاسلامي متقوماً بالخلافة والنيابة عن الله الذي هو صاحب الحق المطلق في الحكم على الانسان ، وكان القانون الالهي هو القانون الذي بينه الله لرسله وأراد منهم تطبيقه ، صَحَّ أن يقال : إن الحكم في الاسلام منصب الهي ، وتفويض رباني يتقوم بمهمة ومسؤولية تطبيق القانون الالهي ، فالحاكمية هي حاكمية القانون قبل حكومة الاشخاص بل هي حكومة القيم باعتبار أن القوانين الالهية تعبّر عن المسارات المحددة والمنطقية للقيم الالهية .

٢- إذن مصدر الحكم أو مصدر السلطة في الاسلام هو الله المالك الحقيقي للانسان وشؤونه . «وهذه الحقيقة الكبرى تعتبر أعظم ثورة شنتها الانبياء ومارسوها في معركتهم من أجل تحرير الانسان من عبودية الانسان . وتعني هذه الحقيقة أن الانسان حر ولا سيادة لإنسان آخر أو لطبقة أو لأي مجموعة بشرية عليه ، وإنما السيادة لله وحده ، وبهذا يوضع حد نهائي لكل ألوان التحكّم وأشكال الاستغلال وسيطرة الانسان على الانسان» (٧٥) .

(٧٥) الاسلام يقود الحياة :

٩

«وهذه السيادة التي دعا إليها الانبياء تحت شعار (لا إله إلا الله) تختلف اختلافاً أساسياً عن الحق الالهي الذي استغله الطغاة والملوك والجبابرة قرونًا من الزمن للتحكم والسيطرة على الآخرين فإن هؤلاء وضعوا السيادة إسمياً لله لكي يحكروها واقعياً وينصبوا من انفسهم خلفاء لله على الارض» (٧٦) .

(٧٦) الاسلام يقود الحياة :

٩

«وأما الانبياء والسائرون في موكب التحرير الذي قاده هؤلاء الأنبياء والأمناء من خلفائهم وقواعدهم فقد آمنوا بهذه السيادة وحرّروا بها أنفسهم والانسانية من ألوهية الانسان بكل اشكالها المزورة على مرّ التاريخ لأنهم اعطوا لهذه الحقيقة مدلولها الموضوعي المحدد المتمثل في الشريعة النازلة بالوحي من السماء

فلم يعد بالامكان أن تستغل لتكريس سلطة فرد أو عائلة أو طبقة بوصفها سلطة الهية»<sup>(٧٧)</sup>.

(٧٧) م. ن. ٩ - ١٠.

٣ - إن أهداف الحكم في الاسلام هي الاهداف التي خُلق الانسان من اجلها وبُعث الانبياء من اجل ضمان تحقيقها.

وقد عبّر القرآن عنها في عدة آيات كريمة ، منها :

أ - قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملاً ﴾<sup>(٧٨)</sup>.

(٧٨) الملك : ٢.

ب - وقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾<sup>(٧٩)</sup>.

(٧٩) النازيات : ٥٦.

ج - وقوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾<sup>(٨٠)</sup>.

(٨٠) الجمعة : ٢.

د - وقوله تعالى : ﴿ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾<sup>(٨١)</sup>.

(٨١) التوبة : ٢٣.

هـ - وقوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾<sup>(٨٢)</sup>.

(٨٢) البقرة : ١٩٣.

و - وقوله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾<sup>(٨٣)</sup>.

(٨٣) المائدة : ١٥ - ١٦.

ز - وقوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾<sup>(٨٤)</sup>.

(٨٤) النور : ٥٥.

ح - وقوله تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامنوا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾<sup>(٨٥)</sup>.

(٨٥) الحج : ٤١.

ط - وقوله تعالى : ﴿ هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ﴾<sup>(٨٦)</sup>.

(٨٦) هود : ٦١.

إذن عمارة الارض اجتماعياً وطبيعياً من خلال التعبد المطلق لله

على أساس الهدى الرباني والدين الحق الذي يتكفل السعادة الواقعية للإنسانية هي عصاره أهداف الحكم الإسلامي بلا ريب .

٤ - وأما شكل الحكم الإسلامي فليس استبدادياً ولا ديمقراطياً وإنما يحمل ضمانات تصون الحاكم من الحكم بحسب الهوى ، ويتقيد بالقانون على أروع وجه ؛ لأن الشريعة تسيطر على الحاكم والمحكومين على حدّ سواء .

والحكومة الإسلامية ترفض النظام الملكي كما ترفض الحكومة الفردية بكل أشكالها وترفض الحكومة الأرستقراطية وتختلف عن الحكومة الديمقراطية كما أنها تطرح شكلاً موضوعياً تتوافر فيه ضمانات عدم الانحراف حتى في حالة غياب المعصوم ووصول الحكم شرعاً إلى الفقيه الكفوء الجامع للشرائط (٨٧) .

٥ - وتتلخص وظيفة الدولة في تطبيق شريعة السماء التي وازنت بين الفرد والمجتمع وحمت المجتمع بقدر ما يعبر عن أفراد وما يضم من جماهير تتطلب الحماية والرعاية .

فالدولة الإسلامية ترفض المذهب الفردي كما ترفض المذهب الاشتراكي والشيوعي على حد سواء .

إن الشريعة الإسلامية باعتبار شمولها واستيعابها لكل جوانب حياة الإنسان (الفرد والمجتمع) تتطلب سعة مجالات الحكم وشمولها شمولاً يتناسب مع شمول الشريعة وسعتها . ومن هنا كانت الحكومة الإسلامية مسؤولة عن سلامة أفرادها روحاً وجسماً ، فهي مسؤولة عن سلامة العقيدة وسلامة الخلق وسلامة السلوك بالإضافة إلى سلامة الجسم اللازم توفيرها لأبناء المجتمع .

ومن هنا كان الحكم بما أنزل الله تعالى واجباً ، والتفريط ببعض ما أنزل الله محظوراً ، ويجب الحذر منه ، قال تعالى مخاطباً رسوله الأمين : ﴿وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم أن

(٨٧) قال السيد الشهيد الصدر: والمرجع معيّن من قبل الله تعالى بالصفات والخصائص، ومعين من قبل الأمة بالشخص إذ تقع على الأمة مسؤولية الاختيار الواعي له. راجع الاسلام يقود الحياة صفحة ١٧٠، وقال: فالأمة محط الخلافة ومحط المسؤولية امام الله تعالى في النظام الاسلامي. المصدر: ١٨ .

(٨٨) المائدة : ٤٩.

يفتنوك عن بعض ما انزل الله إليك ﴿٨٨﴾ .

استظهر الشهيد الصدر سعة المجالات للحكم الاسلامي من آية الاستخلاف بقوله : «واستخلاف كل ما للمستخلف سبحانه وتعالى من اشياء تعود إليه وهو رب الارض وخيرات الارض ورب الانسان والحيوان وكل دابة تنتشر في ارجاء الكون الفسيح . وهذا يعني أن خليفة الله في الارض مستخلف على كل هذه الاشياء ، ومن هنا كانت الخلافة في القرآن اساساً للحكم ، وكان الحكم بين الناس متفرعاً على جعل الخلافة كما يلاحظ في المقطع الاخير<sup>(٨٩)</sup> ، وهو قوله تعالى : ﴿يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق﴾<sup>(٩٠)</sup> .

(٨٩) الاسلام يقود الحياة:

١٣٤

(٩٠) ص: ٢٦.

أما ركائز الحكم الاسلامي ومبادئه فيمكن استلهاها من مفهوم الاستخلاف بمعناه الواسع الذي اشير إليه ؛ وذلك لأن عملية الاستخلاف والاستنابة تعني :

أولاً- انتماء الجماعة البشرية إلى محور واحد وهو المستخلف بدلاً عن الانتماءات الاخرى ، والايمان بسيّد واحد ومالك واحد للكون وكل ما فيه ، وهذا هو التوحيد الخالص الذي قام على اساسه الاسلام وحملت لواءه كل ثورات الانبياء تحت شعار لا إله إلا الله .

ثانياً- اقامة العلاقات الاجتماعية على اساس العبودية المخلصة لله وتحرير الانسان من عبودية الاسماء التي تمثل الوان الاستغلال والجهل والطاغوت .

ثالثاً- تجسيد روح الاخوة العامة في كل العلاقات الاجتماعية بعد محو الوان الاستغلال والتسلط ، فمادام الله سبحانه وتعالى واحداً أو لا سيادة إلا له ، والناس جميعاً عبادَه ومتساوون بالنسبة إليه فمن الطبيعي أن يكونوا اخوة متكافئين في الكرامة الانسانية والحقوق كأسنان المشط . ولا تفاضل ولا تمييز في الحقوق الانسانية . ولا يقوم التفاضل عند الله إلا على اساس العمل الصالح تقوى أو علماً أو

جهاداً» .

رابعاً- إن الخلافة استئمان ، والامانة تفترض المسؤولية والاحساس بالواجب ، إذ بدون ادراك الكائن أنه مسؤول لا يمكن أن ينهض باعباء الامانة أو يختار لممارسة دور الخلافة .

والمسؤولية علاقة ذات حدّين : فهي من ناحية تعني الارتباط والتقيّد ... ولهذا فهي غير مخوّلة أن تحكم بهواها أو باجتهادها المنفصل عن توجيه الله سبحانه ... وإنما تحكم بالحق وتؤدي إلى الله أمانته بتطبيق احكامه على عباده وبلاده ، وبهذا تتميز خلافة الجماعة بمفهومها القرآني والاسلامي عن حكم الجماعة في الانظمة الديمقراطية الغربية ، فإن الجماعة في هذه الانظمة هي صاحبة السيادة ولا تنوب عن الله في ممارستها ويترتب على ذلك أنها غير مسؤولة بين يدي احد وغير ملزمة بمقياس موضوعي في الحكم . بل يكفي أن تتفق على شيء ولو كان هذا الشيء مخالفاً لمصلحتها ولكرامتها عموماً أو مخالفاً لمصلحة جزء من الجماعة وكرامته مادام هذا الجزء قد تنازل عن مصلحته وكرامته ، وعلى العكس من ذلك حكم الجماعة القائم على اساس الاستخلاف فإنه حكم مسؤول ، والجماعة فيه ملزمة بتطبيق الحق والعدل ورفض الظلم والطغيان وليست مخيرة بين هذا وذاك ، حتى ان القرآن الكريم ليسمّي الجماعة التي تقبل بالظلم وتستسيغ السكوت عن الطغيان بأنها ظالمة لنفسها ويعتبرها مسؤولة عن هذا الظلم ومطالبة برفضه ولو بالهجرة إذا تعدّر التغيير .

وتعني المسؤولية من ناحية اخرى أن الانسان كائن حرّ إذ بدون الاختيار والحرية لا معنى للمسؤولية<sup>(٩١)</sup> .

(٩١) الاسلام يفود الحياة :

١٣٥ - ١٣٩ .

«والكائن الحر المختار بإمكانه أن يصلح وبإمكانه أن يفسد ايضاً ومن هنا جعل الله للانسان شكلاً آخر للرعاية والهداية وهو خط



الشهادة الذي يسير إلى جانب خط الخلافة والذي يمثل القيادة الربانية والتوجيه الرباني على الأرض من خلال التعليم والتنمية المترتبة عليه .

قال تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٩٢) .

(٩٢) البقرة: ٢٨ .

إذن هذه الركائز هي : التوحيد والعبودية والاخوة والمسؤولية والحرية والهداية المباشرة على يد الانبياء والائمة وخلفائهم .

٧- وعلى هذا الاساس يمكن تلخيص مجموعة الخصائص التي يتميز بها الحكم الاسلامي عما سواه بما يلي .

أ - الحكم الاسلامي مسؤولية وليس طعمة .

ب - وهو وسيلة للارتقاء المعنوي في الآخرة وامتحان وابتلاء رباني وسبب من اسباب نيل الفضائل وليس هو هدفاً في هذه الحياة الدنيا .

ج - فالحكم حين يستهدف تربية الانسان الحاكم والمحكوم معاً سوف يأخذ لون القيم الخيرة التي يراد تحقيقها من خلاله .

د - يتصف الحكم الاسلامي بأنه حكومة القانون أو القيم دون حكومة الاشخاص والاهواء (٩٣) .

(٩٣) ويتضح هذا المعنى من خلال اشتراط العصمة أو العدالة في الحاكم والغزاة بمجرد اقتقاده لهذه الصفة .

هـ - يمتاز هذا الحكم عن النظامين الديمقراطي والاشتراكي في الاهداف والمحتوى والاساليب والنتائج . ولا يكون الحكم اسلامياً إلا إذا كانت الاهداف اسلامية والقانون الذي يطبق اسلامياً والحاكم والجهاز الاداري جامعاً للمواصفات والسمات المطلوبة اسلامياً وفي امة مسلمة تلتزم بالاسلام ديناً للحياة .

القانون الاسلامي (الشريعة الاسلامية)

١ - تتكفل الشريعة الاسلامية هداية الانسان في جميع ابعاد

وجوده ، ولهذا فهي تهتم بالفكر والعقيدة ، كما تهتم بالعاطفة والخلق والعمل والسلوك الفردي والاجتماعي بنحو يقنن للفكر والعاطفة والارادة نشاطها وفعاليتها باتجاه الرشد والتكامل الواقعي الذي يمكن أن يبلغه الانسان في هذه الحياة .

٢ - «ومادام الله هو مصدر السلطات وكانت الشريعة هي التعبير الموضوعي المحدد عن الله تعالى ، فمن الطبيعي أن تحدّد الطريقة التي تمارس بها هذه السلطات عن طريق الشريعة الاسلامية» .  
قال تعالى :

- أ - ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾ (٩٤) . يوسف : ٤٠ .  
ب - ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٩٥) . المائدة : ٤٤ .  
ج - ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٩٦) . المائدة : ٥٠ .  
د - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٩٧) . الجاثية : ١٨ .

٣ - وتمتاز الشريعة الاسلامية بمميزات فريدة منها :

- أ - أنها تقوم على اساس الحق اتساقاً مع نظام الكون ، قال تعالى :  
﴿وبالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (٩٨) . الاسراء : ١٠٥ .  
ب - أنها تقوم على اساس العدل ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٩) . النحل : ٩٠ .  
ج - أنها تأخذ فطرة الانسان وكل واقعه واستعداداته بنظر الاعتبار قال تعالى : ﴿فَاقْمْ وُجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (١٠٠) . الروم : ٣٠ .  
وقال تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠١) . الملك : ١٤ .  
د - سمو الاهداف ووضوحها فالشريعة الاسلامية تستهدف من خلال قوانينها ايصال الانسان إلى آخر ما يمكن أن يصل إليه من

(١٠٢) الانشقاق : ٦ .

(١٠٣) النجم : ٤٢ .

اهداف ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ (١٠٢) .

وقال : ﴿ وَإِن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ (١٠٣) .

وتحاول الآيات القرآنية أن تشير إلى الاهداف المتوخاة من التشريع والتقنين وبذلك تشير إلى فلسفة الاحكام من قريب أو بعيد . ونلاحظ أن التقوى والطهارة والتسليم والتقرب إلى الله والفوز ببقائه قد ذكرت اهدافاً نهائية أو مرحلية في الآيات التشريعية المباركة .

وهذا التصريح للاهداف يبين لنا الروح الحاكمة على الشريعة وعلى احكامها حيث يخرجها من حالة الجفاف الذي تتسم به كتب القانون عادةً .

و - ويمكن القول بصراحة أن الشريعة الاسلامية ذات قوانين تطغى عليها القيم الخلقية أو أنها قد حددت القيم الاخلاقية في مسارب وقنوات قانونية وبذلك تكون الشريعة قد لاحظت مجموعة الحقوق التي اعترفت بها للفرد والمجتمع معاً ، فلم تفرط في حق أو تزيع عن جادة الصواب .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (١٠٤) .

(١٠٤) المؤمنون : ٧١ .

وقال : ﴿ فَلَا تَكُ مِنْ مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥) .

(١٠٥) هود : ١٧ .

و - ومن هنا فالشريعة الاسلامية تتسع لكل مجال من مجالات الحياة فهي شاملة باحكامها لكل ما تحتاج البشرية في هذه الحياة بنحو تستحق أن توصف بالكمال ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١٠٦) .

(١٠٦) المائدة : ٣ .

ز - ولا تختص احكام الشريعة بعصر دون عصر ولا بمجتمع دون مجتمع . قال تعالى واصفاً القرآن العظيم وما احتواه من تشريعات بأنه : ﴿ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) . وقال أيضاً : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

(١٠٧) آل عمران : ٩٦ .

رسول الله إليكم جميعاً»<sup>(١٠٨)</sup> ، كما قال أيضاً : ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾<sup>(١٠٩)</sup> . وجاء في الحديث الشريف أن : «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة»<sup>(١١٠)</sup> .

(١٠٨) الاعراف : ١٥٨ .

(١٠٩) الاعراف : ١٥٨ .

(١١٠) راجع اصول الكافي .

ومن هنا فالشريعة الاسلامية قادرة على مسايرة العصور وتقديم الحلول اللازمة لما يستجد من امور بما دعت إليه من انفتاح باب الاجتهاد وضرورة الاجتهاد والتخصص في علوم الدين إلى مرتبة التفقه واستنباط الاحكام .

وعلى هذا الاساس قسمت الاحكام الشرعية إلى ثابتة ومتغيرة كما اوضح ذلك استاذنا الصدر في اكثر من كتاب ومن هنا يلزم مراجعة ما كتبه عن منطقة الفراغ لمن أراد التفصيل<sup>(١١١)</sup> .

(١١١) الاسلام يقود الحياة :

٢٨ ، وراجع اقتصادنا .

### الحاكم الاسلامي

بعد أن آمنا بأن الحكم الاسلامي يستهدف تحقيق القيم الايجابية العليا والملكات الانسانية الفضلى والصفات الكريمة في الحياة الفردية والاجتماعية كان من الطبيعي أن يكون الامين على هذا النظام - والمسؤول عن تنفيذ القوانين التي تصدّ عن المنكر وتؤدي إلى اقامة المعروف - شخصاً صالحاً لهذه المهمة الكبرى .

وصلاح الحاكم يعني اتصافه بالعلم بالقانون وبالشكل المطلوب وكيفية تطبيقه ، بالاضافة الى اتصافه بما يضمن العمل بعلمه وهو ما اصطلح عليه بالعصمة عن الخطأ والانحراف أو بالعدالة التي تعني عدم الانحراف عمداً وإن امكن الانحراف سهواً .

والكفاءة هي الشرط المكمل أو المحقق للصالح فالعلم والعدالة أو التقوى قد لا يسلفان تحقق الاهداف وتطبيق القانون تطبيقاً صحيحاً إلا إذا كان الحاكم كفوفاً وقادراً على تحقيق سائر مستلزمات الحكم الصالح .

وباعتبار أننا نؤمن بأن الانبياء ﷺ هم القادة الذين اختارهم الله لإبلاغ رسالاته وتطبيقها وهم معصومون بطبيعة الحال وعالمون بمحتوى رسالاتهم وقد نصبهم الله تعالى لهذه المهمة ، إذن فهم يمتلكون الكفاءة اللازمة في كل عصر .

فإذا كان العصر عصر النبي ﷺ أو عصر الامام الذي هو امتداد رباني للنبي ﷺ للنص عليه كانت الشروط والصفات اللازم توفرها في الحاكم الاسلامي هي :

١ العلم ، ٢ - العصمة ، ٣ - الكفاءة ، ٤ - النصب الخاص .

وفي عصر غيبة الامام المعصوم حيث تنتقل المهمة إلى الفقهاء العدول تكون المواصفات اللازمة كما يلي : ١ - العلم والاجتهاد في فهم احكام الدين ، ٢ - ملكة العدالة والتقوى بدرجة جيدة ومتناسبة مع مقام القيادة العليا للدولة الاسلامية ، ٣ - الكفاءة والنصب العام .

ومن هنا كان التعيين تارة ربانياً محضاً وتارة ربانياً بشرياً باعتبار ارجاع مهمّة تشخيص مصداق الفقيه الجامع للشرائط إلى عامة المؤمنين .

ومهمة النبي المعصوم تتلخص في تلقي الوحي الالهي وابلاغه وتبيينه وتطبيقه في أمة مؤمنة وحفظه عن الضياع ، وتكون مهمة الامام هي مهمة النبي ﷺ ماعدا تلقي الوحي وابلاغه .

وتتلخص مهمة الفقيه الجامع للشرائط في فهم الدين فهماً صحيحاً وتبيينه للامة بشكل مطلوب ثم تطبيقه وحراسته من كيد المعتدين .

وللفقيه أن يتدخل في تعديل مسيرة الخلافة إذا وجد انحرافاً لم يمكن قلعه إلا بذلك .

وعلى الحاكم الاسلامي أن يقوم بتوفير كل ما تحتاجه الامة المسلمة في مجال صيرورتها أمة وسطاً وشعباً أمثل واسوة حسنة لسائر الشعوب والأمم .

وللحاكم أن يتدخل في شؤون الامة ولا سيما في المجالات العامة .  
وله أن يتدخل في غير ذلك إذا قلنا بأن له الولاية المطلقة التي هي  
للامام المعصوم والنبى المعصوم .

وحق الحاكم أن يُطاع ويُعان على أداء مهمته وذلك بتقديم  
النصيحة والمشورة له وبالرقابة من خلال (الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر) إذا لم يكن معصوماً .

وتجب على الناس بيعة الامام المعصوم وغير المعصوم ، إذ  
الحاكم من حقه ألا يمارس عملاً في الامة إلا إذا احرز دعم الامة  
واستسلامها لأوامره والقبول بولايته ؛ لئلا تذهب جهوده سدى ولئلا  
تصبح قراراته حبراً على ورق .

وهكذا تتناسق وتتكامل حقوق وواجبات كل من الامام والامة  
(الحاكم والمحكومين) في نظام شامل .

ويجدر بنا أن نجعل عهد الامام علي بن أبي طالب عليه السلام لمالك الاشر  
حين ولّاه مصر ، نبزاساً للجهاز الاداري الأمثل وواجباته في الدولة  
الاسلامية .

## نقد وتقويم

السيد  
هاشم الهاشمي

من خلال تتبعنا لمقالات وبحوث بعض المجالات المتعلقة بالعلوم الإسلامية ودراساتها ومناهجها ، التي تضمنت آراء نقدية وتقويمية . وجدنا من الضروري إبداء بعض الملاحظات والتوضيحات حولها ، وسنشير بمقدار ما هو المطلوب إلى الموضوعات التالية :

«التحرير»

أولاً: ما قيل في البحث عن دلالة النصوص .

ثانياً: حول فلسفة علم الفقه .

أولاً: أما البحث عن دلالة النصوص

ربما يتساءل البعض عن مدى امكان وصول القارئ أو الباحث إلى الواقع ، أي إلى المراد الحقيقي للنص والمؤلف ؛ لأن الواقع دائماً يغيب خلف الكثير من الحجب التي تفصل بينه وبين القارئ ، يغيب خلف ركام من ذاتيات القارئ والباحث وعصره ، ورؤيته الكونية وطبيعة وعيه ومكوناته الذهنية والثقافية ، والمعلومات التي يحملها عن

مختلف الاوضاع السياسية والاجتماعية وغيرها من حوله ، وميوله أو تجاربه الشخصية ، وما يعيشه من اجواء نفسية أو اجتماعية ، وعوامل أخرى ، وبما أن النص لا يفهم إلا إذا كان القارئ يحمل بعض المعلومات والقبليات عن فكرته ، وهي تفرض نفسها على فهمه ، ولا يعلم مدى صحتها أو خطأها ، وكذلك لا يقرأ نصاً إلا وهو يتوقع منه بعض التوقعات ويستهدف بعض الاهداف ، وربما اختلفت عن توقعات الكاتب والمعلومات التي يريد طرحها من خلال النص ، وربما اختلف عصر المؤلف عن عصر القارئ وما يفرضه هذا الاختلاف من اختلاف في التصورات عن الكون والحياة ، واختلاف تجربة الكاتب عن القارئ ، وهذه العوامل وامثالها ربما ابعدته مسافات عن المؤلف ومراده الحقيقي أو فهم الفكرة المحورية التي تدور حولها النصوص ، فما العمل من اجل الوصول إلى مراد النص وتوقعات الكاتب ؟ أم لا بد من الرضا والقناعة بهذا الواقع ، وإن مدى قدرتنا هو الوصول لما يفهم من النص ، لا ما يريد أن يقوله النص حقاً ، فهناك حاجز دائم بين النص والمؤلف والقارئ وفهمه ، هو القارئ ومعلوماته وشخصيته وذاتيته . فكيف نرفع هذا الحاجز لننتوصل إلى مراد النص حقيقة ؟.

إن هذه المسائل لا بد من معالجتها قبل الدخول في دراسة النص ، أو حتى قبل الدخول في دراسة العلم . وقد أطلق البعض عليها وامثالها اسم فلسفة العلم ، كما في فلسفة الفقه ، فهي مسائل خارجة عن العلم وعصره ولكنها مؤثرة فيه ، ولا بد من معالجتها قبل الخوض في مسائل العلم ، كما سنشير لبعضها مما يتعلق بالفقه . وكذلك هناك بعض المسائل لها تأثيرها في فهم النص ، ولعلها تشكل عقبات في طريق فهمه ، نشير إليها بإيجاز حيث نلخص فيها آراء البعض في هذا المجال :

١ - لا بد من وجود معلومات مسبقة في فهم أي نص وتفسيره .



ولا يمكن دراسة النص بدون تلك المعلومات المسبقة أو القبلية وإن كانت مجملة ، فربما لا ينتبه القارئ لفكرة النص ، إذا لم يكن يحمل في ذهنه شيئاً من هذه المعلومات . ولكن كيف يمكن أن نتجنب تأثيرها السلبي ؟ فربما اكتفى بها القارئ في فهم النص ، وتوقف معها عن محاولة الوصول للفكرة المحورية للنص ، أو لمراد المؤلف حقاً . وكيف يمكنه أن يتجنب هذه الحقيقة ، وهي فرض معلوماته على النص ليفهم منه نفس المعلومات المسبقة التي يحملها ؟ وأخيراً ، كيف يمكن للإنسان اختزان معلومات مسبقة صائبة وغير خاطئة ؟ والمفروض أنه على القارئ البحث عن المراد الواقعي للمؤلف ، لا التوصل لمعلوماته المسبقة .

٢ - لا يمكن الاقتراب من النص بدون نوع من العلاقة والتوقعات ، التي ينشدها القارئ أو المفسر منه ، فإن من يريد فهم النص ، فهو يهدف لتحقيق بعض توقعاته منه ، وله علاقة شدته به . ولكن يبرز هذا السؤال الصعب : ماذا يُعمل ، حتى لا يفرض المفسر توقعاته وعلاقاته على توقعات المؤلف وعلاقته ؟ بمعنى أن يعتقد المفسر قبل بحثه ، أن توقعات المؤلف وعلاقاته هي نفسها توقعاته وعلاقته ، فربما كانا في الواقع مختلفين ، والمفروض على المفسر التوصل لتوقعات المؤلف من النص لا توقعاته هو .

٣ - يلزم على المفسر البحث عما يقوله النص حقاً ، فلا بد أن يتوصل لما يريد صاحب النص تفهيمه لمخاطبيه ولأجل الوصول لهذا الهدف ، لا بد أن يتعرف على توقعات المؤلف وعلاقته ، والظروف التي عاشها حين كتابة النص ، وظروف مخاطبيه آنذاك ، وأدواته ووسائله اللسانية والتعبيرية وأمثالها .

٤ - لا يتيسر تفسير أي نص بدون اكتشاف الفكرة المحورية والمركزية له ، التي على ضوئها يمكن تفسير النص كله ، لأن كل نص

له فكرة محورية تدور حولها مطالبه ، فلا بد للباحث الوصول إليها .  
ولكن كيف يتوصل إليها ؟ .

والسؤال الرئيس في هذا المجال هو هل يمكن للمفسر أن يكتشف  
الفكرة المحورية للمؤلف نفسه ، متجرباً عن أسئلته الأساسية . وعن  
فهمه ورؤيته للكون ولنفسه ؟ أم إن المفسر مهما حاول فسوف ينظر  
للنص من خلال رؤيته هو ، فهناك حجاب دائم بين المفسر والمتن  
وهو المفسر نفسه .

٥ - كيف يمكن للإنسان (المفسر) الذي يعيش آفاقاً وعالمات معينة  
كالقرن العشرين مثلاً ، أن يفهم نصاً كتبه إنسان عاش آفاقاً وعالمات  
آخر كالقرن العاشر ، مع الاختلاف الواسع بينهما في الكثير من  
الرؤى والتصورات حول الكون والحياة والطبيعة وما وراءها ؟  
فالنص إنما يفهم حقاً فيما لو تفاعلت الفكرة المحورية للنص مع آفاق  
تجربة المفسر ومخاطبيه ، والأسئلة والعناصر الدائرة فيها .

لا بد أن نفهم مدى علاقة النص بالمفسر ومخاطبيه ، وكيف يرتبط  
النص بهم . والمفسر في هذا المجال يقوم بدور المترجم ، ولكن ليس  
ترجمة الفاظ ومصطلحات فحسب ، وإنما ترجمة افق تجربة وفهم  
لافق تجربة وفهم آخر ، عن طريق الربط بين الأفقين . وهذه المرحلة  
أشق مراحل التفسير .

وهناك مسائل أو عقبات أخرى تعرضوا لها تقف أمام النص ويلزم  
معالجتها ، أمثال : ملاحظة مدى تأثير الزمان والمكان في فهم  
النصوص ، وزمان القارئ ومكانه واختلافه عن زمان المؤلف ومكانه  
ولذلك لا بد من معرفة زمان صدور النص ومكانه ؛ لتأثيرها في فهمه ،  
ومن هنا ذهب البعض لضرورة التعرف على العصر الجاهلي  
المعاصر للرسالة الإسلامية ؛ لتأثيرها في فهم الآيات والاحاديث  
الشريفة ، وكذلك ظروف صدور الروايات عن المعصومين عليهم السلام ،

ولكن الظروف لها تأثيرها في فهم النص ومحتواه واحكامه بدقة وبصيرة ، دون أن يكون له تأثيرها في تغيير الاحكام الثابتة أو تشريع احكام اخرى من قبل البشر انفسهم ، حسب تغير هذه الظروف ، وكذلك يجدر التعرف على آراء اهل السنة ورواياتهم ، من اجل تأثيرها الكبير في فهم رواياتنا وآرائنا ، والبحث عن مدى تأثير فهم الباحث للاسلام ومعرفته به في فهمه للنصوص ؛ فإن فهم الصوفي للدين مثلاً ربما اختلف عن فهم غيره ، والبحث عن مدى تأثير الاجواء النفسية والاجتماعية للباحث في فهمه ، فمن يعيش جو الارهاب ربما اختلف في فهمه عن من يعيش جو الانفتاح ، فمثلاً ربما اختلف كل منهما في فهم روايات التقية والجهاد والأدلة عليهما ، وامثالها من المسائل ، وربما يبحث عن مدى تأثير ظروفه الشخصية، وعوامل الوراثة والتربية ، ومزاجه النفسي والاجتماعي ، وامثالها . واخيراً لابد من البحث عن مناهج البحث ، والتعرف على المنهج الافضل ؛ لاختلاف الافراد في منهج البحث حسب اهتماماتهم وامزجتهم وظروفهم ، من اتباع مدرسة الاجتهاد ، أو المدرسة الاخبارية أو الفهم العقلي ، أو الفلسفي الدقيق أو الفهم العرفي وغيرها ، ومدى تأثير الاستفادة من علم المنهج الحديث في تطوير منهج البحث الكلامي ، أو البحث الفقهي والاصولي ، وغيرها من المسائل والآراء التي يطرحها بعض الباحثين .

ولعل بعض هذه الآراء متأثر بما كتبه بعض الكتاب العرب المتأثرين بالبحوث الغربية الحديثة وخاصة علم اللغة والدلالة أو البحوث الدينية والقانونية ، ففي كتاب مفهوم النص (إن تحديد المعنى المرجوح من المعنى الراجح في الظاهر والمؤل تحديد مرهون بافق القارئ وعقله .. وهذا كله مفهوم للدلالة يقترب إلى حد كبير من المفهوم المعاصر الذي يرى أن فعل القراءة . ومن ثم التأويل ، لايبداً

من المعطى اللغوي للنص . أي يبدأ من المنطوق ، بل يبدأ قبل ذلك من  
الاطار الثقافي الذي يمثل افق القارئ الذي يتوجه لقراءة النص<sup>(١)</sup> .

(١) مفهوم النص ص ١٨ .

ومما يلزم التأكيد عليه أن الغربيين غير متفقين على هذا الرأي وهو  
تأثير قبلات المفسر وميوله وظروفه في فهم النص والوصول لمراد  
المؤلف وفكرته المحورية ، فهناك من يذهب منهم لعدم تأثير هذه  
العوامل في فهم النص لمن راجع هذه الآراء حول الهرمينوطيقا عندهم  
من القائلين بها والمنتقدين لها ، لذلك لا يصح نسبة هذا الرأي لجميع  
الغربيين<sup>(٢)</sup> .

(٢) راجع مقال  
الهرمينوطيقا المقتضيات  
والنتائج، الدكتور احمد  
بهشتي، مجلة قضايا  
اسلامية معاصرة العدد  
السادس ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

وقد اثرت بعض الشبهات حول نصوص القرآن الكريم والسنة  
ومحتوياتها وتعاليمها . ومدى الهيئتها أو حجيتها وصلاحياتها لمختلف  
العصور والمجتمعات . ومن الجدير التعرف عليها وتقويمها وخاصة  
للباحثين عن هذه النصوص ، ونشير هنا بايجاز لبعض هذه الشبهات.  
وما يمكن أن يلاحظ عليها ، ونترك التوسع لفرصة اخرى .

فقد ذهب البعض لانكار حجية القرآن وسنة المعصوم بما يشمل  
النبي ﷺ والائمة المعصومين عليه السلام ، وعدم امتداد وثبات احكامها  
وتعاليمها ومحتوياتها لسائر الازمنة ، بل تتحدد وتنحصر حجية  
القرآن والسنة بما يشمل تفسير المعصوم وفهمه للقرآن ، بزمان  
نزول القرآن أو صدور السنة والتفسير ، فتتحدد احكامها وتعاليمها  
في تلك الظروف ، وذلك اعتماداً على تأثير الظروف في الاحكام وأن  
تلك الاحكام إنما بعثت لتلك الظروف دون سواها ولو كانت تبعث  
لظروف اخرى لتغيرت الشريعة باحكامها وتعاليمها ، أو لاجل  
التوصل لمقاصد الشريعة والمبادئ والاهداف الاسلامية والالهية ،  
التي تتغير الاحكام بما يلاءمها ففي كل زمان ومكان هناك احكام  
مختلفة عن الاخرى تتلاءم ومقاصد الشريعة واهدافها ، أو لاجل  
التقيد بشأن النزول ومورده ، وقد ذكر البعض أن هذا النص أو الحكم

القرآني (للمذكر مثل حظ الانثيين) هو نص تأريخي بمعنى أنه يتوجه إلى المجتمع الزراعي مثلاً وليس نصاً مطلقاً ولعله يريد أنه مختص بالعصر الذي كانت فيه المرأة قابعة في بيتها ، ولا تشمل العصر الذي تخرج فيه المرأة للعمل والحياة ، وذلك لأن هذا الحكم لا يتلاءم والظروف الجديدة ، والمقاصد والاهداف الاسلامية والالهية العامة ، لذلك لابد من تغيير شكل الحكم وتشريع اشكال جديدة للاحكام تتلاءم والظروف الجديدة ، والمبادئ والاهداف الاسلامية .

(وإذا كان النص في مفهومه الاساسي من حيث كونه وحياً انطلق من حدود ومفاهيم الواقع ، فلان شك أنه في تطوره كان لابد أن يراعي هذا الواقع ، ولا يصح أن يكون هذا الفهم محجوجاً بتصور أن الله لا يجوز عليه التغير ، وأن علمه الشامل للماضي والحاضر والمستقبل وللكتابات والجزئيات يمنع من أن يحكم بحكم ثم يغير هذا الحكم ، فالتغير صفة ثابتة في الواقع لازمة له من حيث هو حركة مستمرة سيالة دافعة .. إن الاحكام الشرعية خاصة بالبشر في حركتهم داخل المجتمع ، ولا يصح اخضاع الواقع المتغير لاحكام وتشريعات جامدة لا تتحرك ولا تتطور)<sup>(٣)</sup>.

(٣) مفهوم النص ١٢٠ -  
١٢١.

(إن منهج الوحي هنا - رغم وضوحه من حيث دلالاته على الارتباط الوثيق بالواقع الانساني - يغيب تماماً في الفكر الرسمي المعاصر ، وهو في فكر دعاة (تطبيع احكام الشريعة) اشد غياباً لأنهم يريدون الوثب على قوانين الواقع بالفرض بقوة الحديد والناار)<sup>(٤)</sup>.

(٤) ن. م. : ١٢٥.

إذن فليس هناك احكام وشريعة ثابتة معينة ، وإنما يجب أن تتغير الاحكام حسب تغير الظروف والواقع ، وكما يؤكد غيره ، بأن جوهر الاسلام وروحه وحقيقته تلك المقاصد والقيم العليا ، وأما الاحكام فهي شكليات تتجسد بها تلك القيم لذلك حينما تتغير الظروف فإن ما يصلح لتجسيد تلك المقاصد والقيم احكام اخرى ، غير الاحكام

الاولى ، إذن فلا بد أن تتغير الشريعة ، ولابد أن تتغير الاحكام ، حسب الظروف من أجل تجسيد القيم والمقاصد العليا ؛ إن بعض هؤلاء يذهبون إلى نسبية الاحكام والتعاليم الدينية والاسلامية جميعها ، وإن الاسلام إنما كان بهذه الصورة في احكامه وتعاليمه لأنه بعث في زمان أو مكان معين ، ولو كان يبعث الرسول ﷺ في زمان أو مكان آخر لتغيرت صورة الاسلام ، كما أن البعض أيضاً يذهب إلى أنه حتى معرفة النبي ﷺ بالوحي ، أو علم المعصوم ليست مطلقة ، وما يتلقاه من الوحي ، أو ما يتوصل إليه المعصوم استنباط بشري ظني ، يمكن وقوع الخطأ فيه .

ويمكن أن يلاحظ على امثال هذه الآراء أيضاً :

إن ظروف النص لا تقيد حكمه ومحتواه بتلك الظروف مع اطلاق النص وحكمه وموضوعه ، وعدم تقييدها أو تخصيصها بزمان أو حالة خاصة إذ لم تجعل الاحكام الاسلامية لجماعة معينة أو لفترة خاصة ولا يتلاءم هذا الرأي مع ما ثبت بالضرورة من خلود الرسالة وعالميتها ، نعم لهذه الظروف تأثيرها في فهم النص ومعرفة حكمه بدقة ، ولكن هذا لا يعني الغاء النص وحكمه حسب الظروف ، وحصره في ظرفه ، وكذلك فإن هذه المقاصد إذا كانت عللاً منصوصة لنفس الاحكام ، فتدور الاحكام مدارها وجوداً وعمداً ، وإلا كانت ظنية ، ويكون اعتمادها في التشريع والاستنباط والتفسير من الاعتماد في التفسير والفتوى والاستنباط على الرأي والظن وامثالها . وقد دلت الكثير من الآيات والروايات على النهي عن الاعتماد وعلى الظن ، وأمثال هذه الادلة الظنية ﴿إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً﴾ . والمفروض أن الشارع المقدس الذي يحيط علمه بالانسان والاشياء يعرف مدى ملائمة الاحكام والتعاليم التي شرعها باشكالها المحددة مطلقة دون أن تتحدد بزمان لتلك المقاصد والاهداف الاسلامية ، لأن هذه الاحكام

باشكالها المعينة هي التي تتلاءم مع اهدافه ومقاصده ، ومع اطروحاته المعينة لسعادة البشر في الدنيا والآخرة ، ومع تصوراته في مجال الرؤية الكونية والايديولوجية ، وتغييرها لا يكون إلا بالنسخ وكذلك لا يتقيد النص والحكم بشأن نزوله وصدوره ، كما لا يتقيد بظرفه مع كون النصوص واحكامها وموضوعاتها مطلقة غير مخصصة وغير مقيدة .

وكيف يمكن استنباط علة الحكم من سبب النزول ، بحيث يدور الحكم مدار تلك العلة ، ويعمم الحكم إلى موارد اخرى غير مورد النزول ، تتوفر فيها تلك العلة ، وكيف يتيقن أن هذا السبب هو بالذات علة الحكم ، وأنه الباعث للشارع المقدس على تشريع الحكم وجعله ما لم يكن بنصه وتصريحه ، هناك فرق بين عموم الحكم والموضوع المذكور في الدليل وعدم تخصصه بسبب النزول . كما يقول به ، واستنباط علة ظنية من سبب النزول ثم تعميم الحكم حسب تلك العلة المستنبطة الظنية وهذا ما لا نقول به .

ثم هناك فرق بين العلة المنصوصة والعلة المستنبطة الظنية وبين العلة والحكمة ، كما فرق علماؤنا بينها ، وأن الحجة هي العلة المنصوصة دون غيرها ، لأن غيرها يشمله حكم الظن (والظن لا يغني من الحق شيئا) مع توضيح يذكر في محله - ثم أنه مع اختلاف الروايات في سبب النزول ، ذكر هؤلاء ، أن الباحث يمكنه تشخيص الحق ، وبعد ذلك يستنبط العلة منها ، ثم يرتب الاثر عليها وتعميمها إلى غير مورد النزول ، ليست مثل هذه الاساليب ظنية في الاستنباط ، والحكم ما لم يتيقن بأنه من الشارع المقدس ، أما بنفسه أو دليله ، بأن يكون نفس الحكم قطعياً أو دليله ، فيكون ظناً ونسبته للشارع المقدس من قبيل التشريع والافتراء المحرم ، وكان من اللازم على البعض قراءة الكتاب والسنة ، وجهود علماؤنا المحققين وخاصة المعاصرين

في الفقه والاصول والكلام والتفسير وغيرها قراءة موضوعية منصفة لا مستخفة مستنكرة لتزول الكثير من الشبهات عن الازهان في هذه المجالات .

وما ذكروه بأن روح الاسلام وجوهره هو تلك القيم والمقاصد العليا ، وأما الاحكام فهي شكليات خاضعة لتغير الظروف .

ولكن نتساءل ، كيف نتوصل لمعرفة تلك القيم والمقاصد ، وكيف نحدد انها بالذات هي ملاكات الاحكام ، أي بواعث الشارع المقدس على تشريع هذا الحكم أو ذاك ، لأن كل حكم أمر أو نهى ، لا يشرعه الشارع المقدس عبثاً ، بل لما فيه من مصلحة أو مفسدة للبشر لا لله تعالى لأنه غني عن العالمين ، وهذه المصالح والمفاسد الباعثة على التشريع ، لا تتحدد بامور معينة فهي قد تكون شخصية واجتماعية ، أو مادية ومعنوية ، أو دنيوية واخروية ، وقد تجتمع كلها في تشريع حكم واحد ، وكيف يمكن لنا التوصل لمعرفة هذه الملاكات ، وكيف نتعرف على دوافع الشارع من تشريعاته ، ما لم تكن بمدد منه تعالى وتنصيبه ، ثم كيف نعرف أن هذه الاحكام التي وضعها الشارع ، غير ملائمة لتلك المقاصد والاهداف والقيم ، ولا تتناسب وتصورات الشارع عن الكون والحياة والفرد والمجتمع والدنيا والآخرة ، ونظامه المقدس ، واطروحاته المعينة للبشرية ، فربما كان خروج المرأة للحياة هذا الخروج السافر والمنحرف ، لا يتلاءم وتصورات الاسلام عن المرأة ، فكيف نغير احكام الاسلام عن المرأة حسب هذه الظروف الجديدة التي تعيشها المرأة ، والتي لا تتلاءم واطروحة الاسلام عنها أليس في هذا التغيير مخالفة صريحة لمقاصد الاسلام وقيمه ثم كيف نتوصل لاحكام معينة بديلة ناسخة لاحكام الشارع المقدس ، تكون ملائمة لتلك المقاصد ، وهل يحق لنا التشريع ، أو النسخ ، وإذا كان الحكم يدور مدار ملاكه ، أي المصالح والمفاسد الباعثة على تشريعه ،



وأن الحكم الشرعي لو فقد ملاكه ودوره الفاعل في اسعاد البشر ، لنسخه تعالى ، كما نسخ بعض احكام الشرائع السابقة ، فعدم نسخه دليل على بقاء ملاكه وفاعليته ، ومعنى النسخ في حقه تعالى ، ليس كمعنى النسخ في البشر والقوانين الوضعية - كما ذكره علماؤنا في بحث النسخ - فان معناه أن يشرع حكماً يعلم بأنه محدود ، وملاكه محدد ، بفترة زمنية معينة ، ولكنه يشرعه بصورة مطلقة غير محددة لبعض المصالح ، وحين ينتهي دور الحكم وملاكه وفاعليته ، فانه يكشف عن تحديده ، وانتهاء امده ، حيث لا يتصور الجهل في حقه تعالى ، كما يتصور في البشر والمقنن الوضعي ، لأن البشر لعوامل القصور فيهم ، ربما يشرعون حكماً لا ملاك فيه ، أو له ملاك ولكنه مؤقت مع جهالهم بتوقيته ، وبعد ذلك حينما ينكشف لهم عدم الملاك أو توقيته ، ينسخون هذا الحكم لحكم آخر ، وهكذا نرى ظاهرة التغير في الاحكام والقوانين الوضعية والبشرية ، فتشريع الشارع للحكم مطلقاً دون تحديد وتوقيت ، وعدم صدور نسخ منه لذلك الحكم دليل على بقاءه وبقاء ملاكه وفاعليته ، إذن كيف نعرف أن تلك الاحكام فقدت ملاكاتها وفاعليتها ، حتى ننسخها لاحكام اخرى ، أليست هذه الاحتمالات ناشئة من الظن وعدم العلم ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ ؛ ولا يحق لغير الشارع المقدس نسخ الحكم الشرعي وتبديله لحكم آخر .

وكلام الوحي وسنة المعصوم بنفسه حجة ، ثابتة ، وهناك احكام ومعتقدات ومبادئ دينيه اسلامية ثابتة مقدسة لا يمكن تجاوزها مع انتهائها للوحي والمعصوم ، فان انكار ثباتها وقداستها يستلزم انكار العلم الإلهي بالواقع ، نعم قد يختلف العلماء في فهم بعض الروايات والآيات ، ولكن لا يختلفون في حجية وقداسة الوحي وكلام المعصوم نفسه وفي ثبات الكثير من الاحكام الثابتة والضرورية المسلّمة .

إن امثال هذه الآراء عن عدم ثبات الشريعة ، تستلزم القول بعدم خلود الرسالة الاسلامية بنفسها وبأحكامها المعينة ، حيث تدل على خلودها بالاضافة لكونه من ضروريات الدين الكثير من الآيات والروايات ، وأن حلال محمد حلال ليوم القيامة وحرامه حرام ليوم القيامة ، وتستلزم انكار الروايات والاحاديث المعتبرة الدالة على لزوم التمسك بالقرآن والسنة والعثرة بصورة مطلقة غير محددة بزمان معين وغيرها من الأدلة التي ذكرها علماؤنا في مختلف العلوم مستدلين على ذلك بمختلف الأدلة العقلية والعقلية المسلمة .

أو تستلزم الاحتياج لبعث شريعة في كل مرحلة تنسخ الشريعة السابقة لمعالجة التطورات الجديدة ، وهو ينافي (خاتمية النبوة والرسالة) .

وأما إذا قلنا - على ضوء هذه الآراء - بعدم الحاجة لشريعة جديدة من السماء ، فهذا يعني أما بقاء الدين أو البشر بلا شريعة ، وبلا تكاليف ، كالبهائم ، أو الاعتماد على البشر أنفسهم في التشريع ، وهذا يستلزم عدم جدوى بعث الرسالة والشريعة من البداية ، بل يوكل مهمة الشريعة للبشر أنفسهم ، ولكن نتساءل هل يتمكن البشر بدون الاستمداد من السماء ، أن يضع شريعة كاملة لحياته ، تستجيب بصورة متوازنة وسليمة لكل حاجاته المادية والمعنوية والفردية والاجتماعية والدينية والاخرية ، مع ما يذكر من قصور القانون الوضعي والعلم البشري ، للكثير من العوامل منها عدم احاطته بالمصالح والمفاسد الواقعية وموانعها ، كشرط ضروري للحكم الصحيح لأن الحكم في قضية متوقف على العلم باجزاء القضية ، فلا بد أن يعرف الانسان والاشياء تماماً ، والمصالح والمفاسد الواقعية تماماً - ليصح منه الحكم الصائب ، بينما الله تعالى ، هو الخالق للبشر ، فيعرف البشر تماماً ، وهو خالق الاشياء فيعرفها ، وهو اللطيف

بعباده ، فلا يضع لهم إلا الاحكام الصالحة لهم ، ولا يتأثر بعوامل القصور البشري ، وعوامل الوراثة والتربية والمحيط ، والكثير من الاهواء والميول التي لها تأثيرها الوجداني في التشريع ، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ .

أن امثال هذه الآراء ربما استلزمت القول بتأثر الشارع بعوامل القصور البشري في التشريع ، ومنها عدم علمه بما يصلح لكمال البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة ليوم القيامة ، مع أن علمه المحيط بالماضي والحاضر والمستقبل ، والبشر مهما بلغ من علم لا يصلح لعلم الشارع ، وأن للاسلام نظامه المعين في الاصول والفروع في الرؤية الكونية والايديولوجية ، مستمد من اللطيف الخبير ، والذي بعث هذه الرسالة الخاتمة المشتملة على ما يصلح للبشرية في كل زمان ومكان ليوم القيامة ، بما تتضمنه من ثوابت ومتغيرات ، بمعناها الصحيح الذي فسره علماؤنا ، وخاصة المعاصرين ، وحددوا مجالات الثابت والمتغير حيث لا ننكر تغير الاحكام وتأثير الزمان والمكان فيها ولكن لا بصورة مطلقة بمعنى النسخ وتشريع شريعة اخرى ، بل محدودة ، وذلك في مجالات الاحكام الولائية وتأثير العناوين الثانوية كالضرر والحرج واختلال النظام ، وتغير خصوصيات الموضوعات . وتغير المصاديق أو امتداد الحكم لموضوعات اخرى حسب امتداد العلة المنصوصة وغيرها من المجالات التي تمثل الجانب المتغير والمرن من الشريعة وتأثير الزمان والمكان وذكرها علماؤنا وخاصة المعاصرين وذكرناها في مقال حول النسخ .

فإن هذه الشريعة باشكالها المعينة وبمجالاتها الثابتة والمتغيرة تتلاءم وتصورات الاسلام عن الكون والحياة والانسان ، ولا مبرر لاستعارتها من الفهم البشري ، والقانون الوضعي ، بل على البشر انفسهم الاستمداد من النظام الالهي . وعدم تفاعل بعض النفوس معه ،

أو عدم استيعاب بعض أسرارهِ . أو تغيير ظواهر الظروف بشكل يوهـم متطلبات لا تتلاءم واطروحة الاسلام ، لا يستلزم رفض احكام القرآن والسنة ، ولا بد من رجوع البشر إلى الدين الالهي ، من اجل خلاصه من السقوط والضياع ، وخاصة الغرب لما يعيشه من ازمات حضارية ، فهل يمكن القول مثلاً بأن الحج أو بعض ممارساته بما أنه لا يتقبلها الفهم المتطور ، أو أنها كانت تناسب الظروف السابقة ، يلزم الغاءها أو تغييرها لاساليب أخرى ؟ مع أن الحج باساليبه وممارساته الشرعية هي التي تتناسب والنظرة الاسلامية ومقاصده الكلية مهما تغيرت الظروف وكذلك الامر في سائر الاحكام الثابتة بالضرورة في العبادات والمعاملات ، كالصلاة والزكاة والخمس والارث والحدود والديات والتعزيرات واحكام القضاء وامثالها .

إن هذه الآراء حول الوحي أو معرفة المعصوم وأنه استنباط بشري تؤدي إلى أن يفقد القرآن اعتباره لأنه سيكون نتاج الفكر البشري ، وبذلك تلغي حجية القرآن والسنة ، وتفقد هذه المصادر مرجعيتها للاستنباط ، ولا يبقى مصدر للاحكام ، إلا عقل الانسان وعلمه ، وذوقه وميوله والظروف المتغيرة .

وإذا تغيرت الاحكام حسب المقاصد ، فيلزم أن تكون الشريعة تابعة لذوق الانسان وتفكيره ومزاجه ، بأن يضع كل فرد أو مجتمع احكاماً ملائمة لتلك المقاصد ، بما يتناسب وتركيبه النفسي ، فلا تكون لنا شريعة معينة .

إن الاسلام جاء ليوجه البشرية إلى رسالة السماء ، ويصلح حياتهم ، ويواجه تقاليدهم وانظمتهم المنحرفة والجاهلية القديمة والحديثة ، لا أنه بعث من اجل أن يتبع انظمتهم واهواءهم ﴿ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيانهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾<sup>(٥)</sup> ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع

ومما يجدر التأكيد عليه أن القيم لوحدها لا تكفي في اسعاد البشر، ما لم تكن هناك احكام وممارسات متناسبة مع تلك القيم ، كما لا تكفي طهارة الضمير ما لم تكن اعمال الانسان ملائمة لها ، وهذا التأكيد على القيم وطهارة الضمير وحدها - دون تعيين الممارسات الملائمة لها ، ربما يؤدي بالبعض للميكافيلية والغاية تبرر الوسيلة ، كما دفعت بعض الاحزاب والتيارات لارتكاب ابشع الممارسات بحجة التوصل للاهداف العيا . وتجسيد القيم ، أن من يدعي الاعتقاد بالقيم ، أو الضمير النظيف ، ثم يمارس الاعمال المنكرة ، فهو غير صادق في ادعائه وإلا لم يتخلف المراد عن ارادته لو كانت أو أن صوت القيم فيه ضعيف باهت ، بحيث لا يقاوم الاهواء الجامحة ، أن معرفة ملائمة الاحكام والممارسات لتلك القيم يحتاج لعلم شامل ومحيط بالقيم والافعال والانسان والاشياء . ومدى تناسب الاحكام لتلك القيم أو عدم تناسبها ، ومعرفة جميع الملاكات والمصالح والمفاسد الدنيوية والاخروية ، المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية وغيرها ، وعدم التأثير بعوامل القصور في التشريع ، ولعل التغير الدائم للقوانين الوضعية ، والمبادئ والتيارات ، أو وصولها بالتالي لتيارات وقوانين هدامة ، أو مجرمة ، دليل على كذب المدعين لها ، أو جهلهم في هذا المجال ، أو تأثير الاحكام الوضعية التي صنعوها واثارها الوضعية في الفرد والمجتمع .

وقد رأينا حزب البعث ، وربما غيره من الاحزاب والتيارات ، يردد دائماً في ادبياته بأن جوهر الاسلام وروحه هي تلك القيم والاهداف الاسلامية العليا ، كالعدالة والحرية والوحدة وامثالها ، وأما الاحكام الشرعية فهي شكليات ومظاهر تجسد تلك القيم ، وهي تتغير حسب الظروف بما تتمثل بها تلك القيم ، وأن حزب البعث - برأيهم السخيف

المنحرف - يجسد الصورة المتطورة العصرية لتلك الاهداف والقيم الاسلامية، والالهية السماوية، حيث يؤكدون (ان البعث يستوحي قيم السماء، أو بتعبير آخر يزاوج قيم السماء بفعاليات الارض باستلهاهم تلك القيم ودروسها المركزية وجوهرها الاساسي في صياغة نظرية العمل على ارض الواقع بما يحقق التواصل الحي بين حاضر الامة وماضيها الزاهر، وفي هذا يقول صدام حسين (نحن ندعو إلى الايمان بقيم السماء واحترامها، مستندين في هذا على التقاط الجوهر الانساني للقضايا الدينية وما توحى من دروس بليغة تساعدنا على بناء مجتمعنا الجديد وتعزيز القيم الانسانية الجديدة ورفدها بعوامل الخلق الرفيع)<sup>(٧)</sup>.

(٧) الثورة العربية - العدد السادس، السنة الثالثة عشر حزيران ١٩٨١.

ولعل هذه الشبهات وامثالها ناشئة من التأثر بموقف الفكر الغربي من دين الكنيسة، ولكن لا يقاس بدين الاسلام كما هو واضح، فلماذا هذا القياس، ولماذا التأثر بهذا الموقف الغربي من الدين؟. أو أنها ناشئة من نظرة الإنبهار والتفوق للفكر المعاصر الغربي، ولعلمائهم وجهودهم وارائهم، ونظرة التخلف والاستهانة للفكر والتراث الاسلامي، وجهود علمائهم، لعدم اعتمادهم منهج الغرب وآرائه، مع امكان الصحة والاستفادة من جميع الجهود العلمية تراثية ومعاصرة، وبكل ما يكون له دوره الفاعل في تطوير البحث العلمي، مع الحفاظ على اصالة الاسلام، ومعتقداته وتعاليمه، ألم يكن للاسلام تأثيره في تطور العرب والمسلمين علمياً وفكرياً، ألم يعترف الغرب بتأثرهم بالتطور العلمي والفكري للمسلمين؟ إذن فالكثير من هذه الشبهات كما ذكرنا ناشئة من عدم استيعاب المفاهيم الاسلامية المستمدة من الكتاب والسنة والتي تحتاج في فهمها الصحيح إلى دراسة علمية تخصصية في مختلف العلوم الاسلامية وعدم الاكتفاء بالعلوم أو الثقافات الاخرى، أو القراءة السطحية غير التخصصية

للثقافة والعلوم الاسلامية ، وربما كانت هناك عوامل اخرى وراء اثاره امثال هذه التشكيكات حول عقائد الاسلام واحكامه ومعالمه وشعائره ، وان تلبست بلباس البحث العلمي الاكاديمي احياناً ، تستهدف زرع الشبهات في اذهان بعض المسلمين الذين لا يملكون الثقافة الاسلامية الاصلية ، وكان من نتائج ذلك هذه التشكيكات والانتقادات المصرة للكثير من المعتقدات والاحكام والاحداث في الاسلام الاصيل والتشيع ، بالرغم من وجود الاجوبة المقنعة والعلمية لها ، ولكنهم يحاولون التغاضي عنها والاصرار على انكارها أو التشكيك فيها .

والملاحظ أن علماءنا قد استفادوا ويستفيدون في بحوثهم العلمية من تجارب الآخرين وعلومهم ، مع تقويمها وتطويرها والاخذ بالصائب منها ، ولكن فيما إذا لم يترتب عليه الاساءة للإسلام والمسلمين ، فيتبعون احسن الحديث ، وهي طريقتهم عبر التاريخ ، وإن كنا نتوقع المزيد اكثر بالنسبة للبحوث العلمية المعاصرة بما يتصل منها بالبحث العلمي ، ولكن لا يمكن الاستسلام المطلق للفكر الغربي ، وخاصة بما يتصل منه بالمجالات الاسلامية ، مع عدم استيعابهم أو ايمانهم بها ، بل ربما كان البعض مغرضاً في محاربة الاسلام والمسلمين كبعض المستشرقين كما دلت عليه الشواهد ، فلا بد من النظرة الموضوعية للثقافة الاسلامية وغيرها ، وقراءة الثقافة الاخرى ، وخاصة المعاصرة ، بما يمكن الاستفادة منها في البحث العلمي ، ولكن يلزم أن يسبق أو يقارن ذلك قراءة الثقافة الاسلامية الاصلية ، وعدم الاكتفاء بالثقافة المعاصرة ، وخاصة بما يتصل بالمجالات الاسلامية ليكون البحث والقراءة اكثر موضوعية ، لذلك فإن علماءنا - لأنهم قرأوا التراث - أقدر تمييزاً بين الخطأ والصواب فيما لو قرأوا الثقافة الاخرى .

ولعل بعض هذه الشبهات إنما نشأت عند أولئك الذين لا يؤمنون

بمدرسة اهل البيت ، ولا يستفيدون من معارفها وثقافتها ، لذلك اتجهوا للرأي والادلة الظنية غير المعتمدة ، كما تدل على هذه الحقيقة بعض الروايات عن المعصومين ، فكانت لهم هذه الآراء التغييرية ولو اعتمدوا هذه المدرسة لما ولدت في نفوسهم امثال هذه الآراء ، ولما اضطروا للتمسك بالادلة والآراء الظنية .

ويلزم أن نؤكد على أن الاسلام دين العقل ، فإن الله تعالى من خلال دينه يكشف للعقل الانساني من باب اللطف ما لو ادركه العقل بنفسه لحكم به ، ومن هنا قال علماءنا (الاحكام الشرعية الطاف في الاحكام العقلية) ، ولذلك كانت النبوة وارسال الشريعة لطفاً من الله على البشر ، ولكن العقل لاجل قصور علمه ، وبعض الموانع الاخرى ، لا يدرك المصالح والمفاسد أو موانعها كلها ، وادراكه لها شرط ضروري للحكم الصائب ، ولكن العقل لو ادرك احياناً المصلحة أو المفسدة الواقعية تماماً ، وعدم المانع من تأثيرها فيلزمه حكم الشارع المقدس ، وقاعدة الملازمة بين حكم العقل والشرع مما قال بها العلماء ، فلا بد من تعاون الوحي والعقل في هداية الناس ، فلو لا العقل لما اهتدوا للايمان باصول الدين وإلى الكثير من الحقائق الضرورية ، فالدين لا يرفض العقل ، مع كونه من الادلة الاربعة في مصادر الاحكام ، وللبحث اكثر حول هذا الموضوع ومجالات العقل وحدوده يراجع ما كتبه علماءنا في مبحث الدليل والحكم العقلي وخاصة في علم الاصول والكلام .

ولعله لاجل ذلك حكم العلماء ، بأنه لو حصل الاجماع على حكم شرعي دون أن يكون المعصوم احد المجمعين فليس حجة ، أما لو اتفقت جماعة قليلة عليه مع كون المعصوم احدهم كان حجة وذلك لأجل معرفة الواقع ، ولأجل ذلك كان تعيين الامام وخليفة الرسول ﷺ الخاص بنص الرسول ﷺ وبتعيين من الله ، لأنه الذي يعلم بما يلزم توفره في الخليفة والامام من خصائص باطنية ، لا



يعرفها إلا العالم بالواقع ، ولأجل ذلك كان تعيين المرجع الفقيه ، بتعيين أهل الخبرة الثقات ، للزوم توفر مقاييس معينة فيه لا يعرفها إلا أهل الخبرة .

وليست الكثرة هي الحق في جميع المجالات فللشورى ، ولرأي الناس حدوده المعينة شرعياً ، تتصل كثيراً بتعيين المصدق والموضوع . دون مجال تشريع الاحكام الكلية ، فهل اتفاق الاكثر على حسن السفور وقبح الحجاب من الحق والصواب ؟ وللبحث عن ذلك موضع آخر ؛ فالانبياء والمصلحون واتباعهم بدأوا قلة لوجود الطغاة وعوامل الفتنة والقصور التي تمنع من ايصال الحق للنفوس ، وتقمع النظرة الموضوعية ، وتشدد من وجود الانحراف ، فإذا زالت عوامل الفتنة والقصور ، وطرح الاسلام بصورة علمية وموضوعية ، فلا يفرض الدين بالقوة ﴿ لا اكره في الدين ﴾ ، وتوضيح هذه الفكرة اكثر ذكرناها في موضوع مبررات الجهاد الابتدائي ، ويبحث عن مدى الرجوع لأهل الخبرة وللناس والعرف والعقلاء والشورى في مواضع عديدة من الفقه والاصول بحثها علماؤنا بدقة وعمق مستفيدين من الكتاب والسنة .

واخيراً نقول ، إن ما ذكره البعض من تغيير جميع الاحكام حسب الظروف ، وعدم امكان فهم النصوص ، والوصول للواقع من خلالها ، واختلاف القراءة حولها ، وامثالها من الآراء ، وان تقبلناها في بعض الاحكام والنصوص ، ولكن لا نتقبلها في الجميع ، فإن الوجدان والواقع الخارجي ، بالاضافة لبحوث علماؤنا الموضوعية والعميقة في مختلف العلوم ، تدحض هذه الشبهات والآراء ، فهناك الكثير من المجالات في الدين والمذهب ، وخاصة اصول العقائد ، كالايمان بالله ، واصول الاحكام ، كوجوب الصلاة والحج ، لا تقبل التغير والاجتهاد - بمعناها المصطلح - واختلاف الرأي والقراءة حولها ، وخاصة بالنسبة للمؤمن بالله والمعصوم ، لأنها من الضروريات والمسلمات واليقينيات كالمتواترات أو المقترنة بالقرينة القطعية . والنصوص

المتفق على صدورهما سنداً ، ووضوحها دلالة من الآيات والاحاديث الشريفة ، بحيث كانت من المحكمات وتدل بالنص والصراحة لا بالدلالة الظنية على المعنى ، فيكون الاجتهاد في مقابلها من الاجتهاد في مقابل النص ، حيث نتيقن أنها من كلام الله أو المعصوم ، فهذه احكام ومبادئ أو معتقدات ثابتة لا يمكن تغييرها ، أو الاجتهاد والتأمل فيها ، فهل يمكن تغيير الايمان بالله إلى القول بانكاره أو تعدده من خلال قراءة جديدة ؟ وهل يمكن تغيير وجوب الصلاة ، أو قطع يد السارق ، أو الارث ، من خلال قراءة جديدة تؤدي لنفيها ، وامثالها من الاحكام الضرورية ، كما أن الوحي ، وسنة المعصوم نفسه ، لا كلام الراوي أو رأي المجتهد ، حجة يقينية ثابتة ، لا يحق لنا تغييرها ، أو النظر فيها ، لأنها ليست استنباطاً ظنياً بشرياً كما توهمه البعض ، لأن المعصوم عالم بالحق وبالحكم الإلهي الواقعي ، لا أنه يستنبط الحكم ظنياً ، وامثال هذه الاحكام الضرورية واليقينية ، ليس البحث عنها والتعرف عليها من الاجتهاد والمصطلح بل هو من طرق المعرفة ووسائل العلم بها .

ويبقى مجال الاجتهاد المصطلح في الاحكام الجزئية والمسائل الظنية والخلافية ، حيث يحق للمجتهدين المتخصصين فحسب ابداء الرأي فيها ، حتى لو كان مخالفاً للآخرين ، ولا يحق لغير المتخصصين كما هو الأمر في سائر العلوم ، كما أن هناك مجالات لتغير الاحكام وتأثير الزمان والمكان ذكرها علماؤنا واشرنا إليها بايجاز .

لذلك لا يمكن الاستدلال على عدم ثبات الاحكام جميعها باختلاف آراء المجتهدين ، وذلك لأنه من الواضحات عند المجتهدين وغيرهم القول بثبات الضروريات والمسلمات من الاحكام والعقائد ، وحجية قول المعصوم نفسه وثباته ، وكذلك القيم الاخلاقية القائمة على الفطرة ، كحسن العدل وقبح الظلم ، فإنها ثابتة لا تتغير ، وإنما الذي يتغير القيم القائمة على التقاليد والاعراف الاجتماعية .

## دراسات

عز الدين سليم  
(العراق)

# أبو طالب الصحابي المقتدى عليه (٣)

لماذا أتهم أبو طالب ؟

من خلال الدراسة الفاحصة لسيرة أبي طالب عليه السلام ، نجد أن هذا الرجل الصحابي الهاشمي الذي آوى ونصر ، وثبت بصموده أركان الاسلام ، قد تعرض لحملة عدوانية عنيفة ، شملت سيرته في حياته وبعد مماته .

وقد شاركت في هذه الحملة العدوانية فئات سياسية ، ومحدثون ورواة ومفسرون وقصاصون . فما هي دوافع هذه الحملة العدوانية ؟ من خلال مطالعة لبصمات المخططين لهذه العملية ومنفذيها ، نجد أن الحملة على أبي طالب عليه السلام هي جزء من الحملة على الرسالة والرسول صلى الله عليه وسلم ، ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد جرت تاريخياً منذ بداية حكم بني امية الذي ابتدأ بمعاوية بن أبي سفيان .

ودوافع ذلك التحرك الخبيث الذي بلوره معاوية ، ونفذ الجزء الأكبر منه ، تتلخص في مقاطع هذه الرواية ، فقد حدث مطرف عن والده المغيرة بن شعبة ، فقال :

«دخلت مع أبي علي معاوية ، فكان أبي يأتيه ، فيتحدث معه ، ثم ينصرف أبي فيذكر معاوية وعقله ، ويعجب بما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك من العشاء ، ورأيت مغتماً فانتظرت ساعة ، وظننت أنه لأمر حدث فينا ، فقلت : ما لي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ فقال لي : يا بني ، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم . قلت : وما ذاك ؟ قال : قلت له وقد خلوتُ به : إنك قد بلغت سنأ يا أمير المؤمنين ، فلو اظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً ، فإنك قد كبرت ، ولو نظرت إلى اخوتك من بني هاشم ، فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه ، فقال هيهات هيهات ! أي ذكر ترجو بقاءه ؟ ملك اخو تيم فعدل وفعل ما فعل ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره ، إلا أن يقول قائل : أبو بكر ، ثم ملك أخو عدي ، فاجتهد وشمر عشر سنين ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل : عمر ، وإن ابن أبي كبشة<sup>(١)</sup> ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله فأبي عمل يبقى ، وأي ذكر يدوم بعد هذا لأبأ لك ! لأمر الله إلا دفناً دفناً»<sup>(٢)</sup> .

وقد بدأ تنفيذ هذا المخطط الوصولي الاسود من خلال خطوات عملية مجرمة ، اعتمدها معاوية بن أبي سفيان من أجل تنفيذ مشروعه الخطير ذاك .

ونذكر بعض ملامح الخطوات التنفيذية المراد منها تحقيق عموم المخطط الاسود ، الذي كان يهدف معاوية من ورائه اساساً إلى دفن ذكر رسول الله ﷺ ، كما كشف ذلك السر المكتوم لرفيق دربه المغيرة بن شعبة في غفلة منه .

(١) في غزوة احد بعد هزيمة المسلمين، اطلق ابو سفيان على الرسول لقب ابي كبشة (ارجع إلى : البلاذري : اسباب الاشراف ١ : ٩١ و ٣٢٧ ، والمقرئزي : إمتاع الاسماع : ٨٧ و ١٥٨ .

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد ١٢٩:٥ - ١٣٠ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، و ١ : ٤٦٣ طبعة قديمة ، ومروج الذهب ٣ : ٥٤٤ ، ط . دار الاندلس ، بيروت ، والموقعيات للزبير بن بكار : ٥٧٦ ، ط . العراق .

وحيث إنه لم يكن بوسعهم أن يحقق طموحه الخبيث دفعة واحدة ،  
فليحقق ما يمكن تحقيقه إذن .

وهكذا كرس عشرات الآلاف من منابر الجمعة لتعلن امام  
المسلمين لعن علي بن أبي طالب عليه السلام ، والبراءة منه ، وثلبه بمختلف  
الطعون ، وهكذا شن معاوية حملة لتزوير حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،  
فغير ما غير ، وبذل ما بذل ، وحدث على يد حفنة ممن يستأكلون  
بالدين ، من أمثال : سمرة بن جندب ، وعمرو بن العاص ، وأبي  
هريرة الدوسي ، وعروة بن الزبير وغيرهم ، لوضع ما يحلو لمعاوية  
من حديث على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وهذه مفردات تفصيلية لتنفيذ  
مشروع معاوية كما حفظها تاريخ تلك الحقبة السوداء من تاريخ  
المسلمين .

روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب  
الاحداث قال : «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام  
الجماعة<sup>(٢)</sup> أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل  
بيته ، فقامت الخطباء في كل كورة ، وعلى كل منبر ، يلعنون علماً  
ويبرؤون منه ويقعون فيه و في أهل بيته ، وكان أشد الناس بلاء  
حينئذ أهل الكوفة ، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليهم  
زياد بن سمية ، وضم إليه البصرة ، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم  
عارف ، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ،  
وأخافهم ، وقطع الايدي والارجل ، وسمل العيون ، وصلبهم على  
جذوع النخل ، وطردهم وشردهم عن العراق ، فلم يبق بها معروف  
منهم ، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من  
شيعة علي وأهل بيته شهادة .

وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل  
ولايته ، والذين يروون فضائله ومناقبه ، فأدنوا مجالسهم وقربوهم

(٢) عام الجماعة هو عام  
٤١ هـ ، الذي تسلم معاوية  
فيه السلطنة بعد صلحه  
مع الحسن السبط (ع) ،  
وسقوط دولة الخلافة  
الاسلامية في الكوفة .

وأكرمهم ، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم ، واسمه واسم  
أبيه وعشيرته .

ف فعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعثه  
إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع ، ويفيضة في  
العرب منهم والموالي ، فكثر ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل  
والدنيا ، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية ،  
فيروي في عثمان أو منقبة ، إلا كتب اسمه وقربه وشفعه ، فلبثوا بذلك  
حيناً .

ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر  
وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية  
في فضائل الصحابة الخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خيراً يرويه أحد من  
المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا  
أحب إليّ وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته ، وأشد عليهم من مناقب  
عثمان وفضله .

فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة  
مفتعلة لا حقيقة لها ، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى ،  
حتى اشدوا بذكر ذلك على المنابر ، والقي إلى معلمي الكتاتيب فعملوا  
صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع ، حتى روه وتعلموه كما  
يتعلمون القرآن ، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ،  
فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان : انظروا من  
قامت عليه البيّنة أنه يحب عليّاً وأهل بيته ، فامحوه من الديوان ،  
واسقطوا عطاءه ورزقه . وشفع ذلك بنسخة أخرى : من اتهمتموه  
بموالاة هؤلاء القوم ، فنكلوا به ، واهدموا داره .

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ، ولا سيما بالكوفة ، حتى

إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به ، فيدخل بيته ، فيلقي إليه سره ، ويخاف من خادمه ومملوكه ، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان الغليظة ، ليتمكن عليه ، فظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاء والولاة ، وكان اعظم الناس في ذلك بلية القراء المرءون والمستضعفون ، الذين يظهرون الخشوع والنسك ، فيفتعلون الاحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم ، ويقربوا مجالسهم ، ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل ، حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان ، فقبلوها ورووها ، وهم يظنون أنها حق ، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها .

فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام ، فازداد البلاء والفتنه ، فلم يبق احد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه ، أو طريد في الارض .

ثم تفاقم الامر بعد قتل الحسين عليه السلام ، وولي عبد الملك بن مروان ، فاشتد على الشيعة ، وولى عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، فتقرب إليه اهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة اعدائه وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه ، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم ، واكثروا من الغض من علي عليه السلام وعيبيه ، والطعن فيه ، والشنآن له ، حتى إن انساناً وقف للحجاج - ويقال إنه جد الاصمعي عبد الملك بن قريب - فصاح به : أيها الامير ، إن اهلي عقّوني فسموني علياً ، وإني فقير بائس ، وأنا إلى صلة الامير محتاج . فتضاحك له الحجاج ، وقال : للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا . وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه - وهو من اكابر المحدثين واعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر ، وقال : إن اكثر الاحاديث الموضوعية في فضائل الصحابة افتعلت في ايام بني امية ، تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به انوف بني هاشم<sup>(٤)</sup> .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ : ٤٤ - ٤٦ .

فمن خلال هذه الوثائق التاريخية التي تقطر ظلماً وعدواناً ، يتضح لك عمق التخريب الذي لحق بالثقافة العامة للأمة ، ومخاطر هذا التخريب الذي امتد لعموم الناس ، ومختلف مصادر التثقيف والتوجيه ، خصوصاً المحدثين والرواة ، وكان شأنهم يومئذ عظيماً ؛ إذ كانوا يومذاك مصدر الهام الأمة وقاعدة التوجيه فيها .

وهكذا نشأت معلومات ووضعت افكار وتصورات لا أساس لها من الصحة ، وصيغت ثقافات وقيم لا وجود لها في دين أو واقع ، وكان كثير من تلك المعلومات والافكار قد افترى بها على النبي ﷺ ، لتأخذ بعداً مقدساً عند الناس ، وتكون ديناً يدين به الخلق .

وإذا اعدنا إلى الازهان أن السنة الشريفة قد صدرت قرارات من الخلفاء ، تمنع من نشرها تدوينها منذ الايام الاولى لخلافة ابي بكر ، حتى خلافة عمر بن عبد العزيز ، الامر الذي اعطى فرصاً كافية جداً لصياغة سنة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، واقتعال اخبار واحاديث لم يتفوه بها النبي ﷺ على الاطلاق ، حتى إذا اطلقت يد التدوين للسنة في عصر عمر بن عبد العزيز ، دونت الاخبار والاحاديث التي رعتها سياسة الخلفاء ، واصرت على اشاعتها بالترغيب والترهيب . أقول : إذا اعدنا إلى الازهان هذه الحقائق ، تتجلى امامنا ضخامة الجريمة الثقافية والعلمية التي ارتكبت بحق هذا الدين ، وحجم التشويه الذي تعرضت له آثار النبوة . على أننا في المقابل قد ندرك اهمية المعلومات الايجابية التي بقي التاريخ محتفظاً بها عن اهل البيت ﷺ ، رغم ضخامة المؤامرة وحجم الارهاب الذي صبه الحكام الظالمون ، على حملة الحق ومصادر النور في هذه الامة .

فرواية حديث في فضل اهل البيت ﷺ ، كان يسوق صاحبه إلى الموت وهدم الدار وتشتيت الاسرة بواسطة الحكام والولاة ، إذا بلغتهم وشاية حول هذا الموضوع من صبي مغرر به ، أو خادم



مخدوع ، أو امرأة حمقى .

لقد كان ابو طالب - باعتباره سيد بني هاشم ، وناصر النبي ﷺ ووالد علي عليه السلام - أولى بتوجيه السهام نحوه ، في المخطط الكبير الذي صممه حكومة الطلقاء في الشام ، ونفذته مؤسسات اعلامية رواة ومؤرخون ومنابر مختلفة ، في دولة تمتد من المحيط إلى المحيط . وقد اهتمت سياسة بني امية بتكريس النقاط التالية بشأن ابي طالب :

- ١ - التأكيد بمختلف الوسائل على أنه لم يسلم وقد مات مشركاً .
  - ٢ - ابتداء احاديث ونسبتها للرسول ﷺ تؤكد على كفر ابي طالب .
  - ٣ - الاستعانة ببعض الآيات النازلة في الكفار ، وتزييف اسباب نزولها ، لتكون مختصة بأبي طالب .
- إلى غير ذلك من صور التضليل والخداع .

ولنذكر امثلة مما ابتدعه بنو امية والمستأكلين بالدين من عملائهم . قال تعالى : ﴿وهم ينهاون عنه وينأون عنه وإن يهلكوا إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (٥) .

اخرج بعض من المفسرين عن سفيان الثوري عن ذكره ، أن هذه الآية نزلت في أبي طالب ؛ لأنه كان ينهى عن ايداء الرسول ﷺ ، ولكنه ينأى عن دخول الاسلام .

وقد اخرج هذه الرواية وامثالها الطبري في تاريخه وغيره ، فقد اخرج الطبري وغيره من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سمع من ابن عباس قال : إنها نزلت في أبي طالب . ينهى عن اذى الرسول ﷺ أن يؤذى ، وينأى أن يدخل في الاسلام (٦) .

وقال القرطبي في تفسيره (٧) حول تفسير هذه الآية ما يلي : «هو عام في جميع الكفار ، أي ينهاون عن اتباع محمد ﷺ وينأون عنه ، عن ابن عباس والحسن ، وقيل : هو خاص بأبي طالب ينهى الكفار عن

(٦) الغدير ٨ : ٣ نقلاً عن ابن سعد في طبقاته ١٠٥ : ١ . وتاريخ الطبري ١١٠ : ٧ ، وتفسير ابن كثير ١٢٧ : ٢ ، والكشاف للزمخشري ٤٤٨ : ١ ، وتفسير الخازن ١١ : ٢ .

(٧) الغدير ٨ : ٣ ، ٤ ، نقلاً عن تفسير القرطبي ٤٠٦ : ٦ .

اذاية محمد ﷺ ، ويتباعد من الايمان به ، عن ابن عباس ايضاً . روى اهل السير قالوا : كان النبي ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي ، فلما دخل في الصلاة قال ابو جهل (لعنه الله) : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام ابن الزبيري فأخذ فرشاً ودماً فطخ به وجه النبي ﷺ ، فانفتل النبي ﷺ من صلاته ، ثم أتى أبا طالب عمه فقال : يا عم ، ألا ترى إلى ما فعل بي ؟ فقال ابو طالب : من فعل هذا بك ؟ فقال النبي ﷺ : عبد الله بن الزبيري ، فقام ابو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون ، فقال ابو طالب : والله لئن قام رجل لجلتته بسيفي ، ففعدوا حتى دنا إليهم ، فقال : يا بني ، من الفاعل بك هذا ؟ فقال : عبد الله بن الزبيري . فأخذ ابو طالب فرشاً ودماً فطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ فقال النبي ﷺ : يا عم ، نزلت فيك آية . قال : وما هي ؟ قال تمنع قريشاً أن تؤذيني ، وتأبى أن تؤمن بي . فقال أبو طالب :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا فقالوا : يا رسول الله ، هل تنفع نصره أبي طالب ؟ قال : نعم . دفع عنه بذاك الغل ، ولم يقرن مع الشياطين ، ولم يدخل في جب الحيات والعقارب . إنما عذابه في نعلين من نار يغلي منهما دماغه في رأسه ، وذلك أهون أهل النار عذاباً<sup>(٨)</sup> .

(٨) م . ن .

وتجدر الإشارة هنا أن نزول الآية المذكورة في أبي طالب ﷺ لا يمتلك رصيذاً من الواقع ، وذلك لعدة اعتبارات علمية وقانونية ، نذكر منها :

١ - عدم انطباق الشروط العلمية على سند الرواية ، وذلك لعدة

وجوه :

أ- أن الرواية مجهولة السند بين حبيب بن أبي ثابت وابن عباس ، كما رأينا ، وهي بهذا لا تفيد علماً ولا عملاً ، كما اتفق على ذلك علماء المسلمين وائمتهم عبر العصور .

ب- أن حبيب بن أبي ثابت انفرد في هذه الرواية دون غيره . وقد عرف العلماء أنهم لا يركنون إلى الاعتماد على نمط من هذه الروايات . ج- أن حبيباً الراوي قد شهد اهل العلم بعدم جواز الاعتماد عليه ؛ لأنه كان مدليساً كما قال حبان ، والعجلي يقول عنه : « غمزه ابن عون ، وله عن عطاء احاديث لا يتابع عليها » ، وقال ابن خزيمة : « كان مدليساً » (٩) .

(٩) تهذيب التهذيب ٢ : ١٧٩ .

د- أن وجود سفيان الثوري في سند الرواية دليل آخر على تهافتها ، فقد وصفه العلماء بالتدليس وأنه يكتب عن الكذابين (١٠) .

(١٠) الغدير ٨ : ٤ نقلاً عن ميزان الاعتدال ٣٩٦:١ .

٢- أن ما ثبت عن عبدالله بن العباس حول سبب نزول هذه الآية بعدة طرق ، يناقض ما زعمه سفيان الثوري وحبيب في الرواية التي ذكرناها سابقاً ، فقد روى الطبري في تفسيره ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، من طريق علي بن أبي طلحة ، وطريق العوفي ، أن الآية نزلت في المشركين الذين كانوا ينهاون عن رسول الله ﷺ أن يؤمنوا به ، وينأون عنه ، يتباعدون عنه (١١) .

(١١) تفسير الطبري ١٠٩:٧ ، والدر المنثور للسيوطي ٨:٣ .

وقد اخرج ذلك الطبري ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد ، من طريق وكيع عن سالم عن أبي الحنفية ، وعن الحسين بن الفرج عن أبي معاذ ، ومن طريق بشر عن قتادة .

واخرج عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابو الشيخ ، عن قتادة ، والسدي ، والضحاك ، ومن طريق أبي نجيع عن مجاهد ، ومن يونس عن ابن زيد ، قالوا : « ينهاون عن القرآن ، وعن النبي ﷺ ، وينأون عنه : يتباعدون عنه » (١٢) .

(١٢) م . ن ، وتفسير الآلوسي ١٢٦:٧ .

والمراد اساساً أن الآية تتحدث عن قطاع الكفار الذين كانوا ينهاون

عن اتباع رسول الله ﷺ والقرآن الكريم ، وينأون عنه بالعداوة والصدود ، فأين هذا عن مواقف أبي طالب عم النبي ﷺ وحاميه وناصره ، والذاب عنه كل اذية وسوء ومكروه ؟

هذا ، ومما تجدر الإشارة إليه أن سورة الانعام نزلت جملة واحدة بعد سورة القصص بخمس سور ، كما في اتقان السيوطي ، وكان ابو طالب عند نزول سورة الانعام التي تحمل الآية المذكورة ، قد رحل إلى ربه الأعلى قبل ذلك بعدة سنين فوقاه ربه حسابه (١٣) .

(١٣) الغدير ٥٨ - ٦٠ .

٢ - أن سياق الآيات قبلها وبعدها يعطي انطباعاً واضحاً أن المقصود غير أبي طالب ﷺ . قال تعالى : ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين \* وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ (١٤) .

(١٤) الانعام: ٢٥ - ٢٦ .

فالأيات صريحة أن المراد بها كفار قريش ، أو قطاع منهم جاؤوا للنبي ﷺ فجادلوه ، واتهموه ، ووصفوا القرآن بالأساطير ، ومنعوا عن اتباعه ، فأين مدلول هذه الآيات من مواقف أبي طالب ﷺ ، الذي أمر العباس وحمزة وجعفر باتباع النبي ﷺ ، ودعا قريشاً وبني هاشم للتمسك بالنبوة ؟ وهو الذي رأينا نماذج من أدبه الرسالي الفذ الذي جاء فيه :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً

رسولاً كموسى خط في اول الكتب

هذا ، وقد تنبه علماء التفسير إلى تفاهة من يتصور أن الآية نزلت

في ابي طالب ﷺ ، فأشاروا إلى أنها مختصة بالمشركين المكذبين الذين ينأون عن الحق ، ويحولون بين الناس ورسول الله ﷺ (١٥) .

ومن الجدير ذكره أن مجموعة اخرى من الآيات فسرت في أبي طالب ﷺ ظلماً وعدواناً ، مع أنها نزلت في جماعة المشركين ، من أمثال قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو

(١٥) مثل الطبري في تفسيره ١٠٩:٧ ، والرازي ٢٨:٤ ، وابن كثير ١٢٧:٢ ، والزمخشري ٤٤٨:١ ، وغيرهم .

(١٦) التوبة : ١١٢ .

(١٧) القصص : ٥٦ .

كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم ﴿١٦﴾ . وقوله تعالى : ﴿إِنْ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٧) .

وهذه الآيات وغيرها إنما فسرناها وعاظ البلاط الاموي في أبي طالب عليه السلام ، ارضاء لحكام بني أمية ، ووضعوا الاحاديث بحثاً عن المال والجاه ، من أمثال أبي هريرة والمغيرة بن شعبة ، وعروة ، وسعيد ابن المسيب ، والزهري ، وغيرهم ممن فسروا حتى آيات نزلت في المدينة المنورة ، بعد وفاة أبي طالب بعدد من السنين ، في أبي طالب عليه السلام (١٨) .

#### لماذا كنتم ابو طالب عبادته ؟

حفظ تاريخ الرسالة الاسلامية المطهرة الكثير من مواقف الصمود والدفاع عن الدعوة الالهية ، والرسول الخاتم ﷺ ، التي وقفها ابو طالب عليه السلام ، في اشد ايام الرسالة قسوة ، وفي اكثر ساعاتها حرجاً كما اشرنا . يظهر ذلك جلياً من سيرته العملية مع النبي ﷺ ، ومن كلماته الباسلة ، وشعره المقاوم الجريء .

بيد أن تاريخ الرسالة المطهرة لم يسجل حادثة واحدة حول اقامة أبي طالب عليه السلام للصلاة اليومية ، التي كانت قد شرعت في مكة المكرمة دون غيرها من الفرائض ، رغم أن كثيراً من كلمات الرجل كانت تقطر ايماناً واعتقاداً بالله واليوم الآخر والحساب والنبي ﷺ .

لقد حدثنا التاريخ عن صلاة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وخديجة بنت خويلد عليه السلام ، وجعفر بن أبي طالب عليه السلام ، وحمزة بن عبد المطلب عليه السلام مع رسول الله ﷺ في بداية الدعوة ، ولكنهم لم يذكر مصداقاً واحداً عن هذا الموضوع يختص بأبي طالب عليه السلام ، فلماذا كنتم ابو طالب صلواته ، بل اسلامه بشكل عملي ؟ .

(١٨) ومن شاء المزيد فليراجع الغدير ٨ ، وأبو طسالب مؤمن قريش لعبدالله الخنيزي، والحجة على الناهب إلى تكفير أبي طالب للامام شمس الدين بن معد الموسوي (ت ٦٣٠ هـ).

- إن المتابع لمسيرة النبوة والدعوة الالهية الخاتمة ، في تلك المرحلة المبكرة ، يلاحظ أن الدعوة المباركة كانت بحاجة إلى عدة مقومات :
- ١ - الثقافة التي يمثلها القرآن الكريم بآياته النازلة ، كما تمثل مقومها الآخر كلمات رسول الله ﷺ واحاديثه .
  - ٢ - اللسان الناطق بها ، المعبر عنها ، المرغب فيها ، وكان رسول الله ﷺ ووسائله التعبيرية هو ذلك اللسان الناطق .
  - ٣ - الدعم المالي ، وكانت ثروة خديجة ؓ اهم روافد ذلك الرصيد .
  - ٤ - الدعم الاجتماعي ، وقد مثله أبو طالب ؓ بماله من زعامة وامتداد وتأثير اجتماعي كبير .
  - ٥ - وهناك مقومات اخرى بعضها معنوي ، وبعضها مادي .
- لقد انبثقت الدعوة الالهية التي صدع بها محمد رسول الله ﷺ في مكة المكرمة ، قلب الجزيرة العربية ، وكانت الحالة القبلية والولاء لل عشيرة ونظامها هي التي تحكم الجزيرة كلها ، وكانت الكيانات القبلية ذات بعد سياسي واجتماعي في آن واحد ، في الجزيرة العربية التي ضاقت بها فكرة القومية يومذاك ، وعجزت عن اقامة كيان سياسي موحد ، إلا إن التحالفات بين القبائل العربية ، وقوة بعض الزعماء ، وفرت حالة من التوازن بين الوحدات الاجتماعية يومذاك .
- في هذا الوضع الاجتماعي بزغت شمس الدعوة المحمدية ، وليس من باب الصدفة أن تجد الدعوة شخصية اجتماعية واسعة النفوذ في مكة وما حولها مثل أبي طالب ؓ ، كما ليس من باب الصدفة أن تجد عمقاً عشائرياً داعماً لها يتمثل بعشيرة الداعية الاول للحق محمد رسول الله ﷺ ، تلك هي عشيرة بني هاشم .

ولولا هذا البعد الاجتماعي العميق ، لما كان بوسع الدعوة أن تعلن حقيقة مبادئها ومفاهيمها ، فضلاً عن أن تعلن مقاومتها للذهنية الوثنية الحاكمة في البلاد ، ولكانت في احسن اوضاعها تشبه تحركات

(١٩) الحجة على المذاهب  
إلى تكفير أبي طالب،  
الفصل العاشر: ٣٤٠.

الرهبان والاحناف ، التي تبقى حبيسة في اطار محدود من الناس .  
وحين صدع المصطفى ﷺ بدعوته ، كان ابو طالب عليه السلام «سيد  
قريش غير مدافع ، ورئيسها غير منازع ، وكانوا له ينقادون ، ولأمره  
يطيعون» (١٩) ، وكان لأبي طالب عليه السلام حلفاء وانصار ، اضافة لعشيرته  
الاقربين من بني هاشم .

ومن هنا رأى رسول الله ﷺ وبتخطيط منه دقيق ، أن من الحكمة  
أن يحتفظ أبو طالب عليه السلام بهذه المكانة الاجتماعية ، ويسخرها في الدفاع  
عن الدعوة والداعية ﷺ ، وليس بمقدور أبي طالب عليه السلام أن يوظف  
مكانته الاجتماعية العظيمة للدعوة ، إذا أعلن اسلامه ، وجهر بايمانه  
بالرسول والرسالة ، وانحاز علانية إلى الدعوة ، كما ليس بمقدور  
الدعوة الالهية المباركة أن تستثمر تلك المكانة الاجتماعية العظيمة ،  
إذا هو جاهر بانتمائه للرسالة ؛ لأنه في تلك الحالة ينازح قريشاً كلها ،  
ومكة وما حولها ، فيكونون عليه يداً واحدة .

ومن اجل ذلك كان يخادعهم ، ويتظاهر لهم بالمرونة ، فكان  
يخالط قريشاً ، ويعاشرها ، ويشهد مشاهدها ومناسباتها ، حفظاً على  
سيادته ومكانته فيهم ، حتى يكون بمقدوره أن ينصر الرسول ﷺ من  
هذا الموقع ويأخذ بحقه ، ويوقف من يريد به السوء عند حده ، حتى  
نجح في ذلك نجاحاً باهراً منقطع النظير ، وهو مع ذلك يشوب علاقاته  
مع قريش ، ومواقفه منها ومعها ، باظهار تصديقه بالنبي ﷺ  
ورسالته ، وضرورة تصديقه والايمان به من قبل الناس بالطريقة  
التي يراها ممكنة ، وغير مثيرة للخصم ، وما ظهر من صور الايمان  
بالدعوة والرسول ﷺ وغيرها في ادبه ومواقفه ، كانت في هذا  
الاطار .

وهكذا نجحت مهمة أبي طالب عليه السلام في دعم مسيرة الرسالة ،  
وحمايتها ، وصد أعدائها ، ولولا هذه الطريقة التي تبناها ابو طالب

لرغد مسيرة النبوة ، لما استثمرت الدعوة الالهية هذه الطاقة العظيمة بشكل مناسب .

ولعظمة المهمة التي اضطلع بها أبو طالب ﷺ ، وأهمية دوره المبارك ، فإن الله عزَّ وجلَّ أوحى لرسوله ﷺ بعد وفاة أبي طالب ﷺ ، وأنبأه بواسطة جبريل ﷺ ، أنه «قد مات ناصرك ، فاخرج» وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة .

ومن أجل ذلك فإنه من السذاجة واللؤم أن يسيء أحد الظن بأبي طالب ﷺ بسبب سلوك اقتضته الحكمة ، بينما نجد - رغم اساءة التاريخ وظلمه لأبي طالب - أن مصاديق ايمان أبي طالب ﷺ برسالة محمد ﷺ ودعوته ، مما لا يمكن تجاهلها ، اضافة إلى مواقف رسول الله ﷺ منه ، التي منها تغسيله ، وتجهيزه ، ودفنه .

ومنها ترحمه عليه ، والاستغفار له ، رغم أن الاسلام الحنيف لا يبيح الاستغفار للمشرك من قبل المؤمن ، مهما كانت علاقته النسبية به .

ومنها ابقاء رسول الله ﷺ لفاطمة بنت اسد ﷺ في عصمة أبي طالب ﷺ حتى وفاته ، رغم أن الاسلام فسخ عقود النكاح بين المسلمات والمشركين .

فلا ندري ، ألا يعني اتهام أبي طالب بالشرك والكفر من قبل بعض الجهلة بحقائق الامور ، اتهاماً لرسول الله ﷺ واساءة له ؟ .

### كلمات الصادقين ﷺ في تكريم أبي طالب ﷺ :

١ - عن امير المؤمنين قال : «قال رسول الله ﷺ : هبط علي جبرئيل فقال لي : يا محمد ، إن الله عزَّ وجلَّ مشفعك في ستة : بطن حملتك أمنة بنت وهب ، وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب ، وحجر كفلك ابو طالب ، وبيت آواك عبد المطلب ، وأخ كان لك في الجاهلية ، وثدي أرضعك حليلة بنت أبي ذؤيب» (٢٠) .

(٢٠) الغدير للشيخ الاميني  
٣٨٧ : ٧ ، ورواه السيد  
فخار ابن معد في كتاب  
الحجة : ٨ .



(٢١) م - ن ٣٨٦:٧، وكتاب  
الحجة : ١٥، والدرجات  
الرفيعة.

(٢٢) م - ن ٣٨٧:٧، جاء في  
المناقب المئة للشيخ أبي  
الحسن بن شاذان، وكنز  
الفوائد للكرجكي : ٨٠،  
وأمسالي الشيخ : ١٩٢،  
 واحتجاج الطبرسي كما  
في البحار، وتفسير أبي  
الفتوح : ٢١١:٤، والحجة :  
١٥، والدرجات الرفيعة،  
وبحار الانوار ٩ : ١٥،  
وضياء العالمين، وتفسير  
البرهان ٣ : ٧٩٤.

(٢٣) م - ن . رواه بإسناده  
السيد فخار بن معد في  
كتاب الحجة : ٢٢، وذكره  
الفتوني في ضياء  
العالمين.

(٢٤) م - ن ٣٨٩:٧، وراجع  
ما مرّ ص ٣٨٠، وكتاب  
الحجة : ٢٤، والدرجات  
الرفيعة، وضياء العالمين.

(٢٥) جعفر بن أبي طالب بن  
عبد المطلب بن هاشم، أبو  
عبدالله، ابن عم النبي (ص)  
وشقيق الامام علي(ع) من  
السابقين إلى الاسلام،  
تشير المصادر إلى أنه  
صلّى مع النبي(ص) بعد  
أخيه علي(ع)، وقال  
النبي(ص) له : «أشبهت  
خليقي وخليقي». وفي  
البخاري عن أبي هريرة  
قال : «كان جعفر خير  
الناس للمساكين»، هاجر  
إلى الحبشة فأسلم  
النجاشي ومن تبعه على =

٢ - عن العباس بن عبد المطلب عليه السلام ، أنه سأل رسول الله ﷺ ،  
فقال : «ما ترجو لأبي طالب ؟ فقال : كل الخير أرجو من ربي عز وجل» (٢١) .

٣ - عن الامام السبط الحسن بن علي عن والده امير المؤمنين ، أنه  
كان جالساً في الرحبة والناس حوله ، فقام إليه رجل فقال له :  
«يا أمير المؤمنين ، إنك بالمكان الذي أنزلك الله ، وأبوك معذب في  
النار . فقال له : مه فضّ الله فاك ! والذي بعث محمداً بالحق نبياً ، لو شفع أبي  
في كل مذنب على وجه الارض لشفعه الله . أأبي معذب في النار وابنه قسيم  
الجنة والنار ؟ والذي بعث محمداً بالحق إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ  
أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار : نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين  
ونور ولده من الائمة . ألا إن نوره من نورنا ، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي  
عام» (٢٢) .

٤ - عن ابي الطفيل عامر بن واثلة ، قال : «قال علي عليه السلام : إن أبي حين  
حضره الموت شهد رسول الله ﷺ ، فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا  
وما فيها» (٢٣) .

٥ - عن الامام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليه السلام ،  
أنه سئل عن أبي طالب : «أكان مؤمناً ؟ فقال عليه السلام : نعم . فقيل له : إن  
هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر . فقال عليه السلام : وأعجباً كل العجب ! أيطعنون  
على أبي طالب أو على رسول الله ﷺ ؟ وقد نهى الله تعالى أن يقر مؤمنة مع  
كافر في غير آية من القرآن ، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت اسد رضي الله تعالى  
عنها من المؤمنات السابقات ، فإنها لم تنزل تحت أبي طالب حتى مات  
أبو طالب عليه السلام» (٢٤) .

٦ - عن أبي بصير عن محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال : «مات  
أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً ، وشعره في ديوانه يدل على إيمانه ،  
ثم محبته وتربيته ونصرته ، ومعاداة اعداء رسول الله ﷺ ، وموالة اوليائه ،  
وتصديقه اياه فيما جاء به من ربه ، وأمره لولديه علي وجعفر عليه السلام بأن يسلم ،

ويؤمننا بما يدعو إليه ، وأنه خير الخلق ، وأنه يدعو إلى الحق والمنهاج المستقيم ، وأنه رسول الله رب العالمين (٢٦) ، فثبت ذلك في قلوبهما ، فحين دعاهما رسول الله ﷺ أجاباه في الحال ، وما تلبثا لما قد قرره أبوهما عندهما من أمره ، فكانا يتأملان أفعال رسول الله ﷺ ، فيجدانها كلها حسنة تدعو إلى سداد ورشاد» (٢٧) .

٧- عن يونس بن نباتة عن الامام الصادق عليه السلام قال : «يايونس ، ما يقول الناس في أبي طالب ؟ قلت : جعلت فداك يقولون : هو في ضحضاح من نار يغلي منها أم رأسه . فقال : كذب اعداء الله . إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً» (٢٨) .

٨- عن درست بن أبي منصور أنه سأل أبا الحسن الاول (الامام الكاظم) عليه السلام : «أكان رسول الله ﷺ محجوباً بأبي طالب ؟ فقال : لا ، ولكنه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه . فقال : قلت : فدفع إليه الوصايا على أنه محجوج به ؟ فقال : لو كان محجوباً به ما دفع إليه الوصية . قال : قلت : فما كان حال أبي طالب ؟ قال : أقر بالنبي وبما جاء به ، ودفع إليه الوصايا ومات من يومه» (٢٩) .

٩- اخرج ابو جعفر الصدوق في الامالي باسناده عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عباس أنه سأل رجل فقال له : «يا بن عم رسول الله ، اخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً ؟ قال : وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل ؟

وقد علموا أن ابننا لا مكذب

لدينا ولا يعبأ بقليل الابطال

إن ابا طالب كان مثله كمثل اصحاب الكهف حين اسّروا الايمان واظهروا الشرك ، فأتاهم الله اجرهم مرتين» (٣٠) .

= يده ، وأقام عنده ، ثم هاجر منها إلى المدينة فقدم النبي (ص) بخير . يراجع ايمان أبي طالب ، تحقيق السيد محمد بحر العلوم : ١٤١ ، عن : الاصابة ، ت : ١١٦٦ ، وصفة الصفوة ١: ٢٠٥ ، وطبقات ابن سعد ٤: ٢٢ ، وحلية الاولياء ١: ١١٤ ، ومعجم البلدان ، مادة مؤنة .

(٢٦) اخرج الحافظ ابن حجر في الاصابة ١: ١٦٦ ، عن علي (ع) أنه لما اسلم قال له أبو طالب : «الزم ابن عمك» ، واخرج ايضاً عن عمران بن حصين أن أبا طالب قال لجعفر ابنه لما اسلم : «صل جناح ابن عمك» ، فصلى جعفر مع النبي (ص) . العلامة الدحلاني في اسنى المطالب : ٧ .

(٢٧) ايمان أبي طالب : ١٤٠ ، بأسانيد .

(٢٨) الغدير للعلامة الاميني ٣٩٣: ٧ ، عن كنز الفوائد لشيخنا الكراچكي : ٨٠ ، كتاب الحجة : ١٧ ، ضياء العالمين .

(٢٩) م . ن : ٣٩٤ ، قال الاميني : «هذه مرتبة فوق مرتبة الايمان ، فإنها مشفوعة بما سبق عن مولانا امير المؤمنين (ع) ، تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجية في وقته ، فضلاً عن بساط الايمان ، وقد بلغ ذلك من الثبوت إلى حد ظن =

= السائل أن النبي (ص) كان محجوجاً به قبل بعثته، فنفي الإمام (ع) ذلك، وأثبت ما ثبت له من الوصاية، وأنه كان خاضعاً بالابراهيمية الحنيفة، ثم رضخ للمحمدية البيضاء، فسلم الوصايا للصادق بها، وقد سبق إيمانه بالولاية العلوية الناهض بها ولده البار صلوات الله وسلامه عليه.

(٢٠) م . ن : ٣٩٦، ورواه السيد ابن معد في الحجة : ١١٥، ٩٤، وذكره غير واحد من أئمة الحديث.

(٢١) ذكر هذا الحديث ابن حجر العسقلاني الشافعي في الاصابة ١١٦: ٤، ط : مصر ١٣٢٨، وأورده أيضاً الدحلاني في أسنى المطالب : ٦، ط : مصر ١٣٠٥، وذكر أنه أخرجه الخطيب بسنده إلى أبي رافع مولى أم هانئ بنت أبي طالب (ع)، عن إيمان أبي طالب، تحقيق السيد محمد بحر العلوم : ١٣٣.

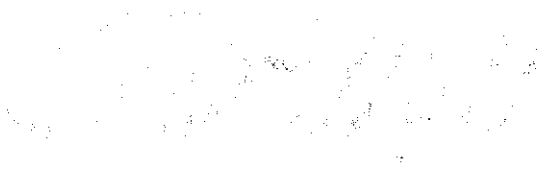
(٢٢) ذكر الحديث ابن حجر في الاصابة ١١٦: ٤، وزيني دحلان في أسنى المطالب : ٦، وروى الشيخ الاميني في القدير ٧ : ٢٦٨ عن الشيخ إبراهيم الحنبل في نهاية الطلب عن عروة الثقفي قال : «سمعت أبا طالب (ع) يقول : حدثني ابن أخي الصادق الامين - وكان والله صدوقاً - أن ربه أرسله بصلة الارحام، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان يقول اشكر ترزق، ولا تكفر تعذب»، م . ن : ١٣٥.

## ينابيع الحكمة على لسان أبي طالب (ع)

حدث الامام شمس الدين أبو علي فخار بن معد الموسوي (ت ٦٣٠ هـ) بأسانيده عن المهاجر مولى بني نوفل اليماني قال : «سمعت أبا رافع القبطي مولى النبي (ص) يقول : سمعت أبا طالب بن عبدالمطلب يقول : حدثني محمد (ص) أن ربه بعثه بصلة الرحم ، وأن يعبد الله وحده ، ولا يعبد معه غيره ، ومحمد عندي الصادق الامين» (٣١).

وبإسناد آخر عن أبي رافع قال : «سمعت أبا طالب يقول : حدثني محمد (ص) أن الله أمره بصلة الارحام ، وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره . ومحمد عندي الصدوق الامين» (٣٢).

## فنون وآداب



✽ السيد  
محمد جمال الهاشمي

خَشَعْتُ يُهْلَلُ حَبِهَا وَيَكْبُرُ  
رُوحُ تَمُوتُ عَلَيَّ وَلَاكَ وَتَحْشُرُ  
أَنْسَى نَظَرْتُ أَرَاكَ تَرْقُبُ نَظَرْتِي  
فَكَأَنَّ عَيْنِي فِي وَجُودِكَ تَنْظُرُ  
هَذَا جَمَالُكَ وَهُوَ يَغْمُرُ عَالَمِي  
حُبًّا تَذُوبُ بِهِ الْحَيَاةُ وَتَصْهَرُ  
فِي كُلِّ آوْنَةٍ أَرَاكَ بِصُورَةٍ  
تَخْفَى مَلَامِحُهَا عَلَيَّ وَتَظْهَرُ  
كَالرُّوحِ تَظْهَرُهَا الْحَيَاةُ وَإِنَّمَا  
نَامُوسُهَا بِظَهْرِهَا يَسْتَسْرُ

قسماً بحبك وهو اقدس ما به  
ازهو على كل الوجود وأفخر  
ما حاولت نجوى ولاك قريحتي  
إلا وغص شعوري المستفجر  
فإذا نطق فإن وحيك ناطق  
بفمي ، وإن أمسكت فيك أفكر  
روحي فداك ، وسر روحي كامن  
بك ، فالفدا لك منك فضل يؤثر  
زدني هوىً تزدد بذاك ذخيرتي

في النشأتين ، ومثل حبك يذخر



أبا الحسين ، وفي حسينك صورة  
فيها ملامحك الكريمة تسفر  
عفواً إذا زلّ الشعور ، فموقفي  
يعفى به زلل الشعور ويغفر  
ناجيتُ حَقِّكَ وهو نهْبُ مطامع  
محمومةٍ فيها الكرامة تهدر  
ونظرتُ روحك وهي من لاهوتها

تستعرض المتكالبين فتسخر  
وقفوا وسرت مع الخلود ، وهكذا  
تبقى الحقيقة ، والسفاسف تقبر  
ولأنت أقدرد لو اردت إمارةً

منهم ، واثبت في الجهاد وأخبر  
ولك المواقف لا يغيب شعاعها  
ابداً ، ولا أطيابها تتغور

يزهو بها بدرٌ، ويفخر خندق  
 ويشيعها أحدٌ، ويهتف خيرٌ  
 وشواهد نبوية ما كررتُ  
 في محضرٍ، إلا وفاح المحضرُ  
 وتلك أوسمةٌ إذا ما قوبلت  
 بالشمس راح جلالها يتكورُ



أتقاس فيك عصابةً، أمجادها  
 تطوى على الدس المشين وتنشرُ  
 جعلتُ من الاسلام سوقَ مطامع  
 فيها ضمائرُها تباع وتؤجرُ  
 صهرت ببودقة الغدير وأصبحت  
 نيرانها في نوره تستبلورُ  
 ما عاهدت إلا لتنفضَ عهدَها  
 فالوجه يضحك والنفوس تكشرُ  
 رفعتُ به عمد السقيفة وانزوت  
 فيها تدبر دسّها وتُقدّرُ  
 رَضيت بوصمة (من تخلف) لظخة  
 من عارها تاريخها يتدّمّرُ  
 وصفتُ لها كأس الحياة، وسامرُ  
 أحلامها، والجو زاهٍ مقمرُ  
 خمس وعشرون انطويت بها ترى

فيها حقوقك تستباح وتصبرُ



حتى إذا التاريخ ملّ نظامها  
وأثاكَ عن آثامه يستغفرُ  
القيتَ دنيا الدين يحدو ركبها  
جشع على طرق العقول يسيطرُ  
قد هذمتُ أسس الحياة عناصر  
بلغاتها معنى الحياة يُفسرُ  
الحقُّ ما يرضي المطامع ، والهدى  
ما يرتأيه الحاكم المتجبرُ  
والدين جسرٌ للحكومة فوقه  
من أيده ذوو المناصب يعبرُ



شمّرت للإصلاح ساعدَ قائدٍ  
حرٌّ عن الميدان لا يتقهقرُ  
في الحقِّ لم تأخذك سطوة باطشٍ  
أوضّف مجرمة أتت تتعذّرُ  
بددت أحلام الولاة بمنهج  
وغرّ به أقدامهم تتعثرُ  
وعزلت من لم يحو أوصاف الأولى  
سنّوا المناهج للولاة وقرّروا  
وقهرت أقدارهم بموقف حاكم  
عدل تُصدُّ به الطغاة وتُقهّرُ  
ودحرت جيش الناكثين بحملة  
علويّة فيها الفيالق تُدحرُ  
وأريت أهل الشام صولة حيدر  
والحرب ترجف حين يزحف حيدرُ

وأبدتْ حزبَ المارقين ، فلم تدعْ  
 منه سوى من شئتَ عنه تخبرُ  
 ورجعتْ توحى للحياة رسالةً  
 عصماء يذكرها الزمان فيشكرُ  
 تعلي من الجيل الجديد منائراً  
 يهدي العصور شُعاعها المتعطر  
 نهج البلاغة شِريعةً أزليةً  
 ما ضلَّ فيها السالك المتحررُ  
 ضاقتْ بحكمتها الغواة ، وأين من  
 ظلماتها هذا الصباح المسفر  
 وتلمّست في الشام مسرح غيّاها  
 فهوتْ إلى أغوارها تتحدّرُ  
 وتسبرّمتْ بالحقّ يرفع صوته  
 فيضيق منه ويستجير المنكرُ  
 ومشى أين ملجم في الصفوف وسيفه  
 ليكاد يظهر للملا ما يضمُرُ  
 نلتَ الشهادة في الصلاة ، وإنّه  
 مجدُّ به تاريخها يتبخترُ





## تقرير

تقرير السيد محمد علي التيسيري  
عن اجتماعات اللجنة الإسلامية للشؤون  
السياسية والثقافية والاجتماعية  
والعلاقات الإسلامية (١٩٩٩-٢٠٠٠)

الشيخ  
محمد علي التيسيري  
رئيس رابطة الثقافة  
والعلاقات الإسلامية

بدعوة من الأستاذ حمدي زقزوق وزير الاوقاف المصري ،  
قام وفد من الجمهورية الاسلامية مكون مني ومن آية الله  
واعظ زاده بالاشتراك في هذا المؤتمر ، وكانت كلمتي تحت عنوان  
(نحو مشروع حضاري لمستقبل الامة) ، وهو نفسه موضوع المؤتمر .  
كما كانت كلمة الشيخ واعظ زاده بعنوان (التقريب بين المذاهب  
سبيل للوحدة الاسلامية) .

وقد اكتسب المؤتمر اهمية خاصة باعتباره احتفالاً عالمياً سنوياً  
لمصر ، وبملاحظة اشتراك المسؤولين الكبار ، وكذلك باعتبار كون  
موضوعه حساساً مناسباً لهذا الظرف ، ونحن على اعتاب الالفية  
الثالثة . ومما زاده حساسية اشتراك وفود من اكثر من ٧٠ دولة فيه .

وقد تراوحت البحوث بين عميقة ومتوسطة وضعيفة خارجة عن الموضوع ، إلا إن أسلوب المناقشة كان يعطي المؤتمر جواً علمياً جيداً . وبعد الاستماع للبحوث والمداخلات صدر البيان الختامي الجامع الملحق بهذا التقرير .

هذا وكانت لنا على هامش المؤتمر لقاءات متعددة مع وزراء اوقاف كل من سورية واليمن والجزائر وليبيا ومصر ، وشخصيات متنوعة من مختلف الاقطار .

كما تمت زيارات متبادلة بيننا وبين الامام الاكبر شيخ الازهر الشيخ محمد سيد طنطاوي ، ومفتي الجمهورية المصرية الشيخ الاستاذ فريد واصل ، حيث نوقشت مختلف القضايا العلمية والدينية ، وتطرق البحث إلى المسائل السياسية والاجتماعية ، والعلاقات الثنائية بين الحوزة العلمية بقم والازهر الشريف .

كما حضرنا الاحتفال الرسمي الكبير الذي اقيم في قاعة المؤتمرات بالقاهرة حول المولد الشريف ، حيث تم تكريم الكثير من العلماء والدعاة باعطائهم جوائز تقديرية ، ومنهم سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين من لبنان ، والاستاذ عبد السلام العبادي وزير الاوقاف الاردني ، وأئمة جوامع وطلبة من مختلف المستويات .

وقد اجريت مقابلات صحفية مع مختلف الصحف ووكالات الانباء والاذاعة والتلفزة المصرية .

كما حضرنا اجتماعاً رائعاً في السفارة الايرانية ضم كبار الشخصيات ، من مثل الاستاذ حسن الشهامي الامين العام السابق لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، والاستاذ الدمرداش العقالي والاستاذ فهمي هويدي ، والاستاذة المسؤولين عن اللغة الفارسية في الجامعات المصرية ، والاستاذ احمد كمال ابو المجد وزير الاوقاف

المصري السابق وآخرين ، حيث جرت مناقشات علمية وتاريخية وفكرية رائعة في جلسة مطولة نافعة .

وفي الختام اصدر المؤتمر الوثيقتين التاليتين :

بسم الله الرحمن الرحيم

### بيان القاهرة

في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ امتنا العربية والاسلامية ، التي يخطو فيها العالم إلى عتبات قرن جديد حافل بالمتغيرات العلمية والتقنية ، كان من أقدم وأهم ما عني به المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة ، أن يجمع الصفوة والاعلام رواد الامة من العلماء والمفكرين في مختلف انحاء العالم الاسلامي ؛ ليتدارسوا الاحوال المعاصرة للامة الاسلامية ، وكيف يمكنها أن تضع اقدامها بثبات وهي تخطو مع العالم كله إلى القرن الجديد ، وذلك خلال اجتماعهم في المؤتمر الحادي عشر للمجلس .

وكانت رؤية مصر في ذلك - والتي حددتها كلمات الرئيس مبارك في خطابه إلى الوفود المشاركة في المؤتمر ، والقادمة من اكثر من سبعين دولة ومنظمة اسلامية من مختلف انحاء العالم - تدعو إلى ضرورة الانتباه إلى مجموعة من الامور ذات الاهمية البالغة ، في تحديد ما ينبغي أن تعنى به الامة الاسلامية في هذه الفترة الحاسمة ، وهي تدرس مشروعاتها الحضارية للنهضة .

أولاً: أن يدرك المسلمون جيداً أنهم ليسوا جزراً منعزلة عن هذا العالم الذي يعيشون فيه ، بل هم منه يتأثرون به ويؤثرون فيه بطريق مباشر وغير مباشر .

ثانياً: أن عصر العولمة هو عصر التكتلات الاقتصادية ، ولا مفر أمام المسلمين من مواجهة هذه الحقيقة واتخاذ ما يناسبهم لمواجهتها .

ثالثاً: أن المشاكل المتماثلة والظروف المتشابهة في احوال العالم الاسلامي ، تؤكد أن التنمية الشاملة بجانبها المادي والروحي ، هي الطريق الأوحده امام المسلمين للخروج من المأزق الحضاري الذي يعيشون فيه .

وقد اثارت كلمات الرئيس امام الوفود المشاركة مجموعة من التساؤلات التي فرضت نفسها على المداخلات ، وعلى ما دار في جلسات المؤتمر من بحوث ومناقشات .  
وكان من أبرز هذه التساؤلات :

أولاً: هل المسلمون في عالمنا المعاصر أقل من غيرهم في القدرات والمواهب ، حتى يكون هذا هو سبب ما هم فيه من عجز وتخلف ؟

ثانياً: ألا يزال للمسلمين دور يمكن أن يؤديه لأنفسهم وللعالم اليوم ؟ وهل ما يشاركون به الآن يتناسب وامكاناتهم المادية والبشرية والفكرية ؟

وثالثاً: إذا كانت للمسلمين في ماضيهم العريق إنجازات وإسهامات علمية وحضارية كبرى ، فلماذا انحدروا إلى ما هم فيه اليوم من عجز وتخلف ؟ وما السبيل الآمن للخروج من هذا المأزق ، واجتياز المسافة الهائلة بينهم وبين العالم الآخر ؟ وكيف السبيل أيضاً إلى إعادة ترتيب البيت الاسلامي بما يحقق اهداف الامة ، ويتفق ومعطيات عقيدتها وتاريخها وما انجزته في ماضيها المجيد ؟

وبروح واعية ومتوثبة ، وباصرار على ارتياد الطريق والبحث عن مخرج ، كانت المداولات والبحوث والكلمات التي شارك بها اعضاء الوفود ، تعبيراً عن احساس ضخم بحجم الازمة القائمة في انحاء العالم الاسلامي .

وكانت كذلك تعبيراً عن ايمان فياض بضرورة الوصول إلى طريق

للخلاص ، مما انعكس في التوصيات التي اختتم بها المؤتمر اعماله ، والتي حددت معالم واضحة لكيفية خلاص الامة الاسلامية مما تشكو منه اليوم

وكان من ابرز ما اجمع عليه المشاركون :

أولاً : ضرورة استعادة الوعي بقوانين الله وسننه في اسباب قيام الدولة وسقوطها ، وازدهار الحضارات واندثارها ، حتى يمكن قياس الواقع الاسلامي عليها ، وتعديل مساراته وتصحيح أخطائه في ضوءها .

ثانياً : كان الاجماع على ضرورة العمل على استعادة الامة وحدتها وتضامنها ، ورأب كل الصدوع التي اعجزتها وبددت طاقاتها واطمعت اعداءها فيها .

وقد كان الاجماع على هذا المطلب تعبيراً عن احساس الأمة الاسلامية جميعها ، بمخاطر ما سببه لها التفرق والاختلاف من عجز وضعف وتخلف ، نأمل من ولاة أمرها أن يخلصوها منه .

ثالثاً : كان من علامات وضوح الرؤية المبشرة بإمكانية تحقيق الامل في النهضة ، ذلك الارتقاء فيما قُدم من بحوث ، وما حدث في جلسات المؤتمر من مداخلات . ذلك الارتقاء فوق النزعات الاقليمية والرؤى المحلية الضيقة ، واستشراف آفاق مستقبل يستعيد به المسلمون صورة أمتهم زمن وحدتها وعزتها وانتصاراتها .

وإذا كانت المؤتمرات العشرة السابقة التي عقدها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، قد ناقشت قضايا وموضوعات عنيت بعرض رسالة الاسلام ، وعطاء الحضاري ، كما عنيت بابرار عطاء الاديان لخدمة الانسان ، تأكيداً للدور الذي يصنعه الدين في حماية الانسان من نفسه ، ومن ضعفه ، وحماية الانسانية جميعها من مخاطر الاندفاع وراء الفكر المادي الذي يفسح المجال امام العنف والانانية ، والرغبة

في الاستعلاء والسيطرة والتجبر ، كما عنيت تلك المؤتمرات كذلك - إلى حد كبير - بالأمور العَقْدِيَّة والفكرية وقضايا الحوار بين الأديان والحضارات ، فإن المؤتمر الحادي عشر لهذا العام كان متجهاً إلى الواقع الإسلامي على نحو عملي ، تتخذ فيه الخطوات لإخراجه من أزمته بتوصيات ومقررات عملية يمكن تنفيذها . وبذلك تكون تلك هي الخطوة العملية الأولى على طريق نهضة حقيقية لعالمنا الإسلامي ، حتى يحتل مكانه ومكانته اللائقة به على خريطة العالم في القرن الجديد ، وبذلك يصبح العالم الإسلامي أيضاً مؤهلاً للقيام بدور فعال ، يسهم به في صنع مستقبل آمن للبشرية تنعم فيه بالسلام والاستقرار .

وفي ختام هذا البيان يصبح من واجبنا جميعاً أن نبشر بهذا التوجه الجديد نحو الواقعية في العمل ، بعيداً عن الشعارات الرنانة والكلمات الجوفاء التي لا تصنع خيراً ولا تدفع شراً .

ولهذا فإن ما نرجوه من وسائل الاعلام على اختلاف أنواعها ، هو التركيز على مضامين هذه التوصيات ، وإيصالها إلى الجماهير بكل السبل ، حتى تصبح منهج حياة لأفراد الأمة ومؤسساتها المختلفة .

كما نطالب العلماء والمفكرين وقادة الرأي في كل المواقع في عالمنا الإسلامي ، أن يؤكدوا هذا التوجه الجديد في معالجة قضايا الأمة بواقعية ؛ لكي يصبح هذا الاتجاه تياراً ثقافياً عاماً لدى الشعوب الإسلامية ، وبذلك نضمن أن ما بذله المجتمعون في هذا المؤتمر من جهد ، وما قدموه من فكر ، أصبح سلوكاً وتطبيقاً لأمور الحياة .

والأمل الكبير أيضاً في أن تكون الأمة على مستوى المسؤولية للقيام بدورها ، في تحقيق التنمية الشاملة على أرضها ، والمشاركة بفاعلية في تحقيق الأمن والسلام والاستقرار في عالمنا المعاصر .

والله ولي التوفيق

### التوصيات

استطاع المسلمون - انطلاقاً من تعاليم دينهم - بناء حضارة مزدهرة ظلت تشع نورها على الآفاق قروناً متطاولة ، وقد حاول الاستعمار القضاء على هويتها ، ولكنها بما تملك من عقيدة وحضارة وتاريخ استطاعت أن تحافظ على كيانها ووجودها . ولكن مشكلات ما بعد الاستعمار انهكت قواها ، فانشغلت بها وبالعديد من القضايا الجانبية التي غطت على اهتماماتها التنموية ، فلم تدعها تلتفت إلى بناء نفسها بناء حضارياً شاملاً ، وأدى ذلك الوضع إلى توقف مسيرتها الحضارية ، وحدث خلل واضطراب في توجهاتها ومحاولاتها للخروج من هذا المأزق الحضاري ، وهذا يعني افتقار الأمة في مجموعها لخطة عملية واضحة المعالم ، محددة الأهداف ، تكون قابلة للتنفيذ لا تتجاهل الواقع ، ولا تغرق في الخيال وتحافظ على الهوية الحضارية للأمة ، ولا تعزلها عن عالمنا المعاصر .

وهذا ما دعا وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية إلى عقد المؤتمر العام الحادي عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية تحت عنوان :

نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي في مدينة القاهرة في الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ / ٢٢ - ٢٥ حزيران ١٩٩٩ م .  
تمت الرئاسة الشرفية لفضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر الاستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي .

وقد رأس المؤتمر السيد وزير الاوقاف رئيس المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية الاستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق .

كما شارك في المؤتمر ممثلون عن الدول والمنظمات والهيئات

التالية :

### أولاً - الدول العربية

- ١ - الأردن .
- ٢ - اريتريا .
- ٣ - الامارات العربية المتحدة .
- ٤ - البحرين .
- ٥ - تشاد .
- ٦ - تونس .
- ٧ - الجزائر .
- ٨ - السعودية .
- ٩ - السودان .
- ١٠ - سوريا .
- ١١ - العراق .
- ١٢ - عمان .
- ١٣ - فلسطين .
- ١٤ - قطر .
- ١٥ - الكويت .
- ١٦ - لبنان .
- ١٧ - ليبيا .
- ١٨ - مصر .
- ١٩ - المغرب .
- ٢٠ - موريتانيا .
- ٢١ - اليمن .

### ثانياً - الدول الإفريقية

- ١ - اثيوبيا .
- ٢ - اوغندا .
- ٣ - بوركينافاسو .
- ٤ - الجابون .
- ٥ - جنوب افريقيا .
- ٦ - زيمبابوي .
- ٧ - السنغال .
- ٨ - الكونغو برازافيل .
- ٩ - الكونغو الديمقراطية .
- ١٠ - كينيا .
- ١١ - مالي .
- ١٢ - نيجيريا .

### ثالثاً - الدول الآسيوية

- ١ - أذربيجان .
- ٢ - أوزبكستان .
- ٣ - ايران .
- ٤ - باكستان .
- ٥ - تايلاند .
- ٦ - سريلانكا .
- ٧ - سنغافورة .
- ٨ - الصين .
- ٩ - قازاخستان .
- ١٠ - المالديف .
- ١١ - ماليزيا .
- ١٢ - الهند .

### رابعاً - الدول الأوروبية

- ١ - إسبانيا .
- ٢ - ألبانيا .
- ٣ - ألمانيا .
- ٤ - إيطاليا .
- ٥ - بريطانيا .
- ٦ - بلجيكا .
- ٧ - بلغاريا .
- ٨ - البوسنة والهرسك .
- ٩ - تركيا .
- ١٠ - روسيا .
- ١١ - السويد .
- ١٢ - سويسرا .
- ١٣ - فرنسا .
- ١٤ - النمسا .
- ١٥ - هولندا .
- ١٦ - اليونان .

### خامساً - الأمريكيتين

- ١ - البرازيل .
- ٢ - كندا .
- ٣ - اميركا .



سادساً: المنظمات والهيئات الإسلامية العالمية :

- ١ - منظمة المؤتمر الاسلامي .
  - ٢ - المجلس الاسلامي العالمي للدعوة والإغاثة .
  - ٣ - رابطة العالم الاسلامي .
  - ٤ - جامعة الدول العربية .
  - ٥ - منظمة الاسيسكو .
  - ٦ - اتحاد مسلمي اميركا .
  - ٧ - مؤتمر العالم الاسلامي .
  - ٨ - اللجنة العالمية للمرأة والطفل - لندن .
- وقد افتتح المؤتمر بكلمة رئيس جمهورية مصر العربية ، ألقاها نيابة عنه الاستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .
- وتحدث في الجلسة الافتتاحية فضيلة الامام الاكبر الاستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الازهر ، وقدااسة البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية ، وبطريك الكرازة المرقسية ، والاستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الاوقاف ورئيس المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، والاستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق المقرر العام للمؤتمر .
- كما تحدث باسم الوفود المشاركة الاستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ، رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) بالمملكة الاردنية الهاشمية .
- وتابع المؤتمر جلساته حيث تليت ونوقشت البحوث المقدمة من السادة المشاركين ، وبلغ عددها سبعين بحثاً باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، دارت حول المحاور الرئيسية الآتية :
- \* المحور الأول : المجال الثقافي .

\* المحور الثاني : المجال الاجتماعي .

\* المحور الثالث : المجال الاقتصادي .

وقد شكل المؤتمر لجنة لصياغة توصياته برئاسة الاستاذ الدكتور صوفي ابو طالب ، وعضوية ممثلين عن الوفود المشاركة لوضع مشروع التوصيات من واقع كلمة السيد رئيس الجمهورية ، والبحوث التي طرحت وما أسفرت عنه المناقشات . وقد انتهت اللجنة إلى مشروع التوصيات التالية :

### أولاً : في المجال الثقافي

#### ١ - منهاج العمل :

تعرضت الثقافة الاسلامية لعدة تيارات فكرية جانبية ، اهمها التمسك بالحرفية المطلقة للنصوص ، وسوء فهم الايمان بالغيب ، فضلاً عن الغلو والتطرف ، مما كان له أكبر الأثر في تمزق وحدة الامة ، وضعفها العسكري ، وتخلفها الاقتصادي ، وتوقف البحث العلمي والتكنولوجي . من هنا كان التمسك بالوسطية الاسلامية هو المخرج الأمين الذي تنهض به الامة من كبوتها ، فتستعيد وحدتها وقدرتها على التقدم ، على نحو ما كانت عليه ايام الرسول والراشدين وعصور ازدهار الثقافة الاسلامية .

وفي هذا الصدد يوصي المؤتمر بما يلي :

أ - العمل على استعادة وعي الأمة لسنن الله وقوانينه في قيام الدول وسقوطها ، وازدهار الحضارات واندثارها ، لتكون الهادي لها في جميع المجالات .

ب - اعتماد الوسطية الاسلامية منهاجاً للفكر والعمل .

ج - يؤكد المؤتمر على أن الحضارة الاسلامية قادرة على مواكبة التقدم الحضاري المعاصر ، بل وتزيد عليه في الجانب الايماني

والاخلاقي الذي لا غنى للانسانية عنه .

د - كما يؤكد على استمرار دور الثقافة الاسلامية في تجميع وتوحيد الامة ، على الرغم من اختلاف ابنائها وتفرقهم في دول عديدة .

هـ - ضرورة العمل على تطبيق القواعد والنظم التي تضمنتها الحضارة الاسلامية ، فيما يتصل بحقوق الانسان وواجباته ، وإعمال مبدأ المساواة ، والعمل على إلغاء ما تسرب إليها من قيود أفرزتها ظروف الاستعمار الغربي والفكر الماركسي .

٢ - تعتبر الشريعة الاسلامية من خصائص الثقافة الاسلامية .  
ويوصي المؤتمر بما يلي :

أ - مضاعفة الاهتمام بدراسة الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي ، في المؤسسات العلمية والتعليمية ، بزيادة عدد المقررات الشرعية ، ودراسة القوانين الوضعية دراسة مقارنة ، وصولاً إلى التعرف على أوجه الاختلاف والاتفاق .

ب - زيادة الاهتمام بدراسة علوم القرآن والسنة النبوية الشريفة .  
مما يتيح للمسلم غير المتخصص ثقافة اسلامية مناسبة .

ج - تعميق التعاون والتنسيق بين مختلف المجامع والهيئات التي تهتم بالشريعة الاسلامية ، لتشجيع الاجتهاد الفردي والجماعي لاستنباط حلول لمشكلات الحياة المعاصرة ، حفاظاً على احكام الشريعة في مواجهة العولمة القانونية .

د - ضرورة العمل على التقريب بين المذاهب الاسلامية ، وتحديد مرجعية يتفق عليها فيما يظهر من اختلاف في الرأي .

هـ - تبسيط اجراءات التقاضي أمام المحاكم ، واتخاذ الوسائل المناسبة لانشاء محكمة العدل الاسلامية ، تمشياً مع ازدياد الالتجاء إلى التحكيم الدولي .

٣- إن اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) هي روح الامة الاسلامية وعنوان هويتها ، وهمزة الوصل بين الاجيال المتعاقبة ، ووسيلة الحفاظ على التراث الثقافي والحضاري للامة الاسلامية ، ولذلك يوصي المؤتمر :

أ - العمل على تحفيظ وتعليم التلاميذ في سن مبكرة لبعض اجزاء القرآن الكريم ، في جميع مراحل التعليم المدني والديني ، لضبط لغتهم واستقامة ألسنتهم .

ب - العمل على وقف زحف العامية على الفصحى في اجهزة الاعلام المقروءة والمرئية والمسموعة .

ج - حسن اعداد اختيار المعلمين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية .

د - دعم مكانة اللغة العربية امام مزاحمة اللغات الاجنبية في مدارس التعليم ، مع الزام هذه المدارس بالعناية بتدريس اللغة العربية ، فضلاً عن الترية الوطنية والتاريخ الاسلامي حفاظاً على الهوية الثقافية لابنائنا .

هـ - مناشدة العالم العربي العمل على تعريب المصطلحات الاجنبية ، وتدريس العلوم التجريبية كالطب والهندسة وغيرها باللغة العربية ، وباللغات الاقليمية لبقية دول العالم الاسلامي .

٤ - في مواجهة الغزو الثقافي المعاصر للدول الاسلامية ، الذي يزاحم قيمنا ويقاليدنا بما يتنافى مع عقيدتنا الدينية وتقاليدينا الحضارية ، ويحاول الإساءة إلى ثوابت الامة ومقدساتها ، يدعو المؤتمر إلى :

أ - تعميق وتدعيم مفاهيم الحوار بين الاديان ، لاعلاء مكانة القيم الدينية والاخلاقية ، لمثل الفراغ الروحي والاخلاقي الذي خلفته العلمانية وخلفه الإلحاد .

ب - جعل الدين مادة دراسية اجبارية في جميع مراحل التعليم المختلفة ، تضم درجاته إلى المجموع الكلي لدرجات الامتحان .

ج - اعتماد الثقافة الاسلامية مادة اساسية في جميع المدارس والمعاهد الاجنبية والكليات العملية في العالم الاسلامي .

د - إفساح المجال الكافي في جميع وسائل الاعلام المختلفة للثقافة الدينية ، والتأكيد على حسن اختيار الموضوعات والبرامج التي تؤكد هوية الامة ، وتنشئ اجيالاً ايجابية الفكر والسلوك ، وتحميها من مخاطر التأثير بالبرامج الاجنبية .

هـ - يدعو المؤتمر وسائل الاعلام في العالم الاسلامي ، وخاصة القنوات الفضائية وشبكات الانترنت ، للتنسيق فيما بينها لبث ونشر الثقافة الاسلامية الصحيحة في العالم الخارجي باللغة العربية ، وباللغات الاجنبية الكبرى ؛ لترسيخ المفاهيم الاسلامية الصحيحة للمسلمين المقيمين بها ، ولتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الاسلام .

و - تنفيذ (الاستراتيجية الثقافية واستراتيجية الدعوة الاسلامية) التي وافقت عليها مؤتمرات القمة في السنغال والمغرب وطهران .

ز - تدعيم نشاط الايسيسكو وغيرها من المؤسسات والمنظمات الثقافية الاسلامية ، ودعم الجامعات الاسلامية علمياً ومادياً .

ح - يوصي المؤتمر بالاستجابة للرغبات التي ابدتها الجاليات الاسلامية في البلاد الاسيوية والاوربية والاميركية ، مثل فرنسا وبلجيكا وايطاليا وانجلترا والولايات المتحدة الاميركية واليابان وغيرها ، في انشاء فروع بها للمؤسسات التعليمية والثقافية الاسلامية ، مثل الازهر الشريف وغيره ، وايفاد مبعوثين بصفة مستمرة فضلاً عن تدعيم الموجود منها .

ط - العمل على إحياء العادات والتقاليد والسنن الاسلامية ، وتنقيتها مما دخل عليها من بدع وفدت علينا من الشرق أو الغرب .

٥ - لتضييق الفجوة الحضارية بين العالم الاسلامي وبين الغرب  
يوصي المؤتمر بما يلي :

أ - تجميع المتخصصين من العلماء في مختلف فروع العلوم  
التجريبية ، والتقنيات المعاصرة في مراكز بحوث علمية تتوحد فيها  
الجهود دون التقيد بالجنسية ، وتوفير الامكانيات اللازمة لها للبحث  
والابتكار .

ب - الإكثار من إيفاد البعثات الدراسية إلى البلاد المتقدمة ؛ لكسب  
الخبرة والوقوف على أحدث معطيات العلم .

ج - تخصيص هيئة أو جهة تكون مهمتها ترجمة ما توصل إليه  
العلماء في الخارج أولاً بأول ، والإفادة منه في جامعاتنا ومعاملنا  
ومصانعنا .

د - تطوير برامج الدراسة ، والارتفاع بمستوى القائمين بالتدريس  
في الجامعات والمعاهد العليا ، وبصفة خاصة في مجالات البحث  
العلمي والتقني .

### ثانياً - المحور الاجتماعي

١ - من أبرز خصائص الحضارة الاسلامية تكوين الاسرة على  
اساس زواج شرعي ، قوامه المودة والرحمة وحفظ الحقوق الخاصة  
بكل افرادها ، وفقاً لاحكام الشريعة الاسلامية . وفي هذا الاطار  
يوصي المؤتمر بما يلي :

أ - تذليل الصعوبات التي تعترض طريق الزواج أمام الشباب .  
ب - وضع النظم والاجراءات الكفيلة بعدم تفاقم الخلافات الزوجية ،  
وحلها بأيسر السبل في الاطار الشرعي ، سواء عن طريق تيسير  
اجراءات التقاضي ، أو اللجوء إلى التحكيم ، أو تدبير مصرف مالي  
تحصل منه الزوجة والاولاد على ما يلزمهم من نفقة شرعية .

ج- بذل أقصى الجهد لمحاربة ما تسرب إلى المجتمعات الإسلامية من عادات مردولة ، تتمثل في حرية العلاقة بين الرجل والمرأة خارج اطار العلاقات الزوجية المشروعة ، تحت مسميات متعددة .

٢- من خصائص الحضارة الإسلامية قيامها على التكافل الاجتماعي إعمالاً لقوله تعالى : ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾<sup>(١)</sup> .

(١) المعارج: ٢٤ - ٢٥ .

وقوله ﷺ : «في المال حق سوى الزكاة» .

ويظهر أثر ذلك في الفكر الإسلامي الذي يوفق بين صالح الفرد وصالح الجماعة ، بالاعتراف للأفراد بحقوق لها وظائف اجتماعية . ولذلك يوصي المؤتمر :

أ - أن تقوم الدولة بتوفير فرصة عمل لكل قادر عليه ومؤهل له ، بما يحمي المجتمعات من أخطار البطالة .

ب - توفير حد الكفاية لغير القادر على العمل لعذر شرعي له ولمن يعول .

٢ - الدولة في الإسلام مؤسسة راشدة تتدخل بقدر لتحقيق التوازن بين صالح الفرد وصالح الجماعة . من أجل ذلك يوصي المؤتمر :

أ - أن تتولى الدولة بالمجان توفير الخدمات التعليمية والصحية ، ورعاية المسنين والمعاقين واللقطاء واليتامى .

ب - أن تفسح الطريق أمام المؤسسات والمنظمات والجمعيات الأهلية ، للقيام بدورها في مساعدة الدولة في أداء الخدمات الاجتماعية المتنوعة . ويعتبر الوقف الخيري من اسبق النظم التي اقرتها الشريعة الإسلامية لأداء هذه المهام .

ج - البحث عن صيغ لكيفية إفادة المجتمع الإسلامي من أموال الزكاة ، سواء في صورة صناديق ، أو مؤسسات لجمع الزكاة تحت

إشراف الدولة ، أو تخصيص جهة حكومية للقيام بهذه المهمة ، مع الالتزام بإنفاقها في مصارفها الشرعية .

د - إلتزام الدولة والقطاع الخاص بتوفير حد أدنى للأجور يتفق مع مستوى المعيشة ويحقق كرامة الانسان .

٤ - التزاماً بمبدأ التضامن بين الدول الاسلامية ، يوصي المؤتمر بأن يتم التنسيق بين صناديق التنمية داخل العالم الاسلامي ، لتخصيص جزء من اموالها يستخدم في حالات الإغاثة والكوارث الطبيعية .

٥ - إعمالاً لمنهج الاسلام في إقامة العلاقة بين الرجل والمرأة ، على اساس المساواة بينهما في الحقوق والواجبات ، الذي أوضحته الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ (٢) .

(٢) البقرة: ٢٢٨.

وقول الرسول ﷺ : «النساء شقائق الرجال» .

وتبعاً لظروف كل دولة يوصي المؤتمر بما يلي :

أ - إفساح المجال أمام المرأة لممارسة الحقوق السياسية بجانب حقوقها المدنية .

ب - إزالة القيود التي تعترض طريق المرأة لممارسة حقها في العمل ، وذلك بما يتفق مع طبيعتها البدنية وواجباتها الاسرية .

### ثالثاً - المحور الاقتصادي

في ظل سيطرة العولمة ذات الهوية الرأسمالية ، يشعر المؤتمر بالحاجة القصوى إلى طريق اقتصادي يحمي مصالح الدولة الزامية ، ويكفل حقوق الفقراء ، وهذا ما يقدمه الاسلام في رؤيته الاقتصادية التي تتمثل في الجمع بين الحافز الفردي ، وبين مصلحة المجتمع ، حيث يعتبر الاسلام الطرفين شريكين في المسؤولية وصناعة القرار



الاقتصادي ، ولا يقتصر على اقتصاديات السوق وحدها ، كما تتبنى الرؤية الاسلامية الجمع بين معدل النمو الاقتصادي ، وبين العدالة الاجتماعية .

وتأسيساً على ذلك يوصي المؤتمر بما يلي :

١ - تبني المشروع الاقتصادي الاسلامي باعتباره النموذج الامثل للطريق الثالث ، الذي تكثر اجتهادات المفكرين والساسة حوله ويدعون إليه .

٢ - بما أن العالم المعاصر تسوده الكيانات الاقتصادية الكبرى ، حيث لا مكان ولا دور للكيانات الصغيرة ، فلذلك يوصي المؤتمر بأن يؤسس المشروع الاقتصادي للنهضة الحضارية للعالم الاسلامي ، على تكتل اقتصادي كبير يجمع كل دول العالم الاسلامي ، كما يرى المؤتمر أن السوق الاسلامية المشتركة هي الشكل الافضل لبدء التكامل الاقتصادي للعالم الاسلامي ، وهذا ما جرى تقريره في مؤتمر القمة الاسلامية بطهران في عام ١٩٩٨ م .

٣ - العنصر البشري هو العامل الاساسي في التقدم الاقتصادي ، فلذلك يوصي المؤتمر بما يلي :

أ - اعتماد التشريعات والمبادئ الاسلامية المنظمة لحقوق العنصر البشري في التعليم والصحة والأجور وغيرها من الحقوق .

ب - العمل على الحد من ظاهرة هجرة العقول من العالم الاسلامي ، والعمل ايضاً على استعادة من هاجر منها بتهيئة المناخ الجاذب لهم داخل البلاد الاسلامية .

ج - تيسير انتقال العنصر البشري داخل حدود الوطن الاسلامي .

٤ - توافر رؤوس الاموال شرط اساسي للنهضة الاقتصادية ، فلذلك يوصي المؤتمر بما يلي :

أ - العمل على استيعاب رؤوس الاموال المستثمرة خارج الوطن

الاسلامي ، وذلك من خلال سياسات اقتصادية صحيحة ، منها إقامة مشروعات مشتركة وغيرها .

ب - العمل على تشجيع الاستثمارات في مجالات التقدم التكنولوجي ، باعتبارها الآن من أهم اسباب التقدم .

ج - التنسيق بين صناديق التنمية والاستثمار الموجودة في بعض البلاد الاسلامية ، بما يتيح الفرصة لتمويل الانشطة التنموية في البلاد الاسلامية الفقيرة .

٥ - التبادل التجاري بين الدول الاسلامية ضعيف للغاية ، فهذه الدول تتبادل تجارياً فيما بينها بنسبة اقل من ١٠ ٪ من مجموع تجارتها الدولية ، وهذا من اسباب ضعفها الاقتصادي . والمؤتمر وهو يناشد العالم الاسلامي أن يعمل على علاج هذا الضعف الاقتصادي ، يوصي بما يلي :

أ - العمل على انشاء مركز معلومات يتيح البيانات الاقتصادية عن العالم الاسلامي لكل الافراد والهيئات العاملة في مجال التبادل الدولي .  
ب - العمل على انشاء موقع على الانترنت للبيانات الاقتصادية عن الدول الاسلامية .

ج - أن تعمل المؤسسات المالية في العالم الاسلامي على تشجيع تمويل التبادل بين دول العالم الاسلامي .

د - تنمية الوعي الاقتصادي في البلاد الاسلامية ، سواء في مجال الانتاج أو الاستهلاك .

٦ - استثماراً للثقة الدينية في المصرفية الاسلامية يوصي المؤتمر بما يلي :

أ - الاستفادة من الامكانيات المالية المتاحة في المصارف الاسلامية في تمويل أنشطة انتاجية .

ب - تمويل التجارة البينية بين الدول الاسلامية .

ج - الاستفادة من حصيلة صناديق الزكاة لهذه المصارف في تمويل المشروعات الخدمية كالتعليم والصحة وغيرها .

٧ - يوصي المؤتمر بعقد مؤتمر اقتصادي يشارك فيه كبار المفكرين الاسلاميين ، وعلماء الاقتصاد والاجتماع ، ورجال الاعمال والهيئات الاسلامية المعنية بالشؤون الاسلامية ؛ لوضع خطة عمل تفصيلية للتنمية الاقتصادية في العالم الاسلامي ، تعتمد على حسن استغلال موارده الاقتصادية ، في ضوء وسطية الاسلام القائمة على التكافل الاجتماعي ، والتي تمثل النموذج الامثل لفكرة الطريق الثالث التي يتحدث عنها العالم اليوم ، ويقوم هذا المؤتمر الاقتصادي بوضع الخطط التفصيلية لتنفيذ التوصيات الاقتصادية سالفة الذكر ، واقتراح الهيكل التنظيمي للتكامل الاقتصادي المنشود .

### توصيات عامة

انطلاقاً من وحدة الامة الاسلامية وتضامن ابنائها فيما بينهم ، يوصي المؤتمر بما يلي :

١ - يدعو المؤتمر الدول الاسلامية كافة الى بذل اقصى الجهود الدبلوماسية لتمكين الشعب الفلسطيني من الحصول على حقوقه المشروعة ، وعلى رأسها حقه في تقرير مصيره ، وإقامة دولته ، وعاصمتها القدس . الامر الذي يقتضي ايقاف بناء المستوطنات ، وتغيير الطبيعة الجغرافية للارض الفلسطينية المحتلة وخاصة القدس ، كما يقتضي وقف اجراءات طرد وتهجير الفلسطينيين من ديارهم ، وتعويضهم عما لحق بهم من اضرار .

٢ - يسجل المؤتمر بالتقدير الجهود الدولية التي بذلت لوقف الابداء العنصرية لآبناء كوسوفا ، ويناشد المجتمع الدولي بذل الجهود اللازمة لسرعة عودة آبناء كوسوفا إلى وطنهم ، وتمكينهم من

حق تقرير مصيرهم ، كما يناشد الدول الاسلامية تقديم المزيد من الدعم المادي لمساعدة هؤلاء الاخوة على اصلاح ما أفسدته الحرب في احوالهم .

٣ - يناشد المؤتمر دولتي باكستان والهند العمل على عدم تطوير النزاع بينهما ، بما قد يؤدي إلى حرب شاملة ، وحثهما على بذل الجهود لحل الخلاف بينهما حول قضية كشمير بالطرق والوسائل السلمية .

٤ - يوصي المؤتمر الدول الاسلامية بمضاعفة جهودها الدبلوماسية مع الدول التي بها اقلية اسلامية ، لتحقيق مساواة المسلمين فيها بغيرهم ، وتطبيق مبادئ حقوق الانسان بالنسبة لهم ، ومنها حقهم في حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية ، وحقهم في الحفاظ على هويتهم الثقافية الاسلامية .

٥ - يناشد المؤتمر الدول الاسلامية ضرورة الالتزام باحكام الشريعة الاسلامية ، في فض ما يثور بينها من منازعات بالطرق السلمية إعمالاً لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (٣) .

(٣) الحجرات : ٩ .

ويذكر بهذه المناسبة بما سبقت الدعوة إليه من إنشاء محكمة عدل اسلامية .

٦ - يستحث المؤتمر جهود المجتمع الدولي لتنفيذ قرارات مجلس الأمن ، الخاصة بانسحاب اسرائيل من الجولان ومن جنوب لبنان ، كما يندد المؤتمر بالغارات الوحشية المتكررة التي تشنها اسرائيل على جنوب لبنان ، خاصة الهجوم الاخير الذي استهدف السكان المدنيين والبنية الاساسية للبنان .

وبالله التوفيق

استطلاع

www.alukah.net

اعداد  
قسم الارشيف

# الأسلام والمسيحيون في الصين

٢

## أقلية «توي» المسلمة في الصين

بدأ تاريخ الالف الذهبي للمسلمين في الصين منذ عام ٦٥١ م (٣١ هـ) ، حينما عرض المسلمون العرب الدين على الأمة في الصين ، وانتهى سنة ١٦٤٤ م (١٠٥٤ هـ) ، عندما حلت في السلطة سلالة تشينغ [Qing Dunasty] بين عامي ١٦٤٤ و ١٩١١ م محل سلالة مينغ [Ming] . وخلال هذه الفترة التي استمرت ٩٩٣ عاماً ، حكم الصين أسرتانغ Tang (٦١٨ - ٩٠٦ م) ، وسونغ Song (٩٦٠ - ١٢٧٩ م) ، ويوان Yuan (١٢٧٩ - ١٣٦٨ م) ، ومينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤ م).

وعبر هذه القرون من الزمن تبدلت الاقلية المسلمة المهاجرة في عهد تانغ وسونغ ، إلى اقلية مزدهرة وكبيرة على عهد مينغ ويوان ،

أطلق عليها اسم اقلية هوي ، وتألفت من العرب والاييرانيين ومسلمي آسيا الوسطى ، وزوجاتهم اللواتي هن من أصل صيني ، مما اعتبر هذا التجمع الديني من اندر التجمعات التي صهرت في بوتقة واحدة بفضل التعاليم الاسلامية .

وقد دخل مع الاسلام إلى الصين في عهد تانغ الدين اليهودي والمانوي والنسطوري والزرادشتي ، لكن الدين الوحيد الذي استمر حتى نهاية سلالة مينغ هو الدين الاسلامي ، الذي ازدهر واشتد عوده ليفرض نفسه كأحد الاديان التي اعتنقها اهل الصين ، فيما تلاشت الاديان الاخرى ولم يبق لها باقية في القرن الرابع عشر ، مع أن البوذية دخلت الصين في القرن الميلادي الاول واصبحت ثاني الاديان الكبيرة فيها ، وكان لها رؤية سلبية للحقيقة والحياة الدنيوية ولا تحتوي على القوانين التي يحتاج إليها الصينيون .

وللأسف فإن الالفية الذهبية الاسلامية في الصين واجهت نهاية مظلمة سيئة ، حيث جرت مذابح على المسلمين في عهد سلالة تشينغ ، وقتل ما لا يقل عن (١٢) مليون مسلم طوال (٢٦٧) عاماً من هذا العهد .

وبعد سقوط هذه السلسلة تأسست أول سلطة جمهورية في الصين سنة ١٩١٢ م ، وحظيت الدولة الجديدة بدعم كل المسلمين الصينيين ، وبدأت حركة احياء جديدة للاسلام استمرت في الصين وتايوان حتى يومنا هذا .

#### الاسلام في عهد تانغ :

جاء في كتاب (تاريخ تانغ الجديد) أن اوائل المبلغين المسلمين العرب الذين بعثهم الخليفة الثالث (بين ٦٤٤ - ٦٥٥ م) ، وصلوا سنة

٦٥١ م (٣١ هـ) إلى شانغان [Changan] عاصمة سلسلة تانغ ، التي يطلق عليها حالياً مدينة سيان [Xian] ، أي دخل المسلمون الصين بعد (٢١) عاماً على وفاة النبي ﷺ ، وقبل مئة عام من تخلي الصين عن آسيا الوسطى للخلفاء العباسيين في معركة تالاس [Talas] سنة ٧٥١ م . ولم يدخل الدين الجديد إلى الشرق الأدنى بواسطة السيف ، وإنما عن طريق الفنانين والعلماء والتجار والسياسيين العرب ، الذين لم يكن لهم أي منصب رسمي ديني ، وكان عددهم قليل جداً ، ولم يمارسوا كثير ضغط على المجتمع الصيني الذي كان يخضع حينذاك لافكار كونفوشيوس .

#### القاعدة الاولى للمسلمين في الشمال الغربي :

لم تمض ست سنوات على معركة العرب والصينيين في تالاس ، حتى واجهت امبراطورية تانغ الضعيفة تهديداً من جانب مجموعة متمردة بزعامة قائد تركي يسمى آنلوشان [Anlu-Shan ت ٧٥٧ م] ، وطلب امبراطور تانغ سوزونغ [Suzong] ، الذي حكم بين عامي ٧٥٦ و ٧٦٢ م ، من الخليفة العباسي المنصور أن يبعث إليه ما بين عشرين ألف ومئة ألف جندي مسلم من الجزيرة العربية وآسيا الوسطى ، لمساعدته على مواجهة التمرد ، وفعلوا استطاع (تانغ) أن يقضي على التمرد سنة ٧٥٨ م ، وسمح للجنود المسلمين بعد الحرب بالبقاء في المنطقة الشمالية الغربية من الصين ، والزواج من الفتيات الصينيات ، وهؤلاء يعتبرون اجداد المسلمين الذين يسكنون شمال غرب الصين .

وقد اقام الاسلام اول صروحه في ارض كونفوشيوس ، بعد أن كوفئ المسلمون على مساعدتهم العسكرية واقاموا علاقات عائلية في تلك البقعة .

### القاعدة الثانية للمسلمين في الجنوب الغربي :

تغلغل الاسلام عبر آسيا الوسطى إلى جنوب غرب الصين سنة (٨٠١ م) ، حينما استأجر التبت عشرين ألفاً من الجنود العرب والسمرقنديين ، للحرب ضد امبراطورية نانشاو [Nanchao] الصغيرة في منطقة يان نان [Yannan] ، وهي ولاية تقع جنوب غرب الصين . وكانت نانشاو امبراطورية صغيرة تابعة لامبراطورية تانغ ، إلا أنها كانت تتمتع بحكم ذاتي .

### وفي الجنوب الشرقي :

اضافة إلى المجموعتين العسكريتين الكبيرتين للمسلمين ، اللتين استقرتا في الشمال الغربي والجنوبي والغربي للصين ، هاجر عشرات الآلاف من التجار العرب والايروانيين إلى المناطق الجنوبية الشرقية من الصين ، واستثمروا مبالغ ضخمة في هذه المنطقة في الحقل التجاري ، وامسكوا بعصب النقل البحري ، وأسسوا حياة فخرة ، وكانوا في الوقت ذاته لا يرغبون في الدخول في سلك الجندية ، ولهذا فإنهم لم يفكروا بالاستقرار في هذه المنطقة ، فكانوا يتاجرون في الصين ، ويجمعون الاموال حينما كانت الصين في منأى عن الحروب والمعارك ، وإذا ما دخلت البلاد في معركة ، كانوا يغادرون الصين ومعهم ما خف حملة وغلا ثمنه ، ولا يبقى منهم إلا القليل ، ولهذا لم يكسب المسلمون موقعاً حصيناً في المنطقة الجنوبية الشرقية ، مثلما حصلوا عليه في شمال غرب الصين وجنوب غربها .

### عدد المسلمين في عهد تانغ :

استقر المسلمون من العرب وبعض سكان آسيا الوسطى في المناطق الشمالية الغربية والجنوبية الغربية للصين ، وقُدّر عددهم في



بداية الامر بنحو اربعين الف شخص ، لكن سرعان ما تضاعف هذا العدد إلى ثمانين ألفاً ، حينما اضيف إلى الرقم المذكور اربعون الف زوجة من الصين نفسها ، ومن المفترض أن يكون العدد قد وصل إلى خمسمئة الف شخص حتى اوائل القرن الميلادي العاشر ، أي في غضون (١٤٩) عاماً (من سنة ٧٥٧ إلى ٩٠٦ م) ، حيث عاشت في هذه الفترة خمسة اجيال .

#### القاعدة الثالثة للصين في شمال الصين :

على عهد الامبراطور شن زونغ [Shenzong] ، الذي حكم سونغ الشمالية بين عامي (١٠٦٨ و ١٠٨٥ م) ، وصلت عام ١٠٧٠م (٤٦٢ هـ) إلى عاصمة هذا الامبراطور كاي فينغ [Kaifeng] مجموعة مؤلفة من (٥٣٠٠) شخص ، يتزعمها السيد سهيل (ت ١١٢٠) امير بخارى ، الذي ينحدر عن سلالة النبي ﷺ عبر (٢٦) جيلاً ، وفي تلك البرهة الزمنية كانت امبراطورية سونغ قد خسرت القسم الاعظم من اراضيها جنوب السور الكبير ، ومنها منطقة يان جينغ [Yanjing] ، لصالح الامبراطور لياو دانستي [Liao Dynasty ، ١٠٣٤ - ١١٢٥م] من القبيلة الخيتانية . ولهذا رحب شن زونغ بالسيد سهيل وزوجه من ينينغ [Yining] ، والاهم من ذلك أنه سمح بأن تبني المجموعة المهاجرة مدينة عسكرية استراتيجية في منطقة الصراع بين كاي فنغ ويان جينغ ، أي بين امبراطورية سونغ الضعيفة وامبراطورية لياو القوية .

وفي سنة ١٠٨٠م (٤٧٢ هـ) هاجرت إلى الصين مجموعة اخرى مكونة من عشرات الآلاف من الرجال والنساء العرب ، للانضمام إلى سهيل في هونان [Hunan] ، وقد سمح الامبراطور شن زونغ لهؤلاء بالسكن في اقاليم هنان [Henan] ، وشان دونغ [Shandong]

وشينسي [Shensi] وهبي [Hebei] وآن هويي [Anhui] ، ومنح سهيل لقب دوق تشينغ كونو .

ولما استقر المسلمون من العرب بين قبائل الشمال وامبراطورية سونغ ، أصبحوا بين القرنين ١١ و ١٢ قوة غير صينية يحسب لها حسابها ، وسيطروا على طريق الحرير بمساندة من الصينيين والختانيين والتبت والتانغوت ، وبهذا حصل الاسلام على ثالث قاعدة له في شمال الصين .

ويعتبر سهيل مؤسس المجتمع الاسلامي في شمال الصين والجد الاعلى لجنرالات المسلمين وعلمائهم ومحاربهم المعروفين بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر الميلاديين . واهم ما قام به سهيل هو أنه صحح التسمية التي كانت تطلق خطأ على العرب والاسلام في الصين ، إذ كانت تستخدم كلمة داشي غوا [Dashiguo] على البلد العربي ، وداشي فا [Dashifa] على الدين الاسلامي<sup>(١)</sup> . ولتصحيح هذا الخطأ ، اختار عبارة هويي هويي جياو<sup>(٢)</sup> بدلاً من داشي فا ، وعبارة هويي هويي غوا [Hui Hui gua] بدلاً من داشي غوا ، والعبارة الاولى تعني التسليم والعودة إلى الله ، وقد انتشرت هذه العبارة بشكل واسع بين الصينيين والختانيين والنجوس [Najeas] والمغول والأتراك قبل نهاية القرن الحادي عشر الميلادي .

### نفوس المسلمين على عهد سلالة سونغ :

رغم أن المعلومات الموجودة قليلة حول هجرة المسلمين من آسيا الوسطى وشمال الصين على عهد سلالة سونغ ، إلا إن من المعتقد أن الهجرة استمرت نحو الشرق ، حتى أوقفها الخيتانيون والنسيوجن [Nujen] ، ومنعوا اتساعها وارغموا المهاجرين على

(١) اخطأ الصينيون القدامى في اطلاق كلمة (داشي) على العرب، والكلمة تعني التاجر، وربما دخلت الكلمة إلى اللغة الصينية من اللغة الفارسية، وصححت تدريجياً إلى كلمة داشي.

(٢) اختصرت العبارة في الوقت الحاضر إلى هويي جياو [Huijiao].

المكوث في لياو أو الصين . وحينما استولى المغول على كل البلاد في القرن الثالث عشر ، تمتع المسلمون بالحرية في الالتحاق باخوانهم في شمال الصين .

ولمعرفة عدد المسلمين في اواخر عهد سونغ ( ٩٦٠ - ١٢٧٩ م ) ، ليس امامنا إلا الاعتماد على التخمين والفرضيات ، إذ يقدر هذا العدد بعد انقضاء هذا العهد الذي استمر نحو ( ٣١٩ ) عاماً بنحو مليوني نسمة . أي ما يعادل اربعة اضعاف ما كان عليه في القرن العاشر ، وبطبيعة الحال فإن هذا التقدير مشوب بكثير من الحذر والاحتياط ؛ لعدم وجود وثائق يمكن الاعتماد عليها .

#### الاسلام وسلالة يوان - قوبلاي خان واقلية هوي :

تأسست سلالة يوان ( ١٢٧٩ - ١٣٦٨ م ) بواسطة قوبلاي خان ( ١٢٦٠ - ١٢٩٤ م ) ، وهو احد احفاد جنكيزخان ، وكان جيشه القوي يتألف من مليوني أو ثلاثة ملايين جندي مسلم ، جاء بهم من آسيا الوسطى والشرق الاوسط إلى الصين . وكان قادة مناطق العسكرية الثلاثة (الجهات الوسطى والجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية في الصين) من العرب ، وهم الامير السيد بو - ين Po - yen ( ١٢٣٥ - ١٢٩٤ م ) ، والامير سيد شمس الدين عمر ( ١٢١١ - ١٢٧٩ م ) ، والجنرال بوشو - كينغ ( ١٢١٤ - ١٢٩١ م ) [Pushou - Keng] .

وكان لهؤلاء دور في النصر الذي حققه قوبلاي خان في حربه مع امبراطورية سونغ ، وقد شغل الآلاف من المسلمين مناصب عليا في السلطة المركزية والحكومات المحلية ، واصبح هذا الحضور الواسع بداية لظهور اقلية هوي في تاريخ الصين ، مما شكّل اكبر انتصار يحققه المسلمون في هذا البلد .

### نفوس اقلية «هوي» في عهد يوان :

انتشار الاسلام كان محدوداً في عهد تانغ وسونغ بالمناطق الشمالية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية ، وكان المسلمون يُعتبرون من المهاجرين الاجانب ، إلا إن الاسلام انتشر بشكل واسع في كل الاقاليم ايام حكم قوبلاي خان ، إذ كان للاسلام ولأقلية هوي أثر بين جميع فئات الناس ، وفي كل مدينة تجارية أو مركز صناعي أو منطقة زراعية ، واستمر الامر على هذا المنوال حتى مجيء سلالة تشينغ .

إن الحضور الاسلامي في الصين وتوسعه بدأ من اربعين الف شخص في القرن الثامن ، وبلغ مليوني شخص في القرن الثالث عشر، فيما جاء خلال (٨٩) عاماً من حكم المغول ما بين مليونين وثلاثة ملايين جندي من الشرق الاوسط وآسيا الوسطى ، لخوض المعركة امام سلالة بونغ ، وبهذا ارتفع عدد المسلمين إلى اربعة ملايين نسمة في القرن الرابع عشر واصبحوا يشكلون اكبر اقلية في الصين ويفوق عددها عدد المغول انفسهم .

### الاسلام على عهد مينغ ، امبراطورية تاي تسو Tai-Tsu :

لم يكن احد ليتصور هذه الزيادة المفاجئة للسكان المسلمين في الصين ، الذين بلغ عددهم اربعة ملايين شخص بعد اشتداد سلطتهم السياسية والعسكرية ، وضعف القدرة الدفاعية لطائفة هان على عهد يوان . كما أنه كان ضرب من الخيال أن تُعد هذه الاقلية شخصية لتأسيس سلالة جديدة في الصين ، حيث تؤكد الدراسات أن مؤسس سلالة مينغ ، تشو يوان جانغ (مينغ تاي تسو) ، هو من نسل ضابط تربى في معسكر (تاماجي) المغولي في مدينة (آن هوى) .

وكان ينتظر من طائفة (هان) الصينية أن تنتقم من اقلية هوي التي

ناصرت المغول لتأسيس سلالة يوان ، إلا أن الذي حصل كان عكس ذلك ، حيث اعطت امبراطورية مينغ الحرية الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وانضم مئات الآلاف من اقلية هوي إلى جيش مينغ ، تولى عدد كبير منهم مناصب عسكرية عليا . وقد اتبعت الامبراطورية هذه السياسة - أي سياسة حماية المسلمين - من أجل تذويبهم في المجتمع الصيني ، وتقليل كراهيتهم من قبل طائفة هان التي عمل على إثارتها المغول ، ولهذا اجبر الامبراطور المسلمين على الدخول في المدارس الصينية والتكلم باللغة الصينية وارتداء الازياء الصينية والزواج من النساء الصينيات واختيار اسماء صينية .

ولعل العامل الاهم في الاعتراف بالمسلمين والاهتمام بهم ، هو أن (ماهوا) ملكة (تشويوان جانغ) كانت مسلمة ، وقد تزوج بعض ابنائها وبناتها من مسلمين .

ونتيجة لهذا المناخ السياسي المناسب ، عاشت اقلية هوي رداً من الزمن (٢٧٦ عاماً) في ظل اجواء سلمية وجيدة .

#### نفوس اقلية هوي على عهد مينغ :

لم تحصل هجرة ذات أهمية للمسلمين إلى الصين بعد سقوط سلالة يوان . وارتفع عدد المسلمين من اربعة ملايين في القرن الرابع عشر إلى عشرين مليون في منتصف القرن السابع عشر ، وذلك بفضل الفترة التي عاشها المسلمون بارتياح في كنف امبراطورية مينغ . وهذا الرقم لا يشمل السكان المسلمين في غافسو وسين كيانغ من غير اقلية هوي .

#### نهاية العهد الالفى الذهبي :

بعد الف عام من دخول الاسلام إلى الصين (من السابع وحتى

السابع عشر الميلادي)، امتدت رقعته في الصين وقويت شوكة المسلمين، حيث قاموا بادوار عسكرية وثقافية وتجارية وطبية واجتماعية كبيرة، وارتفع عدد المسلمين من (٤٠) ألف مهاجر في عهد تانغ إلى عشرين مليون في فترة مينغ. واقاموا على مساحات شاسعة من ارض الصين، ومارسوا المهن المختلفة والتجارة والصناعة، ودخلوا الجيش دون أن يتمردوا يوماً ما ضد الحكومة الصينية، وقد ذابوا تماماً في المجتمع الصيني، ورغم هذه الفترة الطويلة التي عاشوها في الصين في سلام ووثام، لم ينسوا يوماً انحذارهم من اصول عربية وايرانية ومن آسيا الوسطى.

وبعد (٢٥٠) عاماً من الاضطرابات، آلت سلالة مينغ إلى السقوط، وانقرضت اخيراً سنة ١٦٤٤ م بيد طائفة (المنجور) الآتية من الشمال الشرقي، وهي طائفة غير صينية اسست سلالة (تشينغ) بمساعدة طائفة (هان)، وكان لهذا الحدث وقع الصاعقة على المسلمين، لأنهم فقدوا ولاتهم واصبحوا امام تهديد كبير. ويعتبر انهيار امبراطورية مينغ نهاية للعهد الذهبي للمسلمين، الذي استمر عشرة قرون، وبداية لمذابج جماعية حلت بالمسلمين لا عهد لهم بها، استمرت من القرن السابع عشر وحتى التاسع عشر.

#### سنوات المحنة :

بعد تقويض سلالة مينغ، ادرك المسلمون في الصين أنهم سيواجهون سنوات مظلمة، وما عليهم إلا الاستعداد لوقوع الكارثة. وما كانت علاقة المسلمين بالحكام الجدد علاقة سيئة، لكنهم كانوا يخشون انتقام طائفة هان لما تعرضت له اثناء عهد يوان تحت سلطة المغول.

ويعتبر (هونغ تشنغ تشو) اول من تصدى لمنصب رسمي، وكان

والياً لمقاطعة مبخور في زمن آخر حكام مينغ ، ثم انضم إلى هذه الطائفة سنة (١٦٤٢م) ، وكشف عن سر القربى بين اسرة مينغ والمسلمين ، ولهذا لم تدخر حكومة تشينغ جهداً إلا وبذلت في سبيل مقارعة المسلمين ، بعد تسلمها لزام الامور مباشرة .

وقد تمرت خلال ٢٢٤ عاماً (١٦٤٨ - ١٨٧٢م) طائفة هوي ، وعدة اقليات غير صينية أخرى من غانسو وسين كيانغ وشانسي ويونان ، أكثر من عشر مرات ضد سلطة هان - منجور ، وأول تمرد وقع في غانسو سنة ١٦٤٨ م ، قام به اثنان من اسرة مينغ هما تينغ كواتونغ (ت ١٦٤٩م) ، ومي لاين (ت ١٦٤٨م) ، إذ رفع هذان الشخصان راية مينغ واعلنوا الامير جوشي جوان (ت ١٦٤٨م) حاكماً على المنطقة ، وانتهت هذه الحركة بعد عام واحد ، وادت إلى تدمير الكثير من المدن ، ومقتل مئات الآلاف من المسلمين ومن طائفة هان .

أما التمرد الاخير الذي قامت به اقلية هوي ، فجرى تحت زعامة تون شيو (ت ١٨٧٣م) . وقاد السلطان سليمان (١٨٥٥ - ١٨٧٢ م) ، وهو من طائفة بانتاي [Panthay] التابعة لاقلية هوي من اقليم يونان ، اكبر ثورة ضد سلطة تشينغ ، لتحقيق العدالة السياسية والحرية الدينية والاستقلال للمسلمين ، وانتهت هذه الحركة بعد (١٧) عاماً بالهزيمة على يد قوات هان - منجور ، مما ادى إلى مقتل أكثر من مليون مسلم .

وتقول وثائق مسيحية اكيدة أن ما لا يقل عن عشرة ملايين مسلم من اقلية هوي ، قتلوا في شانسي وغانسو ويونان ، فيما قتل من غير المسلمين في سين كيانغ نحو مليوني شخص وبلغ عدد المسلمين الذين قتلوا بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر (١٢) مليون شخص ، ويعد هذا الرقم اكبر مجزرة عنصرية في تاريخ الصين .

ويكشف لنا التاريخ أن طائفة (هان) كانت تكره المسلمين ، وكان

لقصر نظر حكام تشينغ في سياستهم المعادية للمسلمين ، وكذلك محاولات المسلمين لايجاد امبراطورية مستقلة في الصين اثناء سلطة تشينغ ، دور اساسي في مقتل (١٢) مليون مسلم ، ونفس العدد تقريباً من طائفة هان . كما أحرقت مئات الهكتارات من الاراضي الزراعية ، وافلست خزانة تشينغ بسبب انفاقها على الحروب ، كما ادى ذلك الى اضعاف هذه الدولة الفاسدة وبالتالي سقوطها امام الدول الغربية سنة ١٩١١ م .

### نفوس اقلية هوي في عهد تشينغ :

المذابح التي ارتكبت ضد المسلمين في الصين على مدى ثلاثة قرون ، جعلت من هذه الاقلية تعيش حالة من الظلام ، ولم يقيم المسلمون طوال فترة حكم تشينغ بأي عمل مهم ، سوى أن بعض علمائهم الغوا كتباً حول الاسلام بالصينية والعربية ، كما ان عدداً قليلاً منهم عملوا في الجيش لصالح طائفة منجور . والضرر الرئيسي الذي لقيه المسلمون في هذه الفترة ، هو بقاء نفوسهم كما كان عليهم قبلها سنة ١٦٤٤ م ، فقد تساوى عدد المواليد مع عدد الوفيات والقتلى الذين ذهبوا ضحايا المجازر التي ارتكبتها جيش تشينغ ، وعليه لم يتغير نفوس اقلية هوي من القرن السابع عشر حتى اوائل القرن العشرين ، حيث كان يبلغ نحو عشرين مليون نسمة .

### الاقلية الاسلامية في الصين الجديدة :

يقول كتاب حول المسلمين في الصين ، نشرته الجمعية الاسلامية الصينية سنة ١٩٥٣ م ، ان المسلمين في الصين يتوزعون حالياً على عشرة طوائف يقسمون من ناحية العنصر الى مجموعتين : الاولى تتألف من تسعة تسعون غير صينية من الاويغور والتاجيك والقزاق



والقرقيز والسالار والازبك والياوآن والتتار والتونغ تيانغ ، وهم ينحدرون من المنجور والمغول وسين كيانغ وايران وآسيا الوسطى قبل ظهور الاسلام . والثانية هي من اقلية هوي ، وهم ينحدرون من آباء من المسلمين العرب ومسلمي ايران وآسيا الوسطى ومن امهات صينيات ، وقد هاجروا إلى الصين في عهود تانغ وسونغ ويوان .  
جغرافياً تقسم الصين إلى نصفين :

الأول : الصين الاصلية ، وتشمل اراضي واسعة تمتد من جنوب ريون الكبير إلى الحدود الشمالية لفيتنام ولاوس وبورما ، وهذه ارض صينية منذ آلاف السنوات ، وقد تكاثرت فيها منذ القرن الثالث عشر طائفة هوي .

والثاني : يشمل منغوليا وغرب غانسو وسين كيانغ ، التي من المحتمل أن يكون قد احتلتها الاقليات الاسلامية التسعة الاخرى منذ القرن السابع ، وهذه الاقليات لم تذب يوماً في الهوية الصينية ، ولم تكن علاقتها مع طائفة هان على ما يرام . وازضافة إلى اللغة الصينية كانت اقلية هوي منذ عهد مينغ تتكلم باللغتين العربية والفارسية ، كما كانت ترتدي الزي الصيني وتسمى باسماء صينية وتزوج من نسائهم ، وتتعاون بشكل وثيق مع الجيش وفي الحقول السياسية والتجارية والزراعية ، وكان افرادها اشبه في الظاهر بطائفة هان منها بالاقليات الاسلامية الاخرى في الصين .

ورغم أن العامل الوراثي يعتبر مهماً في تشكيل وبلورة أية أمة ، لم تكن له تلك الاهمية في تكوين اقلية هوي ؛ لأن الدين الاسلامي كان العلامة البارزة لهذه الاقلية ، حيث جمع هذا الدين تحت لوائه العرب والايرائيين والأتراك والمغول والصينيين ، في نوع من الاتحاد العرقي - الديني اطلق عليه اسم اقلية هوي . ولم يكن يعتبر كل عربي أو كل إيراني يعيش في ظهراي هذه الاقلية أنه منها ، وإنما كان يطلق هذا

الاسم على كل من اعتنق الدين الاسلامي وعاش تحت لوائه ، كما كان يسحب هذا اللقب ممن يرتد عن الاسلام .

### العهد الجمهوري ، اقلية هوي والحرية الدينية :

تأسست منذ قيام الحكم الجمهوري (١٩١٢ م) في الصين دولتان ، حيث أنشأ الحزب القومي حكومة ديمقراطية سنة ١٩١٢م ، ولما هزم هذا الحزب امام الحزب الشيوعي سنة ١٩٤٩م ، واقتطعت جزيرة تايوان من الصين ، اسس الشيوعيون جمهورية الصين الشعبية على ارض الصين الاصلية .

وقد اختلفت نشاطات المسلمين الدينية وظروفهم الحيوية ومشكلاتهم في ظل هاتين الدولتين ، ولكن ثمة مشكلتان اساسيتان واجههما المسلمون في ظل هذا الوضع ، وهما العدد الصحيح لنفوس المسلمين ، وحرية ممارسة الشعائر الدينية . وقد تعرضت هذه الحرية إلى مخاطر خاصة في الصين الشيوعية ، التي حاولت طمس هوية الاقلية الاسلامية .

بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٤٥م حاول الدكتور سون يات سن أن ينفذ المشروع القومي الصيني ، ولهذا اعتبر افراد اقلية هوي في الاصل من الصين لكنهم اعتنقوا الدين الاسلامي ، وبالتالي اختلفت بعض تقاليدهم وعاداتهم عن ابناء الشعب الصيني الاخرين . وقد اعترف الدستور القومي لسنة ١٩١٢م بهذه الاقلية ، مطلقاً عليها اسم هوي زو [Huizu] ، أي طائفة هوي الاسلامية ، وقد تغيرت بعض الشيء هذه السياسة العنصرية سنة ١٩٤٦م ، ولكن أُعيد النظر فيها من الاساس سنة ١٩٥٤م .

ففي الدستور المعدل في ٢٥ ديسمبر ١٩٤٦م ، حصل تغير في المادة ١٣٥ التي تعرّف المسلمين بأنهم تلك الطائفة التي تنحدر من

اصول صينية ، وقد آمنت بالاسلام ولها عادات وتقاليد تختلف عن عادات الصينيين . واصبحت عبارة التعريف كالتالي : «بأنهم أناس يسكنون ارض الصين ولهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم» . ورغم أن هذا التعديل لم يعترف بالمسلمين من ناحية العنصر كأقلية ، يكشف عن أن السلطات توصلت إلى نتيجة مفادها أن اقلية هوي تختلف عن طائفة هان الصينية ، من حيث العنصر والدين والعادات والتقاليد .

وفي الثامن عشر من مارس ١٩٥٤م ، صادق البرلمان الصيني على تعديل جديد في المادة المذكورة ، وجرى استبدالها بالعبارة التالية : «الذين آمنوا بالدين الاسلامي واصبح يطلق عليهم اسم هوي مين (الامة المسلمة)» . ويبين هذا التعديل أن الحكومة ادركت أن اقلية هوي هي اقلية عرقية تختلف عن الصينيين .

وفي تايوان يوجد الآن نحو (٤٥) الف شخص من هذه الاقلية ، يمارسون حياتهم بشكل طبيعي ، وقد احتفظوا بعلاقاتهم مع العالم عن طريق الجمعية الاسلامية في تايبيه ، ولهم روابط ودية مع المسلمين في البلدان الاخرى ، كما يمارس بعضهم التجارة مع البلدان الاسلامية ، فيما ترسل البعثات إلى الدول العربية والاسلامية لدراسة الالهيات .

ونأمل أن تتأسس جمهورية الصين في علاقتها مع المسلمين ، بهذا الوضع القائم في تايوان والحرية التي يتمتع بها المسلمون هناك .



من عززكم  
أهل البيت

## مَنْزِلَةُ الْمَالِ مِنَ الْمُنْفِقَةِ

عبد الصادق ع

في رحاب الإمامة الوادعة تَفِيئاً الْقُلُوبَ الصَّوْنَةَ بِأَحْضَانِ الرِّضَا ، وَتَنْشِقُ  
أَنْفَاسَ الْهُدَى وَالسَّكِينَةِ ، وَتُلْفِي رِبْعَ وَجُودِهَا ، وَأَنْسَ وَحْشَتَهَا وَضِيَاعَهَا ،  
فَإِذَا هِيَ زَيَّا بَعْدَ ظَمَأٍ ، وَخَضِرَاءٌ بَعْدَ إِقْفَارٍ ، وَمَطْمَنَةٌ بَعْدَ إِصْحَارٍ .  
وفي هذا الباب نستشرف في تلك الرُّحَابِ مِنْ أَضْوَانِهَا مَا يَهْدِي سَبِيلَنَا ،  
وَيُقَوِّمُ خَطَرَاتِ نَفُوسِنَا ، وَيُثَبِّتُ عَلَى مَسَالِكِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ خُطَاَنَا ، حَيْثُ  
﴿ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ وَ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ  
تَجْدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ .

« التحرير »

من ابرز علائق الانسان بأخيه الانسان ، مواساته إياه  
بماله ، وبذل المعونة له ممّا جعل الله له في ذلك المال من  
حقّ ، لا ينبغي صاحبه أن يفترط فيه ، أو يتهاون في أدائه .  
وقد اهتمت النصوص الاسلامية المطهرة اهتماماً بالغاً ، بهذا  
الجانب الحيوي من الجوانب الإنسانية في تكوين البنية الاجتماعية ،  
ضمن صرح هذا الدين الحنيف ، وجعلته أساساً لا غناء عنه لقيام  
المجتمع الصالح المتكامل ، وتوطيد روابط أبنائه ، وشدها بما يحفظ  
لها توازنها ودوامها .

ولم يكتف الاسلام بطرح هذا المفهوم على إطلاقه ، بحيث يتحقق بأدنى حالاته وأشكاله ، وإنما بالغ في الحدّ عليه ، إلى الحدّ الذي جعل معه من الايثار مع الإقتار ، سمة هي من أرقى سمات المؤمن ، وأفضل أخلاقه ، كما يقرّر ذلك قوله تعالى ، في معرض ثنائه على طائفة من المؤمنين : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (١) . وقد قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الآية : «لا تستأثر عليه بما هو أحوج إليه منك» (٢) ، كما بين الإمام الصادق (عليه السلام) أن الايثار ليس هو أن تقاسم أخاك مالك ، و «إنما تؤثره إذا أنت أعطيت من النصف الآخر» (٣) .

وفوق كل هذا سمّى الله سبحانه وتعالى ما يخرج الإنسان من ماله من صدقة حقاً ، فقال في أول ما وصف به المصلين : ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم ﴾ للساكن والمحرّم (٤) . وقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : «الحق المعلوم ليس من الزكاة ، وهو الشيء الذي تخرجه من مالك إن شئت كل جمعة» (٥) ، وإن شئت كل يوم . ولكل ذي فضل فضله» (٦) ، كما روي عنه (عليه السلام) قوله : «هو أن تصل القرابة ، وتعطي من حرمك ، وتتصدق على من عاداك» (٧) .

### فضل الإنفاق :

١ - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن ، فإن صدقته تظّله» .

٢ - وعنه (عليه السلام) : «من أعطى درهماً في سبيل الله ، كتب الله له سبع مئة حسنة» .

٣ - وعنه (عليه السلام) : «الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم إلى الله عز وجل أنفقهم لعياله» .

٤ - قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «إن إنفاق هذا المال في طاعة الله أعظم نعمة ، وإن إنفاقه في معاصيه أعظم محنة» .

(١) الحشر: ٩ .

(٢) جامع احاديث الشيعة ٢٦٩: ٨ .

(٣) م. ن: ٣٧٢ .

(٤) المعارج : ٢٤ - ٢٥ . وقد جعل الله عزّ وجل ذلك من صفات المتقين في مقام آخر في قوله تعالى : ﴿ وفي أموالهم حقّ للسائل والمحروم ﴾ . الذاريات: ١٩ .

(٥) الجمعة هنا بمعنى الاسبوع .

(٦) مجمع البيان ١٢٥: ١٠ ، ط . مؤسسة الاعلامي ، ١٤١٥ هـ .

(٧) م. ن .

٥ - وعنه عليه السلام : «طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من كلامه» .

٦ - وعنه عليه السلام : «إنكم إلى إنفاق ما اكتسبتم ، أحوج منكم إلى اكتساب ما تجمعون» .

٧ - قال الامام الصادق عليه السلام : «ملعون ملعون من وهب الله له مالا ، فلم يتصدق منه بشيء» . ما أنفقتم من خير فلأنفسكم :

إن ما يقدمه الإنسان في هذه الحياة من قربات وأعمال صالحة ، إنما يقدمه لنفسه ، ويمهد به لحياته الأخرى التي سيؤول إليها ، فما الحياة الدنيا إلا مزرعة ينال العبد جنى ما يزرع فيها ، في تلك الحياة الباقية ، فما يبذر فيها من شيء فلنفسه ثمره وحصاده . وقد جاء في بعض مواضع عيسى عليه السلام لأصحابه : «بحق أقول لكم : إن الدنيا خلقت مزرعة ، يزرع فيها العباد الحلو والمر ، والشر والخير . الخير له مغية نافعة يوم الحساب ، والشر له عناء وشقاء يوم الحصاد» (٨) .

(٨) البحار : ١٤ : ٣١٤ .

ومن هنا كان ما ينفقه المسلم في طاعة الله سبحانه ، مذكرا له عنده ، بل إنه لا يحسب له من ماله إلا ما أنفقه في هذا السبيل . أما ما يصرفه في معصية ربه ، أو يخلقه للوارث بعد موته ، فليس له منه - في المفهوم الاسلامي - نصيب .

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله ، ما متنا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر» .

٢ - وعنه عليه السلام أنه ذبح شاة في حجرة عائشة ، فاطلع عليها فقراء المدينة ، فجاءوا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان يعطيهم ، فلما دخل الليل لم يبق منها إلا رقبتها ، فسأل عائشة عما بقي منها ، فقالت : «لم يبق منها إلا رقبتها» . فقال صلى الله عليه وآله : قولي : بقي كلها إلا رقبتها» .

٣ - قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « ليس لأحد من دنياه إلا ما أنفق على أخراه » .  
 ٤ - وعنه (عليه السلام) : « إنما لك من مالك ما قَدَّمته لآخرتك ، وما أَخَّرته فقلوارث » .  
 ٥ - وعنه (عليه السلام) : في وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) : « إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، فأنفق في حق ولا تكن خازناً لغيرك » .

٦ - وعنه (عليه السلام) : أيضاً في وصيته : « وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة ، فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه ، فاغتنمه وحمله إياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده ، واغتنم من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك » .  
 ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه :

لقد بذل التشريع الإسلامي كل جهد ، من أجل أن يرسخ مفهوم الإنفاق في نفوس أبناء المجتمع المسلم ، ويهيئها لاحتضانه منهجاً ، وقبوله سلوكاً وعملاً . ومن ذلك ما وردت به نصوص هذا الباب من أن الله سبحانه يخلف بذل الباذل ، ويعوّضه ممّا ينفق في سبيله من شيء . وقد جاء بهذا الوعدُ القرآني في قوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ (٩) .

(٩) سبأ : ٣٩ .

إن حبّ المال من غرائز النفس الحاكمة ، التي يلزم لتذليل جماحها ، وتوجيهها في سبيل الخير والصلاح ، وجود إرادة حرة تفوق في القوة تلك الغريزة ؛ كي تكون مهيمنة عليها ، ومسيّرة لها في هذا السبيل . ومن وسائل تكوين تلك الإرادة وتنشئتها في نفس الإنسان ، بثّ اليقين في عقيدته بالخلف ممّا ينفق من ماله ، وتعويض ما يقَدَّم منه في طاعة الله ومرضاته ، سواء كان ذلك في عاجل دنياه ، أم في آجل آخرته ، بل إن الله يضاعف الخلف لمن يشاء من عباده ، كما تقرر ذلك الآية الكريمة : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (١٠) .

(١٠) البقرة : ٢٦١ .

يقول السيد الطباطبائي في تفسير ذيل هذه الآية : «أي يزيد على سبعة لمن يشاء ، فهو الواسع لا مانع من جوده ، ولا محدّد لفضله ، كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعف له أضعافاً كثيرة ﴾ (١١) ، فأطلق الكثرة ولم يقيدها بعدد معين» (١٢) .

(١١) البقرة : ٢٤٥ .

١ - قال رسول الله ﷺ : «ما نقص مال من صدقة قط ، فأعطوا ولا تجنبوا» .

(١٢) الميزان ٢ : ٣٨٧ .

٢ - قال امير المؤمنين ﷺ : «من أيقن بالخلف جاد بالعطية» .

٣ - وعن ﷺ : «رب سلف عاد خلفاً» .

٤ - قال الامام الصادق ﷺ : «أنفق وأيقن بالخلف» .

٥ - وعنه ﷺ : «ينادي ملكان في كل ليلة جمعة : اللهم أعط كل منفق خلفاً ، وكل ممسك تلفاً» .

٦ - وعن رجل من أصحابه أنه قال في حديث له معه ﷺ : «قلت : قوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ ، فأراني أنفق ولا أرى خلفاً . قال : أفترى الله أخلف وعده ؟ قلت : لا قال : فمم ؟ قلت : لا أدري . قال : لو أن أحدكم أكتسب المال من حله ، وأنفق في حقه ، لم ينفق درهماً إلا أخلف الله عليه» .

٧ - وعنه ﷺ : «ما أحسن عبد الصدقة ، إلا أحسن الله الخلافة على ولده من بعده» .

### الايثار مع الإقتار :

لاشك أن حب النفس هو طبع مركوز في جبلة كل إنسان ، وأنه الحافز الغريزي الأول ، الذي يدفعه إلى جلب ما يصلحها ، وذبّ ما يفسد شأنها من شؤونها ، وهو أمر مشروع لكل أحد أن يستشعره ، ويعمل لما يقتضيه من آثار إيجابية ، يحقق بها مصالح نفسه ومطالبها ، بشرط ألا يكون في ذلك تعدّ على أحد ، أو إجحاف بحق



أحد ، فإن ذلك هو الحدّ الفاصل ، الذي لا يحق اجتيازه ، أو القفز عليه .  
لذا جاءت نصوص هذا الباب مربّية للنفس الإنسانية ، على حذف  
الأنا من داخلها ، ومحاربة صفة الأثرة فيها ، إذا تعلّق الأمر بأداء  
حقوق الآخرين ، لا ما يجب منها فقط ، وإنما تتّسع دائرة ذلك لتشمل  
الحق المندوب ، بل إن هذا المعنى إنما يتحقّق جلياً صادقاً إذا وقع  
تحت هذا العنوان بخاصة .

ومن أظهر مصاديق الإيثار ، وأروعها عيناً وأثراً ، ما يجري في  
باب إنفاق المال وإيتائه ؛ والمواساة به لذوي الاستحقاق من الاخوان ،  
فإن ذلك ممّا كثرت به النصوص كتاباً وسنة ، وتأكّد في السيرة  
العملية لأهل البيت عليه السلام ، وشيعتهم المخلصين في ولائهم .

هل صورة إيثار أروع من مشهد إنساني كريم ، ينقله إلينا وحي  
الله سبحانه ، وهو يتحدث عن علي وأهل بيته المنتجبين عليهم السلام ، حينما  
تصدقوا بطعام إفطارهم ثلاثة أيام متواليات ، وباتوا ساغبين حتى بدا  
عليهم من الضعف وشدة الجوع ما ساء رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

إنها صورة مشرقة يخلّدها القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَيُطْعَمُونَ  
الطعام على حبه مسكيناً ويَتِيماً وأسيراً ﴾ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم  
جزاء ولا شكوراً (١٢) .

(١٢) الانسان : ٨ - ٩ .

إن الإيثار على النفس لهو السبيل الرحبة لتحقيق أسمى قيم الخلق  
الإنساني ، وأجمل مقاصده وأهدافه .

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيته لأمر المؤمنين عليهم السلام : « يا علي ،  
ثلاثة من حقائق الإيمان : الإنفاق من الإقتار ، وإنصافك الناس من نفسك ، وبذل  
العلم للمتعلّم » .

٢ - جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله  
إلى بيوت أزواجه ، فقلن : ما عندنا إلا الماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من  
لهذا الرجل الليلة ؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : أنا له يا رسول الله .

وأتى فاطمة عليها السلام فقال لها : ما عندك يا بنة رسول الله ؟ فقالت : ما عندنا إلا قوت العشيّة ، لكنّا نؤثر ضيفنا . فقال عليها السلام : يا بنة محمد ، نؤمي الصبية وأطفئي المصباح . فلمّا أصبح علي غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر ، فلم يبرح حتى أنزل الله عز وجل ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

٣ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من أثر على نفسه بالغ في المروّة » .

٥ - وعنه عليه السلام أنه اشترى ثوباً فأعجبه ، فتصدق به وقال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من أثر على نفسه أثره الله يوم القيامة الجنة » .

٦ - قال الإمام الباقر عليه السلام : « لله عز وجل جنة لا يدخلها إلا ثلاثة : رجل حكم في نفسه بالحق ، ورجل زار أخاه المؤمن في الله ، ورجل أثر أخاه المؤمن في الله عز وجل » .

٧ - قال الإمام الصادق عليه السلام في حديث له في وصف الكاملين من المؤمنين : « هم البررة بالإخوان في حال العسر واليسر ، المؤثرون على أنفسهم في حال العسر ، كذلك وصفهم الله فقال : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ . فازوا والله وأفلحوا » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

اللَّهُ اللَّهُ فِي الْجَهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ  
وَأَنْفُسِكُمْ وَالسَّنَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

## فنون وآداب

www.alukah.net



## ❁ ابن تمام الطائي

(١) الطيبة: الغزالة، استنتت:  
عدت اقبالاً وإدباراً، الكتب:  
الجماعات الكثيرة، رويدك:  
على مهلك، العفر: الظباء  
التي يعلو بياضها حمرة،  
الزجر: المنع، الطرد، النهي.

(٢) تفيدك: تملك، ردة:  
شربة ثانية بعد شربة  
اولى، انحسر ماء محاسنه:  
أي ذهب رونقه ونضارته،  
الهدر: الحر الشديد.

(٣) البؤة: الحمقاء، عداك  
الردى: دعاء، أي عشت  
طويلاً.

هو حبيب بن أوس بن الحارث بن القيس بن الاشجع القحطاني .  
من شعراء القرن الثاني الهجري ، وقد اختلف في سنة ولادته ووفاته .  
ولد في الشام في قرية (جاسم) قرب دمشق حالياً .  
شعره قوي السبك متين الصنعة رقيق التراكيب والصور . سُئل البحتري عن  
شعر أبي تمام فقال : «أرضي أوطأ من سمائه» . وصفه الجاحظ بأنه (كان الاوحد من  
شيوخ الشيعة بالأدب) .  
يعدّ من أئمة اللغة والفصاحة والبيان . قيل أنه كان يحفظ أربعة عشر ألف  
ارجوزة من اراجيز العرب . امتدحه علماء الرجال والتاريخ امثال : ابن  
طاووس ، وابن داود ، وابن نما وغيرهم . عمل في ولاية الموصل في العراق  
وفيها مات ودفن .  
قصيدة : هو السيف ، قالها في مدرج أهل البيت عليه السلام وفضل امير المؤمنين  
علي عليه السلام .

أظبية حيث استنتت الكتب العُفُرُ  
رويدك لا يغتالك اللوم والزجر<sup>(١)</sup>  
أسرّي حذاراً أن تفيدك ردةً  
ويحسر ماء من محاسنك الهذر<sup>(٢)</sup>  
أراك خلال الأمر والنهي بؤةً  
عداك الردى<sup>(٣)</sup> ما أنت والنهي والأمرُ

أتشغلني عمًا هرعْتُ لمثلِه

حوادثُ اشجانٍ لصاحبها نكرٌ<sup>(٤)</sup>

ودهرٌ اساءَ الصنعَ حتَّى كأنما

يقضي نذوراً في مساءٍ تي<sup>(٥)</sup> الدهرُ

له شجراتٌ خيِّم المجدُّ بينها

فلا ثمرُ جانٍ ولا ورقٌ نضرٌ<sup>(٦)</sup>

ومازلتُ ألقى ذاك بالصبرِ لابساً

رداءِ به<sup>(٧)</sup> حتى خفتُ أن يجزع الصبرُ

وإنَّ نكيراً أن يضيقَ بسمنٍ له

عشيرةٌ مثلي أو وسيلته<sup>(٨)</sup> مصرُ

وما لامرئٍ من قائلٍ يومِ عثرةٍ

لعماً وخديناهُ الحداة<sup>(٩)</sup> والفقْرُ

وإن كانت الأيَّامُ آضت وما بها

لذي غلَّةٍ ورد<sup>(١٠)</sup> ولا سائلٍ خبرُ

هم الناسُ سار الذمُّ والحربُ بينهم

وحمرُّ أن يغشاهم<sup>(١١)</sup> الحمدُ والأجرُ

صفيك منهم مضمَّرٌ عنجُهيةٌ

فقاؤه تيه<sup>(١٢)</sup> وسائقه كبرُ

إذا شامَ برقُ اليسرِ فالقربُ شأنه

وأنأى من العيوق<sup>(١٣)</sup> إن ناله عسرُ

أريني فتى لم يقله الناسُ أو فتى

يصحُّ له عزمٌ وليس له وفر<sup>(١٤)</sup>

تري كلَّ ذي فضلٍ يطولُ بفضلِه

على مُعتفيه والذي عنده نزر<sup>(١٥)</sup>

(٤) هرع: مشى بسرعة واضطراب، نكر: انكار.

(٥) المساء: الأمر الذي فيه اساءة.

(٦) خيِّم: نصب خيمة وأقام، جاني: قابل للقطاف، ناضج، نضر: اخضر طري.

(٧) ليست ردائي: أي تدرعت به، والرداءان: القميص.

(٨) الوسيلة: ما يتقرب به لامرء، وأراد بها المنزل، النكير: الامر المنكر الذي يعاب عليه.

(٩) العثرة: زلة القدم، وأراد بها الضيق والمصيبة، الخدين: الصاحب، الحداة: النائية، يقال حوادث الدهر.

(١٠) آض: تغيّر، الغلّة: العطش، الورد: الشراب.

(١١) حمر: انسلخ، يغشى: يضل.

(١٢) التيه: المغرور.

(١٣) شام: نظر عن بعد، العيوق: نجم بعيد.

(١٤) يقلبه: يبعثه ويتركه، وفر: كثرة المال والغنى.

(١٥) المستغنى: سائل الصدقة، نزر: قليل ويسير.

(١٦) احذاني: اعطاني،

السبع والعشر: أراد لم يبلغ

عمر السابعة عشرة.

(١٧) ينهض: ينكسر بعد

الجبر.

(١٨) استبدّ: انفرد.

(٢٢) أراد أنهم فاضلوا بين

امرئين كلاهما مظلّم، ولو

استدلّوا بالشمس والقمر

لكان خيراً لهم.

(٢٣) استسقاء: طلب

السقاية.

(٢٤) حلب الردي: ضروع

الموت.

(٢٥) الجماء: الحجر الثاني،

وأراد به الاثافي التي

يوضع عليها القدر.

(٢٦) زجر الطائر: طرده

وأخافه.

(٢٧) تبسّأون: تأنسون.

(١٩) تخبأون: تستترون.

(٢٠) العوار: العيب.

(٢١) أفاعيل: أعمال.

(٢٨) الداهية: المصيبة،

دهياء: مظلمة.

(٢٩) عوان: في منتصف

عمرها، أراد بها: حاربتموا

وصيّه حرباً أولى وحرباً

ثانية شديدة.

وإنّ الذي أحذاني الشيب للذي

رأيت ولم تكمل لي السبع والعشر<sup>(١٦)</sup>

واخرى إذا استودعتها السرّ بيّتت

به كرهاً ينهاض<sup>(١٧)</sup> من دونها الصدرُ

طغى من عليها واستبدّ<sup>(١٨)</sup> برأيهم

وقسوا دجى أمرهم<sup>(١٩)</sup> وكلاهما

دليل لهم أولى به الشمس والبدرُ

سيحدوكم استسقاؤكم<sup>(٢٠)</sup> حلب الردي<sup>(٢١)</sup>

إلى هوة لا الماء فيها ولا الخمرُ

سئتم عبور الضحل خوضاً فأيةً

تعدونها لو قد طغى بكم البحرُ

وكنتم جماء<sup>(٢٢)</sup> تحت قدرٍ مفارق

على جهل ما امست تفور به القدرُ

فهلّا زجرت<sup>(٢٣)</sup> طائر الجهل قبل أن

يجيء بما لا تبسّأون<sup>(٢٤)</sup> به الزجرُ

طويتم ثنايا تخبأون<sup>(٢٥)</sup> عوارها<sup>(٢٦)</sup>

فأين لكم خبء وقد ظهر النشرُ

فعلتم بآبناء النبي ورهطه

أفاعيل<sup>(٢٧)</sup> أدناها الخيانة والغدرُ

ومن قبله احلقتُم لوصيّيه

بداهية دهياء<sup>(٢٨)</sup> ليس لها قدرُ

فجئتم بها بكرّاً عواناً<sup>(٢٩)</sup> ولم يكن

لها قبلها مثلاً عوانٌ ولا بكرُ

(٣٠) الصهر: زوج البنت .

(٣١) الازر: الظهور.

(٣٢) الصبار: الكثير الصبر،  
دياجير: جمع ديجور وهو  
الظلام.

(٣٣) الددان: السيف الكليل،  
الدر: البطيء الخامل .

(٣٤) يبري : يقطع من  
الاصل .

(٣٥) ثوى : الثواء النوم  
الطويل، الواصمون:  
العائبون .

(٣٦) يعتاض: يسأل  
العوض. أراد أن الثغر  
الضعيف يقوى بعلي(ع)  
ويأخذ نصيبه من العدو.  
(٣٧) ماج : تحرك بعنف.

(٣٨) العقوة: الساحة، عمرو:  
هو عمرو بن عبد ود  
العامري، المقتول بسيف  
علي(ع) يوم الخندق.

(٣٩) سما: من السمو، أي  
ارتفع للمنايا حتى بانث له.

(٤٠) الأمر: المنكر.

(٤١) الفيحاء: الواحة، وأراد  
ما ثبت حول الغدير من  
نخيل وشجر.

أخوه إذا عُدَّ الفخارُ وصهره (٣٠)

فلا مثله أخ ولا مثله صهر  
وشدَّ به أرز (٣١) النبي محمد

كما شدَّ من موسى بها رونه الازر  
وما زال صباراً دياجير (٣٢) غمرة

يمزقها عن وجهه الفتح والنصر  
هو السيف سيف الله في كل مشهد

وسيف الرسول لا ددان ولا دثر (٣٣)  
فأي يد للذم لم يبر (٣٤) زندها

ووجه ضلال ليس فيه له اثر  
ثوى ولأهل الدين أمن بحدّه

وللواصمين (٣٥) الدين في حدّه دعر  
يسدُّ به الثغر المخوف من الردى

ويعتاض (٣٦) من ارض العدو به الثغر  
بأحدٍ وبدرٍ حينَ ماج (٣٧) برجله

وفرسانه أحدٌ وماج بهم بدر  
ويوم حنينٍ والنضيرٍ وخيرٍ

وبالخندق الثاوي بعقوته عمرو (٣٨)  
سما (٣٩) للمنايا الحمر حتى تكشفت

واسيافه حمرٌ وارماحه حمرٌ  
مشاهدٌ كان الله كاشفَ كربها

وفارجه والأمر ملتبسٌ أمر (٤٠)  
ويوم الغدير استوضح الحق أهله

بفيحاء (٤١) لا فيها حجاب ولا ستر

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُوهُمْ بِهَا

(٤٢) النكر: الإنكار.

لِيَقْرَبَهُمْ عَرَفٌ وَيَنَاقَهُمْ نَكَرٌ (٤٢)

يَمْدُ بَضْعِيهِ (٤٣) وَيَعْلَمُ أَنَّه

(٤٣) الضبعان: مثنى ضبع

وهو العضد.

وَلِيٍّ وَمَوْلَاكُمْ فَهَلْ لَكُمْ خَيْرٌ

يَرَوْحُ وَيَغْدُو بِالْبَيَانِ لِمَعْشَرٍ

(٤٤) الغمر: الكريم الواسع

الخلق.

يَرَوْحُ بِهِمْ غَمْرٌ (٤٤) وَيَغْدُو بِهِمْ غَمْرٌ

فَكَانَ لَهُمْ جَهْرٌ بِإِثْبَاتِ حَقِّهِ

(٤٥) الجهر: الوضوح

والكشف.

وَكَانَ لَهُمْ فِي بَرِّهِمْ حَقٌّ جَهْرٌ (٤٥)

أَتَمَّ جَعَلْتُمْ حَظَّهُ حَدًّا مَرَهْفٍ

(٤٦) صاحبه: أراد به

الرسول (ص): أي لما مات

الرسول (ص) غدرتم به.

مِنَ الْبَيْضِ يَوْمًا حَظُّ صَاحِبِهِ (٤٦) الْقَبْرِ

بِكُفِّي شَقِيٍّ وَجَّهَتْهُ ذَنْوُهُ

(٤٧) الغي: الضلال.

إِلَى مَرْتَعٍ يُرْعَى بِهِ الْغَيُّ (٤٧) وَالْوَزْرُ

إِلَى مَنْزِلٍ يَلْقَى بِهِ الْعَصَبَةُ الْأَلَى

(٤٨) الأفن: نقصان العقل.

حَدَّاهَا إِلَى طَغْيَانِهَا الْآفَنُ (٤٨) وَالْخَسْرُ

هَرَاقُوا دَمِي سِبْطِيهِمْ (٤٩) وَتَمَسَّكُوا

(٤٩) السبطان: الحسن

والحسين (ع) إينا رسول

الله (ص)، والسبب لغة ابن

البنات.

بَحَلْ عَمَى لَا الْمَحْضُ فِتْلًا وَلَا الشَّرُّ (٥٠)

بَنِي أَصْفَاءَ اللَّهُ سَهَّلَ حِينَهُمْ (٥١)

(٥٠) الشر: قتل الحبل

يساراً.

(٥١) الحين: الموت.

لَهُمْ فِيهِمْ دَهْيَاءُ مَسْلُكُهَا وَعَرٌّ

فَهَلَّا انْتَهَوْا عَنْ كُفْرٍ مَا سَلَفَتْ بِهِ

(٥٢) صنائعهم: أفعالهم.

صَنَائِعُهُمْ (٥٢) إِذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ شُكْرٌ

وَهَلَّا اتَّقَوْا فَصَلَ احْتِجَاجٌ (٥٣) نَبِيَّهُمْ

(٥٣) فصل الاحتجاج:

الاحتجاج الذي يفصل

الحق عن الباطل ومثله

فصل الخطاب.

إِذَا ضَعَّاهُمْ بَعَثَ مِنَ اللَّهِ أَوْ حَشَرُ

أَحْجَجَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَوَارِثَ الْ-

(٥٤) الأصر: الميثاق والعهد.

نَبِيِّيٍّ أَلَا عَبْدٌ وَفِيٍّ وَلَا أَصْرُ (٥٤)

(٥٥) عرثكم: حلت بكم.

(٥٦) ام الحوار: الناقة، لم تفصل ولدها بعد، تراد: تمايل، ازدوج: تشابه.

(٥٧) القري: الماء المنحدر من الربوة إلى الروضة، الوهدة: الأرض المنخفضة.

(٥٨) المزلة: المكان الذي وقع فيه الزلل والخطأ.

(٥٩) كلاً: ردد بصره في الشيء: أي إن ابن الناقة راح ينظر وينظر، استحالت: رأت شيئاً حال بينها وبينه، تزهاه: تملؤه، الحقوف: جمع حقف وهو ما اعوج من الرمال، نقا عفر: رمل ناعم يميل لونه إلى الحمرة.

(٦٠) الرغاء: صوت البعير، مشبحة: مجدة حذرة، الركل: الضرب برجل واحدة، الزبن: ضرب الناقة بثفتان رجلها، الطحر: نوع من الزفير فيه أنين.

(٦١) ترود: تطلب، تقرو: تقصد.

(٦٢) الجلى: الخطب، الوتر: الثار.

(٦٣) السناء: الرفعة والشرف، البيت إشارة إلى الآية: ولم يؤت سعة من المال.

(٦٤) القنا: الرماح، المجر: الجيش العظيم.

(٦٥) وقية: واقعة، حادثة.

(٦٦) الذخر: ما أذخره المرء من مال وثروة.

ولو لم يسخلف وارثاً لعرثكم<sup>(٥٥)</sup>

أموراً تبين الشك ساحة من تعرو  
كأماً الحوار استودعته خميلة

ترأد فيها النبت وازدوج<sup>(٥٦)</sup> الزهر  
فغيبه عنها قري بوهدة<sup>(٥٧)</sup>

أحل به اعباء احماله القطر  
فجئت جنوناً واستعاظت من الربى

فنونا وما تغني المزلة<sup>(٥٨)</sup> والذكر  
كلاً وكلائم استحالت فاصلاً

من الروض تزهاه حقوف نقاً عفر<sup>(٥٩)</sup>  
رغا إذ رآها فاستجابت مشبحة

عليه ومنها الركل والزبن والطحر<sup>(٦٠)</sup>  
فخر صريعاً واسمترت بقسوة

ترود وتقرو<sup>(٦١)</sup> الامكنات التي تقرو  
كما سأل القوم الألى ملكاً لهم

تسد به الجلى ويطلت الوتر<sup>(٦٢)</sup>  
فلما رأوا طالوت عدوا سناءهم<sup>(٦٣)</sup>

عليه وما يغني السناء ولا الفخر  
وما ذاك إلا أنهم كرهوا القنا

ومجر<sup>(٦٤)</sup> وغى يتلوه من بعده مجر  
عمى وارتياباً أوضحت مشكلاته

وقية<sup>(٦٥)</sup> يوم النهر إذ ورد النهر  
لكم ذخركم<sup>(٦٦)</sup> إن النبي ورهطه

وجيلهم ذخري إذا التمس الذخر



جعلتُ هَوَايَ الفاطميين زُلفَةً (٦٧)

(٦٧) زلفة: قرينة .

إلى خالقي ما دمت أو دام لي عمرُ  
وكوِّفني ديني على أنَّ منصبي

(٦٨) كوِّفني: جعلني كوفيًا  
أي موالياً لعلِّي (ع) باعتبار  
أن الكوفة عاصمة التشيع  
في عهده، شآم: الشام،  
النجر: الأصل والحسب.

شآم ونجري أَيْةً ذكر النجر (٦٨)

لقد اسمع الداعيكُم لو سمعتموا

(٦٩) الوقر: الصمم.

صراخاً ولكن في مسامعكم وقر (٦٩)

فكيف وأنتم نائمون وقد حدا

(٧٠) اللَّطِيَّات: المنازل،  
السفر: جمع سافر وهو  
المسافر.

لطِيَّاتِهِ أَجْمَالُهُ وَمَضَى السَّفَرُ (٧٠)

فكم ليلةٍ قضيتها متمللاً

(٧١) الزقر: جمع زقر، وهو  
الصقر.

إلى أن زقتُ أطيَّارَ سحرتِهِ الزُّقُرُ (٧١)

كأنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ فِي أُخْرِيَاتِهِ

(٧٢) يقول كأن نجوم  
السحر عيون: يغمضها  
الفجر، أي يطفئها.

عيونُ لَهُ نَادَى بِتَغْمِيزِهَا الْفَجْرُ (٧٢)

كأنَّ سِوَادَ اللَّيْلِ ثُمَّ اخْضَرَّاهُ

(٧٣) كفف: دارات تكون في  
حاشية الثوب.

طِيَالِسُهُ سَوْدٌ لَهَا كُفْفٌ (٧٣) خَضُرُ

أُفْكَّرُ فِي أَحْلَامِكُمْ أَيْنَ عُرِّبَتْ (٧٤)

(٧٤) احلامكم: عقولكم،  
عُرِّبَتْ: ضاعت وغابت.

فَيَصْرُعُنِي طَوْرًا وَاصْرَعُهُ الْفَكْرُ

وَأَعْلَمُ أَنْ لَا تَسْتَرْكُوا مَخْزِيَاتِكُمْ

(٧٥) المخزي: الأمر القبيح،  
السدر: شجر النبق وهو ذو  
أغصان شائكة.

وَلَمْ يَتْرِكِ الْمَكْرُوهَ مِنْ شَوْكِهِ السَّدْرُ (٧٥)

إِذَا الْوَحْيُ فِيكُمْ لَمْ يَضْرِكْمْ فَلِئَنِّي

(٧٦) ضار: أضرب به.

زَعِيمٌ لَكُمْ أَنْ لَا يَضُورْكُمْ (٧٦) الشَّعْرُ



اهل البيت  
في روايات الصفاة

مجلد اول - الجزء الاول - الصفحة الاولى

# روايات الأم المؤمنين عائشة

صادق السوداني

هي ابنة أول الخلفاء أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم القرشي ، وامها أم رومان بنة عامر بن عويمر . ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة ، وتزوجها الرسول ﷺ بعد وفاة زوجته الاولى خديجة ، قبل الهجرة بسنتين ، وعمرها ست سنوات ، وبنى بها في شهر شوال ، بعد مضي ثمانية عشر شهراً من هجرته إلى المدينة ، وبعد غزوة بدر الكبرى ، وقبض النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها .

أقامت مع النبي ﷺ ثمانية اعوام وخمسة أشهر ، ومكثت بعده في خلافة أبي بكر وعمر ، وصدرأ من خلافة عثمان من المؤيدين للحكم القائم ، ثم انحرقت عن عثمان وترأست المعارضين ؛ حتى إذا قتل قادت مناوئي ابن أبي طالب ﷺ وخصومه إلى حربه - حرب الجمل -

في البصرة ، وبعد أن غلبت في الحرب أعادها الامام علي عليه السلام مكرمة إلى المدينة ، حيث بقيت هناك ، حتى إذا قتل ابن أبي طالب وترجع معاوية على دست الحكم ، واخذ يروج نشر فضائل آل أمية خاصة ، وحزب عائشة ومعارضني ابن أبي طالب عامة ، اصبح لها في هذا الدور شأن خطير .

كنيتها أم عبدالله ، تكنت باسم ابن اختها عبدالله بن الزبير .

توفيت ليلة الثلاثاء سبع عشرة خلون من شهر رمضان ، من السنة السابعة أو الثامنة أو التاسعة والخمسين ، فصلى عليها أبو هريرة ، ودفنت بوصية منها مع سائر امهات المؤمنين في البقيع (١) .

ومما ورد عنها من روايات :

١ - سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا صحاباً في الاسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح» (٢) .

٢ - عن عائشة قالت : «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها» (٣) .

٣ - عن عائشة قالت : «كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم وحشوه من ليف» (٤) .

٤ - عن عائشة قالت : «إن النبي صلى الله عليه وسلم طرده وجع فجعل يتقلب على فراشه ، فقلت له : يا نبي الله لو أن بعضنا فعل هذا لوجدت عليه ، فقال : إن المؤمنين يشتد عليهم البلاء ، وإنه لا يصيب المؤمن نكبة ولا وجع إلا رفع الله له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة» (٥) .

٥ - عن عائشة قالت : «قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : امرنا أن نكثر الصلاة عليك في الليلة الغراء واليوم الازهر ، واحب ما صلينا عليك ما تحب ، قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على

(١) السيد مرتضى العسكري ، احاديث أم المؤمنين عائشة ، ادوار من حياتها .

(٢) صحيح الترمذي ٣٦٣:١ .

(٣) صحيح البخاري ، باب صفات النبي (ص) .

(٤) صحيح البخاري ، باب في عيش النبي (ص) .

(٥) مشكل الآثار ٦٤:٣ .

إبراهيم وآل إبراهيم ، وارحم محمداً وآل محمد كما رحمت إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد» (٦) .

(٦) كنز العمال ٩٦:١، ح  
٢١٨٧.

٦ - عن عائشة قالت : «قال رسول الله ﷺ : قال جبريل عليه السلام : قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ﷺ ، وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم (٧)» .

(٧) الصواعق المحرقة:  
١٢.

٧ - عن عائشة قالت : «إن النبي ﷺ قال : خير إخوتي علي ، وخير أعمامي حمزة ، وذكر علي عبادة» (٨) .

(٨) م . ن : ٧٤.

٨ - عائشة قالت : «قال رسول الله ﷺ : ادعولي سيد العرب ، فقلت : يا رسول الله ، ألسنت سيد العرب ؟ قال : أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب» (٩) .

(٩) مستدرک الصحيحين  
١٢٤ : ٢.

٩ - عن عائشة قالت : «أقبل علي بن أبي طالب يوماً ، فقال رسول الله ﷺ : هذا سيد المسلمين ، فقلت : الست سيد المسلمين يا رسول الله ؟ فقال : أنا خاتم النبيين ورسول رب العالمين» (١٠) .

(١٠) مختصر تاريخ دمشق  
٣٧٦:١٧.

١٠ - عن عائشة قالت : «ما خلق الله خلقاً كان أحب إلي رسول الله ﷺ من علي بن أبي طالب» (١١) .

(١١) كفاية الطالب : ٢٢٤.

١١ - عن عائشة قالت : «قال رسول الله ﷺ : النظر إلى علي عبادة» (١٢) .

(١٢) حلية الاولياء ١٨٢:٢.

١٢ - عن عائشة قالت : «رأيت أبا بكر يكثر النظر إلى وجه علي ، فقلت : يا أبة ، رايتك تكثر النظر إلى وجه علي ، فقال : يا بنية ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : النظر إلى وجه علي عبادة» (١٣) .

(١٣) الرياض النضرة  
٢١٩:٢.

١٣ - سئلت عائشة عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت : «ذاك خير البشر لا يشك فيه إلا كافر» (١٤) .

(١٤) مختصر تاريخ دمشق  
١٥٠:١٨.

١٤ - عن عائشة قالت : «سمعت النبي ﷺ يقول لعلي : حسبك ما لمحيك حسرة عند موته ، ولا وحشة في قبره ، ولا فزع يوم القيامة» (١٥) .

(١٥) تاريخ بغداد ١٠٢ : ٤.

(١٦) مختصر تاريخ دمشق  
٣٦:١٨

- ١٥ - عن عائشة قالت : «علي بن أبي طالب اعلم الناس بالسنة» (١٦) .  
١٦ - عن عائشة قالت : «دخل عليّ على رسول الله ﷺ وهو معي وعليه جرد قطيفة ، فجلس بيننا ، فقلت : أما وجدت مكاناً أوسع لك من هذا ؟ فقال النبي ﷺ : يا عائشة ، دعي لي أخي ، فإنه أول الناس إسلاماً ، وآخر الناس بي عهداً ، وأول الناس لي لقيام يوم القيامة» (١٧) .  
١٧ - عن عائشة قالت : «رأيت النبي ﷺ التزم علياً وقبله وهو يقول بأبي الوحيد الشهيد» (١٨) .

(١٧) الاصابة لابن حجر  
١٨٣:٨

(١٨) الصواعق المحرقة:  
١٢٤

- ١٨ - عن عائشة قالت : «وقد ذكر عندها علي ﷺ قالت : «ما رأيت رجلاً كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه ، ولا امرأة أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته - تعني فاطمة الزهراء ﷺ» (١٩) .

(١٩) الرياض النضرة  
١٦١:٢

- ١٩ - عن عائشة قالت : «قال رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة : ادعوا لي حبيبي فدعوا له أبا بكر ، فنظر اليه ثم وضع رأسه ، ثم قال : ادعوا لي حبيبي فدعوا له عمر ، فلما نظر اليه وضع رأسه ، ثم قال : ادعوا لي حبيبي فدعوا له علياً ، فلما رآه أدخله معه في الثوب الذي كان عليه ، فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه» (٢٠) .

(٢٠) الرياض النضرة  
١٨٠:٢

- ٢٠ - سئلت عائشة عن امير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، فقالت «وما عسيت أن اقول فيه وهو أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ؟ لقد رأيت رسول الله ﷺ قد جمع شملته على علي وفاطمة والحسن والحسين وقال : هؤلاء اهل بيتي ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» (٢١) .

(٢١) تفسير ابن كثير  
٤٩٣:٣

- ٢١ - عن عائشة قالت : «قالت فاطمة يوماً لرسول الله ﷺ وأنا حاضرة فدتك نفسي يا رسول الله ، اي شيء رأيت لي ؟ فقال ﷺ : يا فاطمة ، انت خير النساء في البرية . قالت : يا رسول الله ، فما لابن عمي ؟ فقال ﷺ : لا يقاس به أحد ممن خلق الله» (٢٢) .

(٢٢) الحافظ محمد بن أبي الفوارس، كتاب الاربعين:  
٤٢

- ٢٢ - عن عائشة قالت : «خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط

مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» (٢٣) .

(٢٣) مستدرک الصحيحين  
١٤٧:٣

٢٣ - عن عائشة قالت : «قال رسول الله ﷺ : لما أُسري بي إلى السماء أدخلت الجنة ، فوقفت على شجرة من اشجار الجنة ، لم أر في الجنة أحسن منها ، ولا ابيض ورقاً ، ولا اطيب ثمرة ، فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها ، فصارت نطفة في صلبى ، فلما هبطت إلى الارض واقعت خديجة ، فحملت بفاطمة ، فاذا أنا اشتقت إلى ريح الجنة شممت ريح فاطمة» (٢٤) .

(٢٤) السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى ﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً...﴾ .

٢٤ - عن عائشة قالت : «قلت يا رسول الله مالك اذا جاءت فاطمة قبلتها ، حتى تجعل لسانك في فيها كله ، كأنك تريد أن تلعبها عسلاً؟ قال : نعم يا عائشة ، إني لما أُسري بي إلى السماء أدخلني جبريل الجنة ، فناولني منها تفاحة فأكلتها ، فصارت نطفة في صلبى ، فلما نزلت واقعت خديجة ، ففاطمة من تلك النطفة ، وهي حوراء إنسية ، كلما اشتقت الجنة قبلتها» (٢٥) .

(٢٥) تاريخ بغداد ٥ : ٨٧ .

٢٥ - عن عائشة قالت : «ما رأيت أحداً أشبه سمياً ودلاً وهدياً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته واجلسته في مجلسها» (٢٦) .

(٢٦) صحيح الترمذي  
٣١٩:٢

٢٦ - عن عائشة قالت : «ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله ﷺ ، وكانت إذا دخلت عليه رجب بها وقام إليها ، فأخذ بيدها ، فقبلها وأجلسها في مجلسه» (٢٧) .

(٢٧) مستدرک الصحيحين  
١٥٤:٣

٢٧ - عن عائشة قالت : «إن النبي ﷺ كان كثيراً ما يقبل عرف فاطمة» (٢٨) .

(٢٨) كنز العمال ١٣ : ٣٧٧٢٦

٢٨ - عن عائشة قالت : «ما رأيت أحداً قط اصدق من فاطمة غير أبيها» (٢٩) .

(٢٩) حلية الاولياء ٢ : ٤١٦

٢٩ - عن عائشة قالت : «أقبلت فاطمة تمشي ، لا والله الذي لا إله إلا هو ، ما مشيها يخرم من مشية رسول الله ﷺ ، فلما رآها ، قال : مرحباً بابنتي . مرتين . قالت فاطمة : فقال لي : أما ترضين أن تأتي يوم القيامة سيدة نساء المؤمنين ، أو نساء هذه الأمة» (٣٠) .

(٣٠) ينابيع المودة : ٢٦٠ .

٣٠ - عن عائشة قالت : «كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر قبل نحر فاطمة ، وقال : منها أشم رائحة الجنة» (٣١) .

(٣١) م . ن .

٣١ - عن عائشة قالت : «قال رسول الله ﷺ : فاطمة بضعة مني ، فمن آذاها فقد آذاني» (٣٢) .

(٣٢) م . ن .

٣٢ - عن عائشة قالت : «قلت لفاطمة بنت رسول الله ﷺ : ألا أبشرك ؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيدات نساء أهل الجنة أربع ، مريم بنت عمران ، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية» (٣٣) .

(٣٣) مستدرک الصحيحین

١٨٥:٣ .

٣٣ - عن عائشة قالت : «قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : يا معشر الخلائق ، طأطنوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد ﷺ» (٣٤) .

(٣٤) تاريخ بغداد ١٤١٨ .

٣٤ - عن عائشة قالت ، «قال رسول الله ﷺ لفاطمة : إن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المسلمين اعظم رزية منك ، فلا تكوني ادنى امرأة منهن صبراً» (٣٥) .

(٣٥) فتح الباري ٩: ٢٠١ .

٣٥ - عن عائشة قالت : «إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده جميعاً ، لم تغادر منا واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ ، فلما رآها رحب بها وقال : مرحباً بابنتي . ثم اجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم سارها فبكت بكاءً شديداً ، فلما رأى حزنها سارها الثانية فاذا هي تضحك ، فقلت لها أنا من بين نسائه : خصك رسول الله ﷺ : بالسر من بيننا ثم انت تبكين . فلما قام رسول الله ﷺ سألتها عما سارها قالت : ما كنت لافشي على رسول الله ﷺ سره . فلما توفي قلت لها : عزمت عليك لما أخبرتني ؟ قالت : أما الآن

فعم . فأخبرتني قالت : أما حين سارني في الامر الاول ، فإنه اخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة ، وإنه قد عارضني به العام مرتين ، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب ، فاتقي الله وصبري ، فإني نعم السلف أنا لك . قالت : فبكيت بكائي الذي رأييت ، فلما رأى جزعي سارني الثانية ، قال : يا فاطمة ، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين . أو سيدة نساء هذه الأمة ؟» (٣٦) .

(٣٦) صحيح البخاري،  
كتاب الاستئذان.

٣٦ - عن عائشة قالت : «دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه ، فسارها بشيء فبكت ، ثم دعاها فسارها فضحكت ، فسألته عن ذلك ، قالت : سارني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجهه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته أتبعه فضحكت» (٣٧) .

(٣٧) صحيح البخاري،  
كتاب بدء الخلق، باب  
علامات النبوة في الاسلام.

٣٧ - عن عائشة قالت : «عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين يوم السابع ، وسماهما وأمر أن يماط عن رؤوسهما الاذن» (٣٨) .

(٣٨) مستدرک الصحيحين  
٢٣٧:٤.

٣٨ - عن عائشة قالت : «إن النبي ﷺ كان يأخذ حسناً فيضمه إليه ثم يقول : اللهم إن هذا ابني وأنا أحبه فأحبه وأحب من يحبه» (٣٩) .

(٣٩) كنز العمال ١٣:٦٥٢، ح  
٣٧٦٥٢.

٣٩ - عن عائشة قالت : «دخل الحسين بن علي على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه ، فنزا على رسول الله ﷺ وهو منكب وهو على ظهره ، فقال جبريل لرسول الله ﷺ : أتحنه يا محمد ؟ قال ﷺ : وما لي لا أحب ابني ؟ قال : فإن امتك ستقتله من بعدك ، فمد جبريل ﷺ يده فأتاه بتربة بيضاء ، فقال : في هذه الارض يقتل ابنك هذا ، واسمها الطف . فلما ذهب جبريل من عند رسول الله ﷺ ، خرج رسول الله ﷺ والتزمه في يده يبكي ، فقال : يا عائشة ، إن جبريل اخبرني أن ابني حسين مقتول في أرض الطف ، وأن أمتي ستفتن بعدي . ثم خرج إلى أصحابه فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر رضي الله عنهم ، وهو يبكي ، فقالوا : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف ، وجاءني بهذه التربة ، واخبرني أن فيها مضجعه» (٤٠) .

(٤٠) مجمع الزوائد ٩:١٨٧.



## من ألبا، القصر

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام في  
أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

### □ الجمهورية الإسلامية في إيران

#### حرية الرأي والفكر

في إطار حرية الرأي  
والكلمة والفكر التي عاشتها  
الساحة الإيرانية منذ اليوم الأول  
لتأسيس الدولة الإسلامية  
الحديثة ، شهدت الحركة الثقافية  
والفكرية في إيران الواناً متميزة  
من الحوار بين المختصين  
والمهتمين ، في شتى مجالات

المعرفة ، ولاسيما المعرفة الدينية  
والاجتماعية والسياسية ، وهذا  
الواقع نادراً ما نجد له نظيراً في  
البلدان التي تعيش المستوى  
الاجتماعي والخلفيات التاريخية  
نفسها ، وهو نتاج الاداء الراقي  
للحرية المتوازنة المرشدة التي  
كفلها دستور الجمهورية  
الإسلامية ، الامر الذي اثرى  
الساحة الفكرية والثقافية

السياسية ، واصلها إلى مستوى عال من العمق والنضوج .

هذا الواقع الحر المنفتح لا يعني أننا يجب أن ندفع ضريبته ، من خلال وجهه الآخر الذي لا يخلو من اللبس والضبابية . ولهذا الوجه مظاهره المرفوضة التي ازدادت بروزاً خلال السنوات الأخيرة ، واهمها استغلال بعض المثقفين والاكاديميين شمولية مواضيع الحوار وسعتها وانفتاح الساحة ، فراحوا يزاولون اختصاصات بعيدة عن اختصاصاتهم ، ومنهم من ينظر لقضايا فقهية وعقائدية دقيقة هي من اختصاص «أهل الذكر» . بل تجد أن قسماً من هؤلاء لا يتردد في الاعتداء حتى على اليقينيات الدينية ، بعد أن يتصور نفسه قادراً على الحديث والنقاش في أي مجال ، فيكون كطبيب الاسنان الذي ينظر في عالم الذرة . في حين أن عصر التخصص والدعوة للتخصص الذي يعيشه العالم يقتضي ايضاً احترام تخصص الفقهاء وعلماء العقيدة ،

دون أن يستثني الفقه والعقيدة من الدعوة لاحترام التخصص .

ادئ هذا التداخل في الاختصاصات إلى زيادة سوء فهم بين بعض المتحاورين ؛ لأن أحدهم لا يفهم لغة الآخر . وعدم الفهم هذا يؤدي بدوره إلى إساءة لغة الحوار - احياناً - فتتحول إلى نوع من الجدل الشخصي ، الذي يتجاوز الموضوع إلى استخدام آليات غير علمية خارجة عن حدود اللياقة ، وحينها يصيب التراشق قضايا في غاية الحساسية لها علاقة باستقرار المجتمع وأمنه الثقافي والاجتماعي .

ومن المظاهر المرفوضة ايضاً ، تضحية بعض اطراف الحوار بالحقيقة من اجل المصلحة الفئوية ، وبما أن هذه المصلحة تضيق النظرة إلى موضوع الحوار ، فإن الهدف من الحوار سيكون مجرد تحقيق مكسب فئوي ، وليس الوصول إلى الحقيقة ، وعندها تكون آلية الحوار سياسية محضة وبعيدة

الساحة الاسلامية . بل لا يؤمنون بأصل الجمهورية الاسلامية ونظامها ودستورها . إلا أنهم تمكنوا من حشر انفسهم بين المتحاورين ليمارسوا لعبتهم التآمرية ، ويحققوا اهداف غزوهم الفكري ومراميهم السياسية الخاصة .

ولكي لا يبقى حديثنا عن حرية الرأي محصوراً في اطار النقد النظري ، نشير إلى مفردة واحدة من مفردات الحوار الدائر في الساحة ، وهي «ولاية الفقيه» .

إن موضوع سلطة الفقيه الحاكم وطبيعة ولايته ونوعية قيمومته ليس خطأ احمر أو موضوعاً حساساً بذاته ، لأن الفقهاء ظلوا يدرسونه ويناقشونه منذ مئات السنين ؛ إلا أن النظرة غير الموضوعية لبعض اطراف الحوار إلى هذه القضية ، جعل البحث يخرج عن اطاره العلمي ويدخل في اطار المزايدات أو المناقصات السياسية والفتوية فمن جهة نشاهد بعض الكتاب والمثقفين

عن المنهج العلمي والواقعي . وفي هذا الاطار نجد أن الفتوي لا يمانع خلال الحوار من التنازل عن بعض مبادئه واصوله الفكرية من أجل كسب فئات اخرى ، وإن لم تكن تنتمي للساحة الاسلامية ، أو الدفاع عن عناصر معينة وعن افكارهم وممارساتهم ، وإن لم يكن يعتقد بها ، وذلك لمحاصرة الفئات المنافسة . وهذه الحالة تؤدي إلى تعقيد الاوضاع وخلق الاوراق بصورة غير معقولة ، وتفتح الابواب امام غير الاسلاميين واعداء الثورة للمزيد من النفوذ في اوساط الاطراف الاسلامية .

اما المظهر الاكثر رفضاً وخطورة في هذا المجال ، فيتمثل في سهولة حركة المندسين والمتآمرين ، الذين يتلخص مهمهم في اثاره الشغب الفكري والثقافي في الساحة ، واشغالها بانواع من الجدل العقيم ، والواقع إن هؤلاء المندسين لا يؤمنون بأي طرف سياسي وفكري من اطراف

يناقشون مبدأ «ولاية الفقيه»  
وصلاحياته ومساحة ولايته ،  
مناقشة سياسية سطحية خالية  
من أية مقومات علمية ، وكأنه  
واحد من أبسط الموضوعات  
الثقافية ، أو الاحداث السياسية  
اليومية ؛ ورغم أن هذا البعض  
يصعب عليه حتى فهم رسالة  
عملية فقهية . إلا أنه لا يمانع من  
البحث ببساطة متناهية في  
موضوع فقهي وعقائدي عميق ،  
يحتاج الامام به إلى استيعاب  
العديد من العلوم والمعارف  
التخصصية ، كعلوم القرآن  
والحديث والرجال والعربية والفقه  
والاصول والكلام وغيرها .

ومن جهة اخرى عمدت بعض  
الاتجاهات إلى محاولة التعرض  
للعמוד الفقري للفقه السياسي  
لمدرسة أهل البيت (عليه السلام) ، بهدف  
ضرب المدرسة الاسلامية  
ونظامها القائم من الجذور ؛  
فراحت تطرح فهمها الخاص لمعنى  
الولاية ، ولخصته بمعاني  
التفويض الالهي ، والابوة ،

والقيومية ، والوصاية على  
المجتمع ، وهي مصطلحات منفردة  
ترادف الاستبداد ، والدكتاتورية ،  
ومستقاة من المناهج الغربية لعلوم  
السياسة والقانون في دراستها  
للنظريات والنظم الشيوقراطية  
التاريخية ، ونظريات نشوء الدولة  
وغيرها . وهي عموماً مناهج  
ونظريات لا تقرها النظرية  
السياسية في الاسلام .

يخلص دعاة هذه الاتجاهات  
إلى نفي حاجة المجتمع إلى الولاية،  
لأن نظرية التفويض الالهي ماتت  
وانقرضت ، وأن المجتمع ليس  
يتيماً ، ولم يعد قاصراً لكي يحتاج  
إلى أبٍّ وقيّم ، بل إن البشرية  
وصلت إلى مرحلة البلوغ والرشد  
العقلي والفكري .

وهذه النتيجة الساذجة التي  
تستهدف وعي الأمة ، وتعمل على  
تسطيحه والسخرية منه ، فهذا  
الرشد المطلق ليس له إلا ثلاث  
تفسيرات :

الاول : يعبر عن التصور الديني  
ويعني أن المجتمع الراشد بالمطلق

قد بلغ مرحلة العصمة ، وافراده ادركوا مرتبة اليقين بأجمعهم ، وباتوا بمستوى لا يحتاجون معه إلى ولي وقائد ومرشد ، أو مرجعية فكرية واجتماعية .

الثاني : هو التفسير الماركسي ، الذي يعني بلوغ المجتمع مرحلة الشيوعية الكاملة ، التي تنفي الحاجة للسلطة والحكومة .

الثالث : ما تقول به الديمقراطية البدائية أو المباشرة ؛ والتي اعترف كل دعاة الديمقراطية ماضياً وحاضراً باستحالة تطبيقها ، لأنها تتيح لكل فرد أن يمارس الحكم ممارسة مباشرة .

وربما عاد دعاة الرشد الاجتماعي المطلق وقالوا : صحيح أن الناس لا يحتاجون إلى ولي ووصي وامام ، إلا أنهم يحتاجون إلى حكم يمثلهم ، أو الذي ينبثق عن ارادتهم ، أي الحكومة الوكيلية عنهم .

وعند هذه النقطة يعود ايضاً ، السجال عن الوكالة والاصالة ؛ من هو الاصيل الأمة أم الإمام ؟ ومن

يمثل من ، الأمة تمثل الإمام أم الإمام يمثل الأمة ؟ ، وهو سجال عقائدي وفقهي وفلسفي عميق ، لا يمكن البت فيه بالسهولة التي يتحدثون بها على منابرهم السياسية والثقافية .

إن الاسلام كان ولا يزال خيار الناس الحر ، فهم الذين انتخبوا الاسلام ونظامه السياسي انتخاباً حراً ، كما انتخبوا ولاية الفقيه نظرياً وعملياً بارادة حرة ايضاً . مرة عندما صوتوا على الدستور الذي أقر الولاية ، واخرى عندما اجمعوا على قيادة الامام الخميني (ع) ، وثالثة عندما قام نواب الأمة «الخبراء» بانتخاب الامام الخامنئي ولياً للامر .

إنها ارادة الامة التي قررت أن يكون لها ولي . والناس اختاروا أن يكون لهم امام ؛ فما لهؤلاء و ارادة الامة ؟

إن مضمون الولاية لا يعني القيمومة على الناس وعلى تفكيرهم وعلى حركتهم ، كما لم يطرح الفقهاء هذا اللون من

المرشد ، بالشكل الذي لا ترقى إليه  
أياً من الديمقراطيات المعاصرة .  
وهو نتاج الآلية الدقيقة التي  
ثبّتها دستور الجمهورية الاسلامية  
والتي جمعت بين خلافة الامة  
وشهادة الفقيه .

ومن وجهة نظر مدرسة أهل  
البيت عليهم السلام ، فإن الضرورات التي  
ادت إلى استمرار رسالة الانبياء  
في الأئمة عليهم السلام ، حتى قيام يوم  
الدين ، هي ضرورات لا يحدها  
زمان أو مكان ، وتظل قائمة ، وهي  
تتجسد في الواقع إما بالاصالة ،  
أي بشخص الامام المعصوم عليه السلام ،  
أو بالوكالة والنيابة ، أي بشخص  
الولي الفقيه . وهذه الاستمرارية  
التي صرّحت بها الاصول  
المقدسة ، تدل بوضوح على حاجة  
البشرية المستمرة إلى المرشد  
والبشير والنذير والحاكم والولي .

### العلاقات الخليجية - الإيرانية

مرت العلاقات الخليجية -  
الايرانية بالعديد من المراحل ، تبعاً  
للظروف الاقليمية والدولية التي  
احاطت بها ، وألقت بتأثيراتها

القيومية ، بل إن ولاية الفقيه تعني  
المسؤولية والمرجعية السياسية  
والدينية والقضائية ، وهي في  
النتيجة رئاسة الدولة ورئاسة  
الحكم .

فالولي الفقيه هو ولي الامر ،  
والامر هنا يعني قيادة الامة وحكم  
الامة ، وليست القيمومة والوصاية.  
القيومية الحقيقية في الدولة  
الاسلامية هي للشريعة ﴿أمر إلا﴾  
تعبدوا إلا بإياه ذلك الدين القيم ﴿﴾ ، أما  
رئيس الدولة الاسلامية وامام  
الأمة ، أو الولي الفقيه ، فهو الأمين  
على الشريعة ، وهذه الامانة التي  
تعني المرجعية في الشريعة  
والمسؤولية تجاهها هي قيمومة  
من نوع آخر ، من باب «العلماء  
حكام على الناس» .

وقيمومة الشريعة وولاية  
الحاكم الشرعي ، لا تتعارضان مع  
حرية الامة في اختيار حكامها ،  
ومع الحقوق والحريات السياسية ،  
بل إن الشريعة هي التي كفّلت هذه  
الحقوق ، واعطت حرية الأمة  
وارادتها مضمونها المتوازن

وتحول التوتر إلى اشتباك

عسكري بين العراق وايران بصورة مباشرة ، ودول اخرى خليجية بشكل غير مباشر ، فوقفت هذه الدول إلى جانب العراق تدعمه مادياً ومعنوياً .

وخلال هذه المرحلة حاول العراق أن يحول الحرب إلى حرب عربية - فارسية ، بدعوى أنه يدافع عن البوابة الشرقية للأمن القومي العربي ضد طموحات الهيمنة الفارسية .

إلا أن الغزو العراقي لدولة الكويت عام ١٩٩٠م ، أدى إلى ايجاد مرحلة جديدة ، تتسم بسمات جديدة في العلاقات بين الدول الخليجية والجمهورية الاسلامية في ايران ، حيث أدانت طهران الغزو العراقي لدولة الكويت .

أحدث غزو الكويت صدمة كبيرة لدول العالم العربي بشكل عام ، ودول الخليج الفارسي بشكل خاص ، واطاح بالعديد من المسلّمات الخاصة بمصادر

عليها .

ففي عهد الشاه كانت ايران تلعب دور الشرطي في المنطقة ، كما كانت طرفاً في كل التحالفات التي قامت بدعم اميركي ، لتنفيذ اهداف السياسة الاميركية في الشرق الاوسط . وكان لايران طموحاتها الاقليمية الواضحة في الدول المجاورة ، سواء في فترة الوجود البريطاني في الخليج ، أو بعد انسحاب بريطانيا منه عام ١٩٧١م ، وقد حالت دون تحقيقها اسباب عديدة ، إلا إنها ادت إلى توتر العلاقات الخليجية - الايرانية في بعض الفترات .

وبعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩م ، صاحب هذا الانتصار عداً اميركي شديد لتطويق الثورة الاسلامية والقضاء عليها . وأحد صور هذا العدا البغيض هو الحرب العراقية - الايرانية عام ١٩٨٠م ، التي استمرت ثمانى سنوات ، حيث بدأت مرحلة جديدة من مراحل العلاقات الخليجية - الايرانية ،

التهديد لأمن الخليج الفارسي والأمن القومي العربي بشكل عام ، التي كانت ايران تعتبر من ضمنها بنظر الدول الخليجية قبل الغزو ، وبالتالي بدأت ارهاصات التقارب بين دول مجلس التعاون الخليجي والجمهورية الاسلامية في ايران ، إلا إنها مشوبة بالحدز ، غير أن الترتيبات الأمنية التي تم ارساؤها في المنطقة بعد انتهاء عملية عاصفة الصحراء ، التي اعتمدت على الاتفاقيات الامنية مع الدول الكبرى ، وإعلان دمشق الذي ضم إلى جانب دول مجلس التعاون الخليجي الست مصر وسوريا ، قد اغضب الجمهورية الاسلامية في ايران بشدة ، حيث عارضت طهران وجود أي قوات اجنبية أو عربية غير خليجية ، استناداً الى أن أمن الخليج الفارسي مسؤولية دولة ، وأن الجمهورية الاسلامية في ايران طرف محوري في أي ترتيبات بهذا الشأن .

وخلال هذه الفترة حدثت بعض التوترات بين دول مجلس التعاون

الخليجي والجمهورية الاسلامية ، حاولت بعض الاطراف الدولية وعلى رأسها اميركا إذكاءها وتصعيدها ، إلا إن التعامل الحكيم معها من قبل الاطراف المعنية - دول الخليج الفارسي وايران - حال دون تفاقمهما .

ورغم تصعيد التشدد الاميركي تجاه الجمهورية الاسلامية في ايران ، وسعي واشنطن إلى محاصرتها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، سواء من خلال قانون داماتو ، الذي قرر فرض عقوبات اقتصادية اميركية على أي شركة تستثمر في قطاع الطاقة الايراني أكثر من ٤٠ مليون دولار ، أو من خلال الضغط على روسيا والصين وكوريا لقطع تعاونهم العسكري مع الجمهورية الاسلامية في ايران ، بدأت مرحلة جديدة من مراحل العلاقات الخليجية - الايرانية ، التي عبرت عن نفسها من خلال عدة مظاهر ، اهمها اللقاء الذي تم بين الرئيس الايراني السابق الهاشمي الرفسنجاني ،



وخلال هذه الفترة بدأت صورة الجمهورية الاسلامية في ايران تتغير في الإدراك السياسي والأمني الخليجي ، وهذا ما عبر به في العديد من المظاهر ، منها التأكيد على أن الجمهورية الاسلامية في ايران طرف اساسي ومحوري في منطقة الخليج الفارسي ، لا يمكن استبعادها عند الحديث عن أي ترتيبات اقليمية أمنية أو سياسية فيه .

كذلك المطالبة بمحور عربي - ايراني ضد المحور الصهيوني التركي ، ولمواجهة التحديات المشتركة سواء في منطقة الخليج الفارسي ، أو على مستوى منطقة الشرق الاوسط بشكل عام .

وقد تغيرت اللهجة الخليجية تجاه الجمهورية الاسلامية بصورة واضحة ، في البيانات الصادرة عن اجتماعات قمة دول التعاون الخليجي ؛ إذ لم تعد المناورات العسكرية الايرانية تغضب دول مجلس التعاون ، والمثال البارز في هذا الشأن هو

وولي العهد السعودي الامير عبدالله بن عبد العزيز ، على هامش اجتماعات مؤتمر القمة الاسلامي الاستثنائي في الباكستان عام ١٩٩٧م ، والذي كان أول لقاء خليجي - ايراني على هذا المستوى منذ انتصار الثورة الاسلامية في ايران ، وكذلك الجولة التي قام بها وزير الخارجية الايراني السابق علي اكبر ولايتي لدول الخليج ، لدعوتها لحضور مؤتمر القمة الاسلامي في طهران عام ١٩٩٧م .

وعند وصول السيد الخاتمي إلى رئاسة الجمهورية في نهاية عام ١٩٩٧م ، أكد على أن العلاقات الايرانية بدول الجوار هي من اولويات اهتماماته ، وكان مؤتمر القمة الاسلامي الذي انعقد بطهران نقطة انطلاق في العلاقات الخليجية - الايرانية . وهذا ما انعكس في حجم الزيارات المتبادلة ، واتفاقيات التعاون التي عقدت بين الجمهورية الاسلامية في ايران ودول الخليج الفارسي .

وقد جاءت زيارة الرئيس  
الخاتمي إلى دولتين من دول  
الخليج الفارسي هما السعودية  
وقطر هذا العام ، لتعزز هذه العلاقة  
الاسلامية ، المبنية على الحب  
والخير والتآخي بين الشعوب  
المسلمة .

\* \* \*

#### □ فلسطين

#### نوايا باراك الحقيقية من عملية التسوية

إن البعض يعتبر موقف  
وتصور باراك من عملية التسوية  
غامضاً ، إلا إنه كان واضحاً جداً  
في مواقفه وفي تصوره لعملية  
التسوية ومساراتها .

فعلى الصعيد التكتيكي نلاحظ -  
من خلال تحركاته ، وما تنشر  
الصحافة الصهيونية والغربية - أنه  
يركز على الأمور التالية :

١ - اعطاء الاولوية للمفاوضات  
مع سوريا ، وتأجيل المسار  
الفلسطيني ، لأنه على عكس

تجربة إطلاق صاروخ شهاب - ٣  
الايراني ، الذي قالت عنه دول  
الخليج إنه لا يمثل أي مصدر تهديد  
لها ، وقالت الجمهورية الاسلامية  
في ايران إن قدراتها العسكرية  
تحت تصرف دول الخليج  
الفارسي العربية .

وقد ساعد على هذا التوجهات  
الموقف الايراني المتفق مع  
الموقف الخليجي في العديد من  
القضايا ، مثل التحالف بين تركيا  
والكيان الصهيوني ، واسعار  
البتترول وغيرها .

هذا إضافة إلى أن كل من دول  
الخليج الفارسي والجمهورية  
الاسلامية في ايران ، تتمتعان  
بموروث ثقافي واسلامي عريق ،  
لذا فإن لديها القدرة على التفاهم  
والتنسيق على مختلف المجالات ،  
ودعم علاقات الصداقة ، لأن في  
ذلك تحقيقاً للمصالح المشتركة ،  
ومواجهة تحديات التحالفات  
العسكرية الاجنبية ضد الشعوب  
المسلمة في المنطقة بشكل خاص ،  
والعالم الاسلامي بشكل عام .

٢ - اغراق الفلسطينيين بالوعود  
الخادعة لالهائهم وتخديرهم ،  
وبنفس الوقت يوظف الاجواء التي  
تخلقها تصريحاته ووعوده ، بدفع  
السلطة الفلسطينية نحو تشديد  
حملتها القمعية للمقاومة  
الاسلامية لحركتي حماس  
والجهاد الاسلامي . علماً أن باراك  
قد شدد في حديثه بمناسبة تشكيل  
حكومته على ما اسماه الامن  
الصهيوني ومحاربة الارهاب على  
حد زعمه . وهذا يعني أن باراك  
سيظل ينازل عرفات وسلطته ،  
ويفرض عليهما الشروط تلو  
الشروط إلى أن ينهي الترتيبات مع  
سوريا ، ولعل ما يؤكد هذا التحرك  
التكتيكي هو طلب الرئيس  
المصري من عرفات الانتظار  
لاعطاء مهلة لباراك للتحرك على  
المسارات الاخرى .

٣ - اعطاء الاولوية لعملية  
التطبيع مع الدول العربية ، فبارك  
وحزب العمل يريان ضرورة أن  
تواكب عملية التطبيع - بل أن  
تسبق تلك العملية - خطوات

تصورات ننتيا هو وحزب الليكود ،  
يرى ان تحريك المسار السوري  
والتوصل إلى اتفاق مع سوريا ،  
سوف يحقق للكيان الصهيوني  
جملة مكاسب هي :

أولاً - تعبيد الطريق امام  
الاختراقات الصهيونية للسوح  
العربية ، وبالتالي تسريع عجلة  
التطبيع الصهيونية مع الدول  
العربية ، التي تتحرك باتجاهات  
مختلفة .

ثانياً - تقويض القضية  
الفلسطينية ، وبالتالي فرض  
الشروط الصهيونية المناسبة على  
عرفات وسلطته الذاتية ، والاتفاق  
مع الطرف الفلسطيني بالشكل  
الذي يمتناسب والمشروع  
الصهيوني .

ثالثاً - أن الاتفاق مع سوريا  
يهيئ للعدو الجو المناسب  
للانسحاب من جنوب لبنان ،  
والتخلص من حرب الاستنزاف  
عالية التكاليف مع المقاومة  
الاسلامية لحزب الله في الشريط  
المحتل .

التسوية نفسها ، باعتبارها جزءاً من المكافآت العربية التي ينبغي على العرب منحها للكيان الصهيوني لقاء تحريك باراك عملية التسوية ؛ لأن الاستراتيجية التفاوضية الصهيونية أوصلت العرب التسويين إلى مستوى من التفكير ، باتوا يعتبرون فيه أن مجرد تحريك التسوية من قبل العدو يعتبر مكسباً للعرب .

أما على الصعيد الاستراتيجي ، فبارك أوضح موقفه بوضوح ، وهو أن القدس الموحدة ستظل عاصمة الكيان الصهيوني ، وأن المستوطنات ستظل على حالها دون أن يمس القوائم منها ، ومعارضته لقيام دولة فلسطينية ذات سيادة ، وعدم الانسحاب إلى حدود ما قبل ٤ حزيران ١٩٦٧م . كما أن هناك أولويات استراتيجية أخرى هي :

١ - اجراء اتفاقات مع سوريا ولبنان والفلسطينيين ، لتهيئة الاجواء لاستيعاب المزيد من اليهود الجدد ، من خلال الايحاء

بأن الكيان الصهيوني أصبح مستقراً ، ويتمتع بالأمن فلا خوف ولا قلق على حياتهم واستقرارهم في الارض المحتلة . أي أن العدو يريد من التسوية تحقيق اهدافه الاستراتيجية الكبرى من اقامة ما يسميه اسرائيل الكبرى ، لأن زيادة عدد اليهود تعني طرد المزيد من الفلسطينيين من الارض المحتلة ، والتمدد على حساب الدول المجاورة بشكل وآخر .

٢ - على الصعيد الفلسطيني ، يحاول باراك القفز على الاتفاقات الاخيرة ، من خلال دمج مفاوضات المرحلة النهائية والدخول في ترتيب الوضع النهائي ؛ ويهدف ذلك إلى تفادي الانسحاب الثالث الذي ينص عليه اتفاقاً ريفر واوسلو ، وهو الانسحاب من جزء من مناطق يعتبرها الكيان الصهيوني مناطق استراتيجية لا يمكن التفريط بها بأي حال من الاحوال .

إن الشعارات التي يطلقها باراك حول السلام ، والتي اصابته معظم

الامة الاسلامية ووعيتها ، ويعد في مرحلة الهزيمة من اخطر ادوات هيمنة ثقافة التلمود الصهيونية العنصرية ، ويسعى إلى الإقرار بشريعة الغزو والاحتلال واغتصاب الارض والحقوق .

وقد أثار قيام جمعية أهلية غير حكومية باسم حركة القاهرة للسلام عام ١٩٩٧م ، هدفها التعامل مع حركات السلام في اسرائيل واوروبا واميركا ، أثار غضب الشارع المصري بشكل عام والسياسيين والمثقفين المصريين بشكل خاص ، مما حدا ببعض المثقفين والسياسيين ، وكذلك اعضاء في البرلمان وممثلون وصحفيون ، إلى انشاء جمعية تدعى اللجنة المصرية العامة للمقاطعة ، هدفها مقاطعة اسرائيل واميركا ومقاومة التطبيع.

وعلى رغم الفارق العددي الواضح بين مؤسسي هذه الجمعية (٢٥ عضواً) بالمقارنة بجمعية التطبيع (٣٠٠ عضواً) ، فقد كانت جمعية المناهضين للتطبيع

القادة العرب بالذهول ، هو من اجل اخفاء نواياه الحقيقية تجاه التسوية ، والتي لم يفصح عنها قبل انطلاق المفاوضات ، وهذا مما يؤشر إلى أنه سيستمر في اطلاق الشعارات الطنانة بشأن السلام ، حتى يتيقن من تحقيق أمرين هما : الاول - اعادة تعبئة الرأي العام الدولي عموماً والاميركي خصوصاً ، ليكون إلى جانب الكيان الصهيوني في أي مفاوضات قد تجري في المستقبل .

الثاني - إلغاء الصورة القاتمة التي رسمها نتنياهو عن الكيان الصهيوني بشأن السلام في المنطقة .

\* \* \*

□ مصر

### التطبيع الثقافي مع الكيان الصهيوني

إن التطبيع الثقافي مع الكيان الصهيوني يشكل اختراقاً لذاكرة

نشاطها بعد اعقاب هزيمة نتنياهو في الانتخابات الاسرائيلية ، ودعوة الجمعيات الاوربية ، مستغلة موجة الامل الكاذب في العالم العربي في اعقاب فوز باراك . وعقدت لقاءات في عواصم اوربية لهذا الغرض ، انتهت بالاتفاق على عقد مؤتمر عالمي للمنظمات والجمعيات التطبيعية غير الحكومية في القاهرة ، ثم اجتماع ثان في مدينة رام الله الفلسطينية ، لاستثمار قوة الدفع التي بدأت عقب هزيمة نتنياهو في اعادة الثقة للشارع العربي تجاه السلام ، وتنسيق الجهود لحث الاطراف الاسرائيلية والفلسطينية والسورية على استئناف التفاوض ومعاودة التطبيع والتعاون الاقليمي .

وقد اشتعلت الساحة السياسية المصرية في اعقاب اعلان حركة القاهرة للسلام عن عقد مؤتمرها بالقاهرة ، وما اشيع من أن الحكومة المصرية ترعى الاجتماع ، وأن الرئيس المصري سيوجه

اكثـر ظهوراً ، ثم بدأت تتوسع بحيث اصبحت تضم قرابة عشرين عضواً بالبرلمان ، واربعة عشر من الوزراء السابقين ، وسبعة وعشرين فناناً وشاعراً ، وثلاثة وخمسين من الكتاب والصحفيين .

كما انشئت لجان وجمعيات اخرى لمقاومة التطبيع رداً على حركة القاهرة للسلام .

ظل نشاط حركة القاهرة شبه مجمد طوال عام ١٩٩٨م ، والنصف الاول من العام الحالي ١٩٩٩م ، سبب سياسات رئيس الوزراء الصهيوني السابق نتنياهو ، التي جمدت رسمياً أي حديث عن تفاوض أو سلام ، واقتصـر الامر على بضع زيارات متبادلة قليلة بين اعضاء الحركتين المصرية والاسرائيلية ، وساعد على تقليص عمل الحركة المصرية وفاء رئيسها الفعلي والمحرك لنشاطها لطفي الخولي .

استؤنفت حركة القاهرة للسلام

جمعية اللجنة المصرية العامة للمقاطعة ، ضم المئات من رموز المثقفين والسفراء والصحفيين والسياسيين والفنانين والمفكرين والعلماء المصريين .

تحدث فيه الحاضرون منددين بالمؤتمر التطبيعي ، ووصفوا المشاركين فيه بأنهم من ممثلي الفئات الطفيلية المتصهنة وسماسرة الثقافة ، وممن يسعون إلى تسويق العدمية والاستسلام كعنوان لثقافة التجدد والتكيف مع الهيمنة الاميركية ، وما تسعى إليه من تحطيم للعقل العربي الاسلامي وتكريس للهزيمة .

وقد خرج المؤتمر بتوصيات ، أهمها :

١ - تشكيل جبهة مصرية ضد التطبيع .

٢ - انشاء لجنة لمتابعة هذه الجبهة .

٣ - دعم جهود الجمعيات واللجان المصرية والعربية الاسلامية القائمة على مقاومة التطبيع .

كلمة للاجتماع ، وأن وزير الخارجية المصرية سيلقي خطاباً افتتاحياً ، وأن قرابة ٥٠٠ ضيف بينهم ياسر عرفات وشمعون بيريز ، وممثلون وسفراء اجانب يمثلون البلدان الاوربية والامم المتحدة ، والولايات المتحدة الاميركية ، وكذلك ٦٠ شخصية اسرائيلية و ٦٠ شخصية فلسطينية و اردنية ، وشخصيات خليجية اكاديمية واقتصادية ، سيحضررون المؤتمر .

ولكن الحكومة المصرية والسلطة الفلسطينية ، عادتاً فسحبتا رعايتهما للمؤتمر ، وامتنعتا عن ارسال مندوبين رسميين لحضوره ، وكانت الحجة أن المؤتمر للجمعيات الاهلية غير الحكومية .

وفي الوقت الذي افتتح فيه مؤتمر القاهرة للسلام وسط مظاهرة سياسية محدودة ، واجراءات أمنية مشددة للغاية في القاهرة ، كان يعقد في نفس اليوم مؤتمر مناهض للتطبيع برعاية

وبين الهجمة الاستعمارية والغزو  
الفكري ، الذي تعرضت له هذه  
المجتمعات منذ أكثر من مئة سنة .  
بل إن هناك أدلة كثيرة تؤكد أن  
الذين حملوا بذرتها الاولى  
وادخلوها البلاد الاسلامية ، كانوا  
مأجورين لدى السلطات  
الاستعمارية ، وبخاصة البريطانية  
والفرنسية .

كذلك توضح الاعمال الفكرية  
والثقافية للعلمانيين في بلاد  
المسلمين ، أن اهتماماتهم قد  
انطلقت دوماً من منطلقات  
ايديولوجية ، اساسها ازدراء قيم  
المجتمع الاسلامي وتقاليد  
وعقيدته ، والتفكير نيابة عن  
الناس ، وفرض الوصاية الفكرية  
عليهم ، وادعاء امتلاك الحقيقة ،  
ووصم المخالفين بالجهل  
واقصاؤهم بكل الوسائل .

وقد دأبوا على القول إن  
العلمانية تعني فقط «فصل الدين  
عن الدولة» في المجال السياسي ،  
وأنها في بقية المجالات دعوة للعلم  
اساسها العقل ، وهدفها التقدم

٤ - اعتبار جميع الاتفاقات التي  
أبرمتها النظم العربية مع الكيان  
الصهيوني غير ملزمة .

هذا وقد شهدت العاصمة  
الاردنية معارضة واسعة لانعقاد  
مؤتمر حركة القاهرة للسلام ، وقد  
اصدرت جهات اردنية تمثل  
الاحزاب والنقابات ونوادي ولجان  
مكافحة التطبيع ، بياناً شديداً  
اللهجة جاء في بعض فقراته : «إن  
المؤتمر المذكور يعقد في ظل  
ظروف تستدعي أكثر من أي وقت  
مضى تصليب الموقف المناهض  
للاحتلال ومشاريعه التوسعية ،  
ومساندة المقاومة الباسلة في  
جنوب لبنان والاراضي الفلسطينية  
المحتلة» .

\* \* \*

#### ٥ تركيا

##### استفحال النفوذ الصهيوني

يوضح لنا تاريخ العلمانية أن  
ثمة علاقة وثيقة بين بدايات  
دخولها مجتمعاتنا الاسلامية ،



أو عارضة يقوم بها العلمانيون على سبيل التجاوز، أو الخطأ الذي يمكن علاجه، وإنما هي أمور متأصلة ومتجذرة في عمق الفكرة العلمانية، والمتابع لما تنشره وسائل الاعلام التركية، يجد أن موضوع الجمهورية الاسلامية في ايران بارز بشكل لافت للنظر، فالأوساط السياسية التركية منذ فترة تحاول زج الجمهورية الاسلامية في كل صغيرة وكبيرة تحصل في تركيا، فمرة تتهمها بأنها تدعم حزب الله التركي، وأخرى بأنها تدعم حزب العمال الكردستاني، ومرة ثالثة بأنها تدعم المحجبات التركيات، وما إلى ذلك من الاتهامات التي لم تنته قائمتها.

والملاحظ أن الحملة الاعلامية التركية التحريضية ضد الجمهورية الاسلامية في ايران، زادت وتيرتها منذ اعتقال الجواسيس اليهود في ايران، والذين اكدت طهران أنهم كانوا يتجسسون لصالح الكيان

وإشاعة قيم التسامح والحوار، والقبول بالآخر.

ولكن متابعة افعالهم تظهر أنهم يمارسون خطاباً مزدوجاً له وجهان:

الوجه الاول: هو الوجه الجميل الذي يؤكد على العلم والعقلانية والتسامح والقبول بالآخر، وذلك طالما كانوا بعيدين عن سلطة الحكم ومؤسسات الدولة.

والوجه الثاني: هو الوجه القبيح الذي يظهر عندما تقع سلطة الحكم في أيديهم، ويسيطرون على مواقع التأثير في مؤسسات الدولة، وهو الوجه الذي تكشفه ممارسات العنف، والاحتكار، والاقصاء، ونفي الآخرين، الذين لا يشعرونهم في الرأي، ويختلفون معهم في التوجه، وبخاصة من اصحاب الاتجاه الاسلامي الذين يمثلون الاغلبية الساحقة من ابناء الامة الاسلامية.

إن العنف، واحتكار الحقيقة، واقصاء الغير، ليست اموراً طارئة

الصهيوني .

ويمكن تفسير هذه الحملة الاعلامية التحريضية التركية بسبب استفحال النفوذ الصهيوني في تركيا ، إلى حد السيطرة على القرار السياسي التركي ، وذلك من خلال الاتفاقات والتعاون في المجالات العسكرية ، والتي سرعان ما تتطور إلى معاهدات امنية . وهذا الاسلوب استخدمه الكيان الصهيوني مع كل من اوغندا وارييتيريا ، ويستخدمه الآن مع السلطة الفلسطينية ، وذلك من اجل أن يتحكم بالقرار السياسي في هذه البلدان .

وهدف وغاية الكيان الصهيوني من وراء التصعيد الاعلامي والسياسي التركي ضد الجمهورية الاسلامية في ايران ، هو ممارسة الضغط ضدها من اجل الافراج عن الجواسيس اليهود الايرانيين المعتقلين . وتجدر الاشارة هنا إلى أن الكيان الصهيوني سخر كل الاوساط الدولية والاقليمية التي يؤثر عليها في هذا الاتجاه ،

فالاوساط الاميركية الاعلامية منها والسياسية ، وكذلك الاوساط البريطانية والفرنسية ، كلها صعدت من حملتها الاعلامية ضد الجمهورية الاسلامية في ايران ، بل أن بعض الاوساط الاميركية برأت المتهمين من تهمة التجسس قبل محاكمتهم ، وقيام القضاء باصدار قراره بشأنهم . ومن الاوساط الاميركية التي شاركت في هذه الحملة شخصيات من الكونغرس الاميركي ، وكذلك الناطق باسم الخارجية الاميركية وغيرهم .

كل ذلك من اجل ممارسة الضغط على الجمهورية الاسلامية في ايران ، ومحاولة التظليل على الموضوع ، والايحاء بأن ايران اعتقلت هؤلاء لأنهم يهود لأنهم جواسيس .

رغم أن الجمهورية الاسلامية في ايران نفت ذلك ، واكدت اكثر من مرة أن اليهود مواطنون ايرانيون ، لهم ما للمواطن وعليهم ما عليه ، كغيرهم من الايرانيين

عليهما ، وتحرير مخططاته  
التسوية والامنية والاقتصادية  
عليهما .

هذا مع العلم أن اليقظة الشعبية  
التركية ازاء النفوذ الصهيوني  
بدأت تتزايد ، فأكثرية الاوساط  
الشعبية من منظمات واحزاب  
وقنوات اعلامية وغيرها ، بدأت  
تتحدث علانية وبجرأة عن اخطار  
استفحال النفوذ الصهيوني في  
تركيا ، ولعل هذه المسألة تعتبر  
من ابرز المشاكل والازمات التي  
بدأ القادة الاتراك يحسون  
بخطرها ، مضافة إلى انعكاسات  
وافرازات قضية حزب العمال  
الكرديستاني وزعيمه عبدالله  
اوجلان ، فالتيارات التركية كانت  
قد اعلنت انها باعتقالها اوجلان  
قضت على هذا الحزب ، ووضعت  
حداً لتحديه ، لكن النتيجة جاءت  
عكس ما اعلنته تلك القيادات ، فقد  
زادت عمليات الحزب المذكور ،  
حتى وصلت إلى انقرة  
واسطنبول ، الامر الذي  
كشف خطأ حسابات تلك

المسلمين أو المسيحيين على  
السواء .

والحقيقة أن الحرص  
الصهيوني على هؤلاء اليهود ليس  
لأنهم يهود ، لأن اليهودي الشرقي  
في الكيان الصهيوني محقر ،  
ويتعرض إلى التمييز العنصري  
رغم يهوديته ، ولكن لأن هؤلاء  
يمكن أن يكشفوا اسراراً  
ومعلومات تفضح العدو  
الصهيوني ، وتقدم مصاديق  
جديدة على ممارساته التخريبية  
في بلدان العالم الاسلامي . هذا من  
جهة ، ومن جهة اخرى محاولة  
التأثير على التطورات الحاصلة في  
المنطقة ، التي من اهمها توطيد  
العلاقات الايرانية العربية ،  
ودخولها مرحلة جديدة ، ذلك أن  
السياسة الصهيونية تركز على  
إبعاد الجمهورية الاسلامية عن  
المسلمين العرب ، ومنع أي تقارب  
بينها وبينهم ، ثم ايجاد الخلافات  
بين المسلمين العرب انفسهم ، لأن  
ذلك يوفر للعدو الصهيوني فرصة  
الاستفراد بالدول العربية والهيمنة

## □ باكستان

### الاطماع الباكستانية في

#### افغانستان

اصبحت اليوم باكستان تشكل احد المفصل الرئيسية في القضية الافغانية ، ولولا التدخل السافر من قبل الحكومة الباكستانية في هذا البلد المسلم والمسالمة ، لما وصلت الامور إلى هذا المستوى من التعقيد والتردي .

اهداف الحكومة الباكستانية في افغانستان باتت واضحة ، فهي تريد تحقيق اطماعها وطموحاتها على حساب مأساة هذا الشعب المسلم ، فهم يدعون أنهم يريدون مصلحة هذا البلد ، ولكن حقيقة ما يحدث اليوم مخالف تماماً لما يدعون ، فالذي يحارب هذا الشعب المنكوب إلى جانب حركة طالبان هو الجيش الباكستاني بأسلحة باكستانية . وهدف الجيش ايضاً واضح ، حيث يحلم بتحقيق عمق جغرافي لباكستان من خلال الحاق افغانستان بباكستان ، واخضاعها بشكل وآخر ، ومن ثم تحقيق

القيادات وفشلها في كل تلك الازمة .

كما أن هناك ازمت اخرى نشأت من التصعيد ضد الحالة الاسلامية في تركيا ، بما في ذلك التضييق على النساء في مسألة الحجاب ، ومطاردة الاسلاميين بتهم واهية ، ثم تفاقم الازمة الاقتصادية .

كل ذلك دفع بالقادة الاتراك إلى تبرير عجزهم بحل هذه المشاكل والازمت ، إلى افتعال وجود عدو خارجي لشد الانتظار إليه والهاء الشعب به . إلا إن مثل هذه الامور سوف تضر بالمصالح التركية وبمستقبل قاداتها ؛ لأن الكيان الصهيوني يعمل دوماً من اجل مصلحته . وخير مثال عن هذه الحقيقة اريتيريا ، حيث اعلن رئيسها اسياى افورقي أن اميركا والكيان الصهيوني يعملان ضد مصلحة بلده ؛ بعد أن كان يصنفهما سابقاً بالحليفين الحميمين .

مصير افغانستان .

على أن اكثر الذين تحدثوا  
اكثروا أن المواجهة العسكرية  
ستسحق المعارضين ، وانها الحل  
الاخير للقضية الافغانية ، بعدما  
وصلت آخر جولة من مفاوضات  
رعتها الامم المتحدة في طاشقند  
إلى طريق مسدود .

وإذا فرضنا أن الحكومة  
الباكستانية نجحت عبر حركة  
طالبان في سحق قوات الجبهة  
الاسلامية لانقاذ افغانستان ؛ فإنها  
لا تستطيع السيطرة على الاوضاع  
في افغانستان ، وخير دليل امامنا  
هو تجربة الاحتلال السوفياتي  
لافغانستان مدة عشر سنوات ،  
فرغم أن هذا الاحتلال يمتلك من  
الامكانيات ما لا تمتلك عشره دولة  
باكستان ، لم يستطع الصمود ؛  
وخرج بعد أن تكبد خسائر فادحة ،  
واستنزفت طاقته المادية ، بل انه  
لم يستطع دخول منطقة بنجشير  
مطلقاً.

إن السلطات الباكستانية حتى  
لو نجحت في السيطرة على مناطق

منافع اقتصادية وتجارية معروفة  
ايضاً ، فضلاً عن لعب دور  
سياسي وامني اقليمي بالتعاون مع  
المخابرات الاميركية ، على حساب  
استقرار أمن المنطقة اجتماعياً  
وسياسياً وامنياً .

إن الهجوم المتواصل لحركة  
طالبان على مواقع قوات الجبهة  
الاسلامية لانقاذ افغانستان ، كان  
للحكومة الباكستانية والجيش  
الباكستاني فيه دور فاعل ، حيث  
تدفع في كل مرة بقوات ضخمة  
قوامها آلاف من القوات النظامية  
والمتطوعين .

وقد اكدت مصادر محايدة أن  
المعارك يخطط لها الجيش  
الباكستاني ، حتى أن حركة طالبان  
وضعت تحت قيادات عسكرية  
باكستانية .

كل ذلك يجري متزامناً مع  
تصريحات متوالية لمسؤولي  
حركة طالبان ، حيث يقولون عن  
كل جولة عسكرية : إن هذه الجولة  
العسكرية هي آخر الجولات ، وإنها  
سوف تكون الجولة التي ستحدد

تعاينه من ازمات ومشاكل ، لا يمكنها تحمل مواجهة الشعب الافغاني المحروم ، ولذلك من الافضل لها الخروج من افغانستان، وترك الافغانيين يحلون مشاكلهم بانفسهم ؛ لأنهم لا يحتاجون الوصاية لا من الكومة الباكستانية ولا من أي طرف آخر .

\* \* \*

#### □ كشمير

##### مظاهر السياسة الهندية

تحاول الهند من خلال ٧٠٠ ألف جندي هندي كبح جماح الشعب الكشميري المسلم ، ومنعه حقه في الحرية وتقرير المصير ، على مدار السنوات الاحدى عشرة الماضية .

واخيراً لجأت الهند إلى الضغط على باكستان ، من خلال القصف المدفعي والصاروخي على الاهداف المدنية في كشمير الحرة، مما تسببت هذه السياسة العدوانية إلى تهجير اكثر من ١٠٠ ألف

بنجشير وغيرها مما يوجد ويتحصن فيها اتباع الحكومة الافغانية ، فإنها لا تستطيع أن تنهي الازمة الافغانية ، بل إنها ستتعدد اكثر ، وستتحول المواجهة من حرب نظامية إلى حرب عصابات ، كما حصل مع القوات السوفييتية ؛ وبالتالي تصبح القضية الافغانية استنزافاً مادياً ومعنوياً لباكستان ، التي تعاني من مشاكل جمة داخلية وطائفية وعرقية ، ومن مشاكل فشل سياسة النظام الباكستاني على الصعيد الاقتصادي خاصة .

على المسؤولين الباكستانيين أن يتعظوا من تجربتهم في كشمير ومن التجارب الاخرى المعاصرة ، التي تؤكد كلها حقيقة ثابتة أنه لا يمكن لأية قوة عسكرية أو سلطة أن تقهر شعباً حياً مثل الشعب الافغاني ، وتصادر صوته وتسحق مقاومته ابداً ، حتى ولو استمرت الحرب عشرات السنين .

إن باكستان في ضوء كل ما

ظلت تحركها الهند عن طريق التلاعب بنتائج انتخابات الولاية ، وهذا الشعور بالحرمان السياسي كان عاملاً أساسياً في إشعال ما كتبه المحلل الهندي «دول» عام ١٩٩٠م ، حيث قال : «لقد تم تزوير كل الانتخابات التي جرت بين ١٩٥١ و ١٩٨٩م ، ما عدا انتخابات ١٩٧٧م» .

إن الناس حرّموا من المشاركة في صنع القرار السياسي ، وهو الشرط الأساسي لضمان حقهم في انتخاب من يمثلهم ، ولذا فهم يحسون أن كل هذه الحكومات في كشمير قد فرضت عليهم فرضاً من قبل نيودلهي .

فالهند لم تسمح أبداً بإقامة انتخابات حرة ونزيهة ، خوفاً من النتائج غير المرغوب فيها .

٣ - تأكل الحكم الذاتي : شهد الحكم الذاتي لكشمير بموجب انضمامها إلى الهند طبقاً للمادة ٣٧٠ من الدستور الهندي ، تأكل كليباً خلال الفترة ١٩٤٧م - ١٩٨٩م ، حيث قننت الحكومة

شخص في كشمير الحرة ؛ كما قتل العديد من المواطنين المدنيين . والتطور الأخير يعود إلى سياسة الحكومة الهندية في كشمير ، والتي تتمثل بالمظاهر التالية :

١ - قضية انضمام كشمير : في هذا الجانب انتهجت الهند سياسة مزدوجة تجاه قضية انضمام كشمير إليها ، فعلى الصعيد الرسمي ظلت الهند تعتبر جامو وكشمير جزءاً منها منذ عام ١٩٥٤م ، بينما استمرت في الوقت نفسه في إجراء المفاوضات والمحادثات حول كشمير مع باكستان بصفة رسمية وغير رسمية ، كلما شعرت بضغط تمارس عليها ، وقد تركت هذه الازدواجية أثراً عميقاً على شعب كشمير الذي لم يظهر قط ولاء للهند .

٢ - المشاركة السياسية : حرمت الحكومات الهندية المتعاقبة شعب كشمير من أي مشاركة سياسية ، وذلك بتنصيب حكومات

الهندية هذا الحق على الاوراق فقط ، بينما شهد الواقع تجاهلاً كلياً له على جميع الاصعدة ، وطبقاً لنفس الماده آنفاً ، التي تحدد العلاقة بين الهند وكشمير ، كان مركز السلطة في الهند مسؤولاً عن ثلاثة امور فقط ، هي الشؤون الخارجية ، والدفاع ، والاتصالات ، بينما تخضع القضايا الاخرى لتصرف مجلس الولاية ، وقد مُنحت كشمير حق التمتع بدستور خاص ، وأن يكون لها عَلم خاص ، إضافة لتسمية كبير وزرائها باسم رئيس وزراء الولاية ، وقد كان هذا الوضع الخاص الذي حظيت به كشمير ، يهدف اساساً إلى تهدئة الاوضاع خلال المرحلة التي تبعت مباشرة انضمام كشمير إلى الهند ، غير أن الهند اصبحت بعد الانقسام بفترة قصيرة تمارس ضغوطاً على القيادة الكشميرية ، من اجل إضفاء صبغة نهائية على انضمامها للهند ، تلزمها بتفويض الحكومة المركزية بمهام كثيرة غير التي كانت تشرف عليها

سابقاً ، وهكذا بدأت الهند شيئاً فشيئاً تفرض سيطرتها على كشمير ، ولقد مكنت المادتان ٣٥٦ و ٣٥٧ الصادرتان عام ١٩٦٤م ، الرئيس الهندي من أن يعلن سلطته على كشمير ، وألغى منصب رئيس الوزراء . كما صدر ٢٨ مرسوماً دستورياً ، وسّعت حجم السيطرة الهندية على الولاية ، وفي سنة ١٩٨٦م ، أضيفت المادة ٢٤٩ إلى الدستور الهندي ، وهي التي تمنح البرلمان الهندي حرية التدخل في أي قضية من قضايا الولاية .

٤ - استعمال القوة العسكرية :  
فقد ظل هذا الاستعمار سمة بارزة ، فحتى في الحالات العادية كانت الهند تحتفظ بجيش يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ الف جندي بشكل دائم في كشمير ، بينما ازداد عددهم ليصل إلى ما بين ٤٠٠ و ٤٥٠ الفاً في سنة ١٩٩٣م وإلى ٧٠٠ الفاً سنة ١٩٩٩م ، ناهيك عن القواعد الجوية داخل المناطق الكشميرية ، ونشر المضادات والمدافع على طول خط الهدنة



الفاصل بينها وبين باكستان ،  
ومنذ عام ١٩٨٩م ، سيطر الجيش  
الهندي على الوادي المحتل عن  
طريق قوانين عديدة ، كان  
يصدرها بين الحين والآخر .

واعتمدت السياسة الهندية في  
تنفيذ سياستها على نشر الفزع  
والرعب في صفوف الشعب  
الكشميري المسلم ، عن طريق شن  
حملات نهب وسلب واغتصاب  
وقتل جماعي ، وهو ما يعرف  
بسياسة اقبح وأقبح .

٥ - تجفيف الينابيع : كانت  
السياسة الاقتصادية الهندية في  
كشمير ذات صبغة سياسية ، حيث  
إن صياغة مسارات نمو غير  
متكافئة ، وسياسات اقتصادية  
متضادة ، نتج عنها زيادة معدل  
البطالة ، وهو ما أدى إلى ضياع  
الشباب الكشميري المسلم . يشير  
إلى ذلك وزير الداخلية الهندية  
السابق جورج فيرنانديز ، حينما  
أوضح في إطار دراسته لقضية  
كشمير أن مشكلات الكشميريين  
تنبع أساساً من النمو الاقتصادي

الذي أعاقه الفساد والرشوى ،  
وتكمن كذلك في معدل البطالة  
المرتفع ، والاهم من ذلك غياب  
الانتخابات الحرة والنزيهة .

وقد كان اقتصاد كشمير  
مرتبطاً باقتصاد منطقة البنجاب  
الباكستانية قبل التقسيم ،  
وانضمام كشمير للهند قطع هذه  
العلاقات التي كانت قائمة وأضر  
كثيراً بالاقتصاد الكشميري .

كما أن سياسات التنمية داخل  
كشمير تركزت وانصبت بشكل  
كبير في منطقة جامو ، التي  
مارست عليها الهند سياسات  
لتغيير تركيبتها الديمغرافية ،  
وتحويل الاقلية الهندوسية فيها إلى  
أغلبية .

\* \* \*

#### ٥ السودان

هل تكرر اميركا تجربتها في

يوغسلافيا مع السودان

زار الجنوب السوداني أربعة  
من نواب الكونغرس الاميركي ،

بدعوة من حركة التمرد التي يقودها جون قرنق ، وقد قدموا فور عودتهم مشروع قرار للكونغرس يدعو إلى تشديد الحصار على السودان ، وفرض حظر على الطيران السوداني في الجنوب وفي جبال النوبة ؛ وكانت المفاجأة كبيرة عندما وافق الكونغرس بأغلبية على المشروع .

نعم أن قرارات الكونغرس الأميركي ليست ملزمة للحكومة السودانية ، وكذلك للإدارة الأميركية التي عليها التنفيذ . لكن هذه الموافقة أثارت التساؤلات في الخرطوم عن امكانية تنفيذ هذا المشروع ، خصوصاً في ظل المنهجية ونشوة الانتصار التي تشعر بها اميركا بعد ضرب صربيا ، واجبار القوات اليوغسلافية على الانسحاب من كوسوفا . بل إن الرئيس السوداني لم يستبعد ذلك ، وقال بوضوح : «أن هذا العدوان الجديد - بعد العدوان السابق على مصنع الشفاء للدوية العام الماضي - غير

مستبعد في ضوء الاحساس الأميركي الطاعني بقوته وخروجه المتكرر على الشرعية الدولية» ، بل عزا الرئيس السوداني موقف الكونغرس المتشدد ضد السودان إلى الهيمنة الصهيونية على مراكز صنع القرار في الادارة الأميركية بشكل عام ، وفي الخارجية بشكل خاص ، والضغط المتزايدة ضد الاسلام والمسلمين في العالم .

ويبدو أن مسألة التخوف السوداني من عدوان اميركي جديد ، سيكون موجهاً هذه المرة ضد شريان الحياة الجديد للسودانيين ، ألا وهو حقول البترول وخط الانابيب الكبير .

والسودانيون قلقون خصوصاً بعدما قال كلنتون عقب ايقاف ضرب يوغسلافيا : «إن تجربة كوسوفا سوف تتكرر ضد أي دولة تنتهك وتضطهد المجموعات العرقية والدينية فيها» .

نقل اعضاء الكونغرس الأميركي صورة مشوهة في تقاريرهم عما يحدث في

مليار دولار سنوياً ، كانت تنفق على استيراد البترول من الخارج ، وكذلك بدء جولة المفاوضات مع المتمردين الجنوبيين .

إن خطورة التحركات الاميركية تهدد اهم مكتسبات الدولة السودانية ، وهي بالتالي تهدد هذا الشعب المسلم المكافح ؛ وفي نفس الوقت هي خطة اميركية ظلت متبعة ضد السودان كلما انجز ابناؤه شيئاً أو اقترب إلى السلام .

\* \* \*

#### الجزائر

##### المصالحة .. الارضية والحقوق

إن مصادرة الحريات في أي بلد تشكل عاملاً مهماً في هدم جدار الثقة والألفة بين السلطة والحركات والاحزاب السياسية في ذلك البلد . وكذلك تشكل معول هدم في اساس البناء لذلك المجتمع سواء كان اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً ؛ وإذا صاحبت هذه المصادرة اعمال عنف ، كما هو

السودان ، مصورين الأمر وكأن هناك اضطهاداً للأقلية العرقية الجنوبية ، وللأقلية الدينية المسيحية في الجنوب والشمال معاً ؛ وعدم عدالة في توزيع الثروات .

وعلى قول المتمردين جون قرنق : «تسرق الخرطوم ثروات الجنوبيين - البترول - لتنفقه على الشماليين فقط» .

وتكمن خطورة قرار الكونغرس هذا في أنه يعتبر الخطوة الاولى لتبرير ولتهئية الاجواء لعدوان اميركي ضد السودان ؛ علماً أنه تزامن مع تغييرات وتطورات سودانية هامة لصالح استقرار دولة السودان عموماً ، ففي أول مرة تبدأ المعارضة الشمالية حواراً مباشراً مع الحكومة ، وكذلك بدأت تتحسن العلاقات السودانية مع غالبية دول الجوار التي كانت واشنطن تعدها بالسلام إذا حاصرت السودان ، ومع بدء خطوات تصدير البترول السوداني الذي سيوفر نصف

الحال في الجزائر ، فإن الحياة تُشَل ويسود الجمود مختلف المظاهر نتيجة لاعمال العنف المتواصل والصدمات الدامية هذه ، بين الجماعات المسلحة وبين السلطة ، والتي اُكتوى بناها الشعب الجزائري المسلم ، ولا زال يدفع الثمن غالياً لها من الارواح والاموال والممتلكات ، كما أدت هذه الاحداث إلى تدمير البنى الاقتصادية نتيجة تدمير المنشآت الحكومية وكذلك ارغام السكان على الهجرة خارج الوطن ، ومن ثم الضياع في شتى بقاع العالم .

إن اعادة روح الود والتآلف والاخوة هي مطلب انساني قبل كل شيء ، يتمنى الانسان المسلم أن يسود الأمن والطمأنينة وتقتلع جذور العنف ومن الاساس في عالم اليوم .

وما يجري على الساحة الجزائرية بين السلطة وكافة القوى الاخرى على المستوى الرسمي والشعبي يجذبان الانظار ويحركان الآمال في الصدور ،

ويمهدان نحو التهدة والانفراج . وقد بدا واضحاً من خلال تحرك الرئيس الجزائري بوتفليقة بنوع من الاستقلالية النسبية عن قيادة الجيش ، ويبدى حرية اكبر في إصدار القرارات المصيرية ، خصوصاً أنه يحرص على ترديد عباراته التي اطلقها في حملته الانتخابية ، وهي : سأصنع السلام ، لقد وعدت الجزائريين بالسلام ، سأعود إلى بيتي إذا لم يوافقني الشعب الجزائري على مشروع العفو العام .

علماً أن الرئيس بوتفليقة أول رئيس جزائري منذ انقلاب عام ١٩٩١م ضد الجبهة الاسلامية للانقاذ ، يعلن بوضوح وبشكل علني أن الجيش الجزائري أخطأ عندما انقلب على الجبهة الاسلامية للانقاذ ، والغى نتائج انتخابات عام ١٩٩٢م ، التي كانت الحركة الاسلامية ستفوز بها .

فقد وصف بوتفليقة إلغاء انتخابات عام ١٩٩٢م ، بأنه كان عملاً من اعمال العنف ، ليوجه

للالنقاذ من ناحيتها الاجراءات  
الاخيرة على الساحة السياسية في  
الجزائر ، وسائل ايجابية نحو  
التهدئة ، خاصة الاعتراف بأن  
عملية توقيف المسار الانتخابي  
سنة ١٩٩٢م ، كانت عنفاً في حق  
الشعب الجزائري ، وكذلك التعهد  
باطلاق سراح آلاف المواطنين  
الذين سجنوا ظلماً ، فضلاً عن  
التصريح بعدد ضحايا المأساة  
الجزائرية والبالغ مئة ألف قتيل -  
وهو الرقم الحقيقي - ضحايا اعمال  
العنف .

إن المعالجة الميدانية  
للتناقضات والظلم الحاصل في  
الجزائر ، يجب أن تتمحور حول  
حق الشعب المسلم في الاختيار  
الحر لمشاريعه السياسية  
بالانتخاب الحر لممثليه ، وحقه في  
مراقبة حكاه ، مع تحديد دور  
المؤسسة العسكرية ، ورفض  
العنف كوسيلة للوصول أو البقاء  
في الحكم ، وكذلك احترام الحقوق  
السياسية للنفس البشرية .

ومن اهم الاجراءات التي يجب

بذلك نقداً صريحاً لقيادة الجيش  
الجزائري ، بأنها هي السبب وراء  
ما حدث من مسلسل العنف ، وأنها  
هي التي ألغت حق من حقوق  
الشعب الجزائري .

كما لفت بوتفليقة الانظار اكثر  
عندما ألمح إلى أن الجيش  
الجزائري به عيوب كثيرة ، وأنه له  
عيوب جيوش بلدان العالم الثالث ؛  
في ثاني نقد حاد للجيش ، واعترف  
بوجود فساد داخله كأحد هذه  
العيوب .

إذا كان هذا هو رأي بوتفليقة  
في الجيش الجزائري ، وكان رأيه  
في الجبهة الاسلامية للانقاذ انها قد  
ظلمت بالغاء انتخابات عام  
١٩٩٢م ، إذن فهو يمهّد لاعادة  
الحركة الاسلامية إلى الحياة  
السياسية العامة ، ويفتح امامها  
الباب للعودة كأحد الاحزاب  
الكبرى في الجزائر ، آخذاً  
ففي الاعتبار أن الحركة  
الاسلامية للانقاذ اليوم غير  
الحركة بالامس .

اعتبرت الجبهة الاسلامية

أن تتخذ قبل المصالحة الوطنية ، هي : رفع حالة الطوارئ ، اطلاق سراح المعتاطفين والمناضلين في صفوف الجبهة الاسلامية للانقاذ ، ابعاد المسؤولين المتسببين في انقلاب سنة ١٩٩٢م ، رد الاعتبار لكل العناصر النظامية الذين رفضوا السير في ركب الاستئصال الذي دعا إليه ورعاه الانقلابيون .

واخيراً نقول أن أية عملية تسعى للمصالحة الوطنية ، يجب أن تحظى باشتراك الممثلين الحقيقيين للمجتمع الجزائري المسلم ، احراراً كانوا أو سجناء ، في الداخل كانوا أو في الخارج ، في اطار الحقوق الاساسية للشعب الجزائري المسلم .

\* \* \*

#### Ⓜ جنوب افريقيا

**للجالية الاسلامية دور ناصع في**

**ازهاق الباطل**

تعود جذور الجالية الاسلامية

في جنوب افريقيا إلى عام ١٦٦٢م ، عندما أبعدت السلطات الهولندية التي كانت تسيطر على الجزر الاندونيسية ، عدداً من الناشطين السياسيين المسلمين إلى مستعمرتها في رأس الرجاء الصالح ، في الطرف الجنوبي للقارة الافريقية . ثم توالى وصول المسلمين خلال العقود التي تلت ذلك ، إما كمبعدين سياسيين ، أو كعبيد جلبوا من المستعمرات الهولندية في جنوب شرق آسيا ليعملوا في مزارع الاوربيين وموانئهم في كيب تاون .

وبالرغم من أن نسبة المسلمين في جنوب افريقيا لا تزيد على ٢٪ من المجموع الكلي للدولة ، والذي يبلغ قرابة ٤٢ مليوناً ، يزيد حجم تأثيرهم في الحياة السياسية والاقتصادية بكثير على هذه النسبة ؛ حيث أن دور المسلمين في النضال ضد النظام العنصري كان واضحاً ، إذ انخرط العديد منهم في تنظيمات سياسية وشعبية وعسكرية مناوئة للنظام

وعلى مدار سنوات طويلة نشأ  
اختلاف منهجي بين التنظيمات  
ذات البعد السياسي الحركي ،  
كحركة الشباب المسلم ونداء  
الاسلام من جهة ، وبين التنظيمات  
المحافظة والتمثلة في جمعية  
العلماء .

لقد شكل عام ١٩٩٤م نقطة  
حاسمة في تاريخ جنوب افريقيا ،  
إذ انتخب نلسون مانديلا رئيساً  
لجنوب افريقيا الجديدة ، بعد رحلة  
مقاومة طويلة بدأت منذ تأسيس  
المؤتمر الوطني الافريقي عام  
١٩١٢م ، وتخللها الكثير من  
التضحيات والآلام ، وخذلان  
المجتمع الدولي ووقوفه إلى جانب  
النظام العنصري عقوداً طويلة .

لقد بدأت جنوب افريقيا تعيش  
مرحلة انتقالية مثقلة بأعباء عقود  
من التمييز والقهر . صحيح أن  
قادة البلاد الجدد هم من الأفارقة ،  
إلا إن شركاتها ومناجمها وبنيتها  
الاقتصادية مازالت مملوكة  
للأوروبيين البيض .

ومن جهة اخرى ، أصاب

العنصري الابيض ، فكان  
للمسلمين دور مشرف في المؤتمر  
الوطني الافريقي ، وفي جناحه  
العسكري ، بالإضافة إلى المؤتمر  
الوطني الهندي وغيرها من  
التنظيمات . هذا بالإضافة إلى  
الدور الذي قام به المسلمون  
مباشرة من المساجد ، والتنظيمات  
الاسلامية التي نشأت في الستينات  
والسبعينات ، كمنظمة نداء  
الاسلام ، وحركة الشباب المسلم ،  
ومجلس القضاء الاسلامي ،  
وحركة قبله وغيرها .

إلا إن بعض التنظيمات  
الاسلامية التقليدية آثر أن يركز  
على الجوانب الدعوية دون  
السياسية وبالتالي كانت مساهمته  
ضئيلة في المقاومة ، وكان من  
بينها جمعية العلماء ، التي تضم في  
عضويتها معظم ائمة المساجد  
المتخرجين في المدارس  
الديوبندية في الهند وباكستان ،  
ومن اتباع جماعة التبليغ والدعوة  
واسعة النفوذ في اوساط  
المسلمين الهنود .

المجتمع من جراء هذا التحول ظواهر جديدة ، تتمحور حول الانفتاح والحرية التي وصلت حد الانفلات والتعدي على حقوق الآخرين ؛ فانفلت الكثير من الذين عانوا عقوداً طويلة مرارة الحرمان والفاقة ، انفلت الكثير منهم ليستحلوا الاموال والدماء والاعراض ، فتصاعدت نسبة الجريمة والمخدرات لتصل حداً قياسياً يضاهي اعلى النسب في العالم ، وبدأت منذ ذلك الحين عجلة الحياة تتشكل في ضوء هذا التغير المحزن ، وبدأت الحكومة الجديدة عاجزة عن وقف الجريمة وردع المجرمين ، وانتشر الفساد والرشوة ، وسنت تشريعات جديدة تجعل الشذوذ الجنسي والدعارة والصور الاباحية والقمار قانونية ، بعد أن كانت محرمة أيام البيض .

لذا وجد المسلمون انفسهم في مواجهة مرحلة جديدة تهدد هويتهم وثقافتهم ، واستقرار المجتمع بشكل عام .

وبالرغم من أن الوجود السياسي للمسلمين قد تعزز في هذه المرحلة ، من خلال مشاركة العديد منهم في الحكومة والبرلمان ، صارت هذه المشاركة في حد ذاتها مدعاة للخلاف والجدل ، إذ كانت تلك المشاركة ضمن برامج حزبية غير اسلامية ، واعتبر الكثيرون أن السياسيين المسلمين قد قدموا تنازلات كبيرة لا تنسجم مع عقيدتهم ، ومما زاد في حدة هذه الهوة ، أن الكثيرين من السياسيين المسلمين الحزبيين وقفوا إلى جانب إقرار قوانين الإجهاض واباحة الشذوذ وغيرها، مما أوقع حالة من القطيعة بينهم وبين أبناء الجالية الآخرين ؛ مما اثار الجدل حول مستقبل العمل الاسلامي في ظل الحكومة الجديدة ، وواجههم تجاه تصاعد نسبة الجريمة والمخدرات ، التي بدأت تطول العديد من أبناء المسلمين ، فظهرت من بين الآراء وجهتا نظر متباينتان ، الاولى ترى أن المسلمين اقلية يجب أن تسعى



الارهابية .

واسباب هذا التحول هو أنهم كان يعوزهم المزيد من الحكمة والواقعية ، كما أن معظم منتسبيها كانوا من المسلمين فقط ، هذا بالاضافة إلى أنها وجدت نفسها في مواجهة اجهزة الامن والدولة ، التي لا تسمح باقامة دولة في داخل دولة ، فأصبحت تعيش بين ثلاث نيران : الدولة بأجهزتها ، والعصابات بنفوذها ووحشيتها ، والاعلام الباحث عن الاثارة .

أما فيما يتعلق بهموم العالم الخارجي ، فعمل من اهم العوامل التي شكلت الواقع السياسي للمسلمين في حقبة ما بعد العنصرية ، هو الانفعال بهموم العالم الاسلامي الخارجية ، فكان للقضية الفلسطينية حظ كبير من الاهتمام ، ووقف معظم المسلمين موقفاً مستنكراً لعملية التسوية واتفاقات اوسلو وغيرها ، واعلنوا تأييدهم للمقاومة الاسلامية ، وتظاهروا تأييداً للمسلمين في البوسنة وكوسوفا وغيرها ،

إلى العمل مع الحكومة وغيرها من مؤسسات المجتمع المدني ، دون الدخول في صراع مباشر مع عصابات لا ترحم ، بينما رأى آخرون ، ممن رأوا في الخط الثوري المتحمس سييلاً أوحيد للتغيير ، أن النضال لم ينته بعد ، وأن المسلمين مكلفون بالوقوف في وجه عصابات الجريمة والمخدرات ومحاربتها إلى أن يتم القضاء عليها . وهذا النمط من التفكير دفع الى تأسيس منظمة اطلق عليها اسم باجاد «PAGAD» ، وتعني الجماهير المقاومة للجريمة والمخدرات .

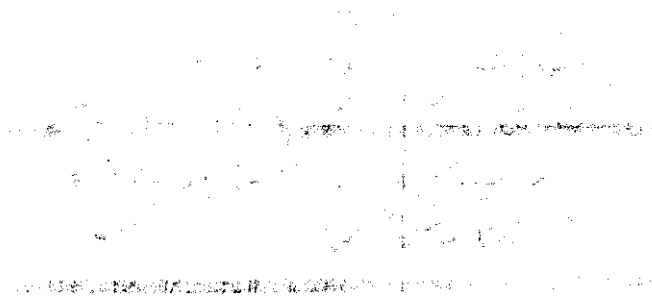
حازت هذه المنظمة في بداية تأسيسها عام ١٩٩٥م ، على دعم الكثيرين من المسلمين في جنوب افريقيا ، غير أن هذا التأييد بدأ يخبو تدريجياً ، إلى أن ارتفعت اصوات كثيرة تصف هذه المنظمة بالتطرف والارهاب ، وتدعو إلى استئصالها ، ثم قامت الخارجية الاميركية بوضعها في احدث تقاريرها على قائمة الجماعات

استراتيجية سياسية للجالية  
الاسلامية في جنوب افريقيا ، تقوم  
على المشاركة في الحياة  
السياسية للبلاد ، بدلاً من العزوف  
عن السياسة أو استعداد الحكومة  
واجهزتها المختلفة ، ولابد من بناء  
جسور من الثقة والتعاون بين  
المسلمين من ناحية ، وبين قيادات  
الاحزاب السياسية ، لأن بناء الحق  
يحتاج إلى مزيد من الحكمة  
والوعي والتخطيط .

وتصاعدت حدة خلافاتهم مع  
الجالية اليهودية المتنفذة  
اقتصادياً .  
لقد بدا واضحاً للكثير من  
القوى الداخلية التي تأثرت بالحملة  
العالمية ضد الاسلام والمسلمين ،  
أن نشاط الجالية الاسلامية لابد أن  
يكبح . ومن اجل تفويت الفرصة ،  
لابد للمسلمين في جنوب افريقيا ،  
الذين كان لهم دور ناصع في  
ازهاق الباطل والنضال ضد  
العنصرية البغيضة ، أن يبنوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مع قراء، الثقلين



باب ننتفتح منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثقلين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء ، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلّتهم فكراً وثقافة ومعرفة. وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة :  
«التحرير»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ● «رسالة الثقلين»

## نبراس وهدى ونور مبين

لقد وقع بين يدي عددكم الاخير من مجلة رسالة الثقلين ، وقرأتها مراراً وتكراراً لما حوته من مواضيع شتى ، وقد كانت في الحقيقة نبراساً وهدى ونوراً مبيناً لكل قارئ لها ، بل حجة بينة ومنهلاً عذباً وغذاءً دسماً للنفس البشرية روحياً وعقائدياً

واجتماعياً ، بل هي مدرسة تربوية روحية ، استفدت منها كثيراً ، وعرضت منها موضوعات ذات صلة بمنهج جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية في المحاضرات للطلاب والطالبات ، مما كان له الاثر الواضح في زيادة حصيلتهم ومعارفهم لامور دينهم ، ووصيت الطslاب أن يبحثوا عنها ، وإذا وجدوها أن يطلعوا عليها لزيادة

والفلاح كلهم يودون أن يكونوا من  
اتباع مدرسة اهل البيت عليه السلام ،  
فأرشدونا إلى الطريق .

انتهاز هذه الفرصة واخبركم  
أنني أود الحصول على مجلتكم  
القيمة . جزاكم الله عنا وعن  
الاسلام خيراً .

موسى دمبيا  
ياموسوكرو - ساحل العاج

\* \* \*

#### ● رسالة الثقلين

##### مفعمة بكل ما يتوق إليه العقل

نشكركم جزيل الشكر على  
تواصلكم معنا عبر مجلة رسالة  
الثقلين الغراء ، المفعمة بكل ما  
يتوق إليه العقل والروح من مفاهيم  
ومعارف وعلوم اهل البيت عليه السلام .

وإنه لجهة معرفتنا بصدور  
أكثر من مجلة أو نشرة ودورية  
من مجمعكم ، فإننا نطمح - إن كان  
بالامكان والوسع - أن ترسلوا لنا  
مع المجلة (رسالة الثقلين) كل ما  
يصدر ويخص المرأة والطفل

معرفتهم بثقافتهم الدينية  
والروحية .

حقاً إن جهودكم الواضحة في  
اخراجها بهذا الثوب القشيب ،  
جعلني اكتب إليكم مشيداً بهذا  
العمل الجيد الناضج المفيد . وإنني  
أمد يدي مهنتاً لكم بهذا الجهد  
الكبير لنشر الاسلام وتعاليمه على  
نطاق المعمورة .

وفقكم الله وسدد على طريق  
الخير خطاكم خدمة للاسلام  
والمسلمين .

عبدالواحد محمد عبدالفضيل  
جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية -  
محاضر بكلية القرآن الكريم  
فرع ودمدني - السودان

\* \* \*

#### ● «رسالة الثقلين»

##### مجلة مفيدة للغاية

لقد اطلعت على مجلتكم القيمة  
مجلة رسالة الثقلين . إنها مجلة  
مفيدة للغاية ، تحتوي معلومات  
كثيرة لا نكاد نراها في غيرها .  
إن طلائع مدرسة النجاح

اخلاصهم ، ونكون حقاً كما ينبغي  
أن نكون من اتباع المذهب  
المحمدي الاصيل .

نرجو من المجمع أن يفيدنا  
ويفيد الآخرين ، ونسأل الله العلي  
القدير أن يوفقكم في اعمالكم .  
ولكم من الله الاجر والثواب .

قاسم عبد الحسن

اراك - ايران

\* \* \*

### ● سامموا في رفع راية

#### اهل البيت عليه السلام عالياً

يسرني أن أتشرف باحاطتكم  
علماً أنني أدير مؤسسة اسلامية  
باسم «مؤسسة الامام  
الحسين عليه السلام» .

ونظراً للسمعة الطيبة التي  
يتمتع بها مجمعكم في اوساط  
اتباع مدرسة اهل البيت عليه السلام ، لم  
اتردد في كتابة هذا الطلب ، ملتمساً  
منكم فتح باب التعاون في جميع  
المجالات (العلمية ، الثقافية ،  
المؤتمرات ، الكتب ، الخ) مع

والأسرة إن توفرت .

نكرر شكرنا . وتفضلوا بقبول  
فائق التقدير والاحترام .

مركز دراسات المرأة والأسرة والطفل

لبنان

\* \* \*

### ● مطبوعاتكم جيدة جداً وموضوعاتها

#### قيمة ومفيدة

اخواني في المجمع العالمي  
لاهل البيت عليه السلام ، السلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته .

أود أن اعلمكم أنني اطلعت على  
بعض مطبوعاتكم من بعض  
الاصدقاء ، والحقيقة أنها مطبوعات  
جيدة جداً ، وموضوعاتها قيمة  
ومفيدة ، وفيها الكثير من الامور  
التي كنا لا نعرفها بالشكل  
الواضح ، وخاصة الامور العقائدية  
التي تتعلق بعقيدة الانسان .

ونحن من شيعة اهل  
البيت عليه السلام ، ويجب أن نكون على  
اطلاع تام على سيرة اهل  
البيت عليه السلام ، فنتعلم منها ومن

جهد في نشر رسالة الاسلام ،  
ونشر مذهب اهل البيت عليه السلام .

أرجوا منكم إرسال بعض  
الكتب المفيدة ، وذلك انطلاقاً من  
قوله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر  
والتقوى﴾ ، وهذا من جملة البر ،  
وقوله عليه السلام : «وايم الله لئن يهد الله  
على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه  
الشمس» .

وفي الختام لا يسعني إلا أن  
اشكركم . وارجو من الله العلي  
العظيم أن يسدد خطاكم وأن يكتب  
اجركم .

عبدالله صالح المؤيدي  
صعدة - اليمن

مؤسستنا ، وبذا تكونون قد  
ساهتم في رفع راية اهل  
البيت عليه السلام عالية ﴿وقل اعملوا  
فسيرى الله عملكم ورسوله  
والمؤمنون﴾ .

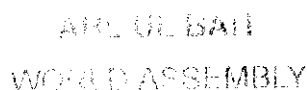
علي بادارا تراوري  
مؤسسة الامام الحسين عليه السلام  
بوركينا فاسو

\* \* \*

● نشكركم على ما تقومون به من جهد  
في نشر الاسلام

اقدم الشكر الجزيل لجميع  
العاملين في المجمع العالمي لاهل  
البيت عليه السلام على ما يقومون به من





### A General Islamic Periodical

U.S. - W. Germany (1959-1969)

31